عقود الإيمان

في

توحيد الرب الجليل
على منهاج حديث جبريل

جمع وتأليف

الفقير إلى رحمة الله تعالى

محمد سالم أحمد مود الجكني

غفر الله له ولوالديه

مطبعة ومكتبة ابن القيم

قطر - الدوحة

فاتني من ص ٧٨ إلى ص ١٤٧

عقود الإيمان

في

توحيد الرب الجليل

على منهاج حديث جبريل

جمع وتأليف

الفقير إلى رحمة الله تعالى

محمد سالم أحمد مود الجكني

غفر الله له ولوالديه

مطبعة ومكتبة ابن القيم

قطر - الدوحة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

* ابتدأ الشيخ بالقراءة

إلى كل مؤمن ومؤمنة

ليس فى الوجود بأسره أعز ولا أفضل من الإيمان بالله وكتبه ورسله ومتابعتهم ومعرفة ما جاءو به. فلا تطلب ذلك أهون الطلب، فإنى أرى الأكثرين لا يرضون بالغبن والنقص فى بيع بعض السلع، وأرى طالب الأرباح الدنيوية يطلبها أشد الطلب من أبعد الأقطار، بأشق الأسفار.

وإن الحق فى مثل هذه الأعصار قَلَّما يعرفه إلا واحداً بعد واحد، وإذا عظم المطلوب قل المساعد، فإن البدع قد كثرت، وكثرت الدعاة إليها، والتعويل عليها، وطالب الحق اليوم شبيه بطلابه فى أيام الفترة، وهم: سلمان الفارسى، وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهما، فإنهم قدوة الطالب للحق، وفيهم له أعظم أسوة، فإنهم لما حَرَصوا على الحق وبذلوا الجهد فى طلبه، بلغهم الله إياه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمة.

فكم أدرك الحق طالبه فى زمن الفترة، وكم عَمِى عنه المطلوب له فى زمن النبوة، فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصوناً عزيزاً، نفيساً كريماً، لا ينال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوف والتشوق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يفاجىء أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطال ولا غافل، وقد أخبر الله تعالى أن ذرء جهنم هم الغافلون.

درر غالية، وحكم هادية، من «إيثار الحق على الخلق».

كلمة شكر واعتراف بالمعروف

نحمدك اللهم حمداً كثيراً، اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شىء بعدُ، أهلَ الثناء والمجد.

الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد، أول رسلك فضلاً وآخرهم مبعثاً.

اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، واجزه أجزل ما جازيت نبياً بلغ رسالتك ونصح لعبادك.

رب اغفر لى ولوالدى، رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً، اللهم اغفر لهما وارحمهما واغسلها بالماء والثلج والبَرَد ونقهما من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، واجزهما اللهم عنى أفضل ما جازيت أُماً وأباً عن ولدهما.

هذا وانطلاقاً من قول النبى ﷺ: «من لا يَشكُر الناس لا يَشكر الله» رواه أبو داود، والترمذي[1] وقال حديث حسن صحيح.

وقوله ﷺ: «من أُعطِى عطاءَ فوجد فليَجْزِ به، فإن لم يجد فَلْيُثْنِ به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره» روياه أيضاً[2].

(١) سنن أبى داود رقم (٤٨١١) كتاب الأدب، جامع الترمذى رقم (١٩٥٤) كتاب البر والصلة. من حديث أبى هريرة وغيره. ورواه ابن حبان، والإمام أحمد وأبو داود الطيالسى، وهو كما قال الترمذى حديث صحيح.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٨١٣) كتاب الأدب، جامع الترمذى رقم (٢٠٣٤) كتاب البر والصلة. من حديث جابر بن عبد الله. وهو حديث حسن.

لذلك فإنى أتقدم بخالص الشكر والاعتراف بالمنة للسيد المفضال المسدّذ، عبد الله بن حمَد المسنذ، فقد تقدم إِليَّ بطلب غير مسبوق بسؤال أن يتولى طبع هذا الكتاب ونشره، حرصاً منه على عمل بر جليل، وها هو يبذل نفيس المال ليضع أمام طلبة العلم كتاباً يحوى عقيدة سلفهم وأصول دينهم، فجزاه من لا يضيع أجر المحسنين خير الجزاء.

كما أتقدم بشكرى واعترافى بالمنة للأخ الذى لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن الفضل بعد الله تعالى يرجع إليه فى إنجاز هذا الكتاب المبارك لما أتحفنى به من أمهات كتب الحديث وغيره. مع ما تمتاز به من التحقيق والتنقيح، ذلكم هو زميلى محمد بن حسن المريخى، نضر الله وجهه وشكر سعيه.

كذلك أتقدم أيضا بالشكر والاعتراف بالمنة للأخ الفاضل المهتدى، بلال فرج السويدى، ثبته الله بالقول الثابت ورزقه الحظ الوافر من العلم النافع، فقد أتحفنى بالمراجع العديدة النفيسة التى من بينها مجموع فتاوى شيخ الإسلام الذى وصلنى بعد أن جمعت أكثر مسودة الكتاب، ولكنى بعد مطالعته وجدته يغنى عن غيره ولا يغنى عنه غيره، فرصعت الكتاب منه ترصيعا.

كما أننى أتوجه بعميق شكرى للإخوة والزملاء، لما لهم فى هذا الميدان من يد بيضاء، راجياً ربى أن يبوئهم منازل العلماء، وأخص من هؤلاء يوسف بن عبد الله، وعلى حسن الحمادى، وسلطان عبد الرحمن النعيمى، شكر الله سعى الجميع وجزاهم الجزاء الحسن الأوفى.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذى فطر الناس على الدين القويم • شريعة محمد ﷺ وملة إبراهيم • وهدى منهم من شاء رحمة منه وفضلاً • وأضل من شاء حكمة منه وعدلاً •

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل ولا نظير • وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير.

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله • وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها • وكل بدعة ضلالة • إنه مما تواترت به نصوص الكتاب والسنة• واعتقدته كل نفس مؤمنة مطمئنة • أن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله • وأنزل عليه القرآن وكلفه بالتبليغ والبيان • فبلغ وبيَّن وبالغ فى ذلك من غير توان • وجَهَد وجاهد وبشر وأنذر على تعاقب المَلَوان • حتى استَشْهَد عَدَلَة أهل الأرض يوم عرفة مودعاً أمتَه فى أعظم مَشْهَدْ.

قائلاً: «وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون• قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت • فقال بإصبَعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس اللهم اشهدْ اللهم اشهدْ اللهم اشهدْ» فنَهل صحبه من معين العقيدة فالتزموها واعتنقوها • واصطبحوها واغتبقوها • وعضوا عليها بالنواجذ، وفى كل مناحى حياتهم طبقوها • ولم يقع بينهم خلاف قط فى أسماء الله وصفاته وأفعاله • وإنما اختلفوا فى فروع من الاجتهاد فى حرامه وحلاله • وقد بذلوا أنفسهم ونفيسهم.

وهجروا أوطانهم • تاركين أزواجهم وصبيانهم • فى تبليغ تلك العقيدة وجهاد من رفضها فلم يَكْرَع حِياضَها • ولم يرفع رأساً بها فيرتع رِياضَها •

حتى دان بدين الحق جُلُّ مَن علا المعمورة • ممن كانت نفسه مطمئنة بالإيمان أو مقهورة بباطن كفرها مغمورة • من دُخَلاء أمثالِ بولَص الإسلام - عبد الله بن سبأ - المعروف بابن السوداء • وغيره من زنادقة الأعداء • وكان ذلك فى أواخر الخلافة النبوية • حين عصى الخليفةَ بعضُ الرعية • فنبتت بهؤلاء نابتة زندقة النفاق • فاستهدف كيدهم قتل الخليفة عثمان ذى النورين فمضى شهيداً سعيه مشكوراً • فما حصل بعدُ بين الصحابة وكان قدراً مقدوراً • ثم سرى سَمُّهم وسار إِبَّانَ فرقة المسلمين بانتظام وانطلاق • حتى قُتِلَ الخليفة الرابع بسيف خارجى نبأنا النبى ﷺ أنه أشقى هذه الأمة على الإطلاق • فكان لا بد فى نظر أولئك الزنادقة • من نِحَل تفرق المجتمع الإسلامى كى تمزقَهْ • فدَبَّ كيدهم إلى بعض الْجُهال المغفلين • وقد قال عمار بن ياسر رضى الله عنه: للباطل حلاوة فى أسماع الغافلين •

فمرقت مارقة الخوارج بنحلتهم من الدين • ففهمت نصوص الكتاب والسنة فهماً فاسداً • وأولتها تأويلاً هجيناً كاسداً • وحكمت بالعصمة لفهمها الخاطِىء • وكفَّرت المصلين واستحلت دماء المسلمين بالتصميم المتواطِىء •

وقامت القدرية فنفت قدر الله وعلمه السابق الأزلى بالمقدورات • ومشيئته النافذة وزعمت أنه لم يخلق أفعال العباد وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الطاعات والمحظورات • فضاهت المجوس فسموا مجوس هذه الأمة •

ورفضت الرافضة منهج الخلفاء الراشدين • والصحابة الهداة المهتدين • بل كفرتهم ورمتهم بكل أمر مشين فى الدين • وجعلت البهتان مطيتها • وتكذيب الله ورسوله غايتها • وغلت فى طائفة فأَلَّهَتْها • فاتبعت غير سبيل المؤمنين •

واعتزلت المعتزلة جماعة أهل السنة • واستهانت بنصوص الكتاب والسنة • فاستبدلتهما بالعقل والفلسفة • فإن وافق النقلُ عقولَهم قبلوه • وإلا ردوه حتماً أوتأولوه •

وأرجأت المرجئة نصوص الوحى فحكمت بأن الإيمان هو العرفان • فبمجرد أن تعرف بقلبك أن الله ربك فأنت مؤمن كامل الإيمان • ولا يضرك بعد ذلك ترك مأمور ولا ارتكاب محظور • فحكمت بإيمان فرعون والمنافقين • فضلاً عن إبليس اللعين • وأنه لا فرق بين إيمان رسل الله وملائكته والعصاة المذنبين •

وتجهمت الجهمية بوجوه كريهة من التأويل الفاسد والتعطيل • فعطلت البارى ـ سبحانه ـ من جميع صفاته وأسمائه • وهى أول من تجرأ على القول بخلق القرآن وغير ذلك من الأباطيل • حتى أخرجها جمع من أئمة الإسلام إلى الإلحاد والكفر •

وهذه الفرق على اختلاف مذاهبها • وتباين مشاربها • إنما أُتيَت من قبل أمرين أولهما: عدم تحكيم الكتاب والسنة • الثانى: إساءة فهم آيات الصفات وأحاديثها • ومن ثَم جُعل التأويل سُلَّماً للتخلص من مضمون ذلك وتشريع ما لم يأذن به الله ورسوله • ووقع التجنى على كتاب الله وبيانه من السنة بأن ظواهر نصوصهما تجر إلى التشبيه والتمثيل •

ولكن الله تعالى قد حفظ هذا الدين بطائفة لا تزال قائمة عليه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله •

فما طلع صاحب نحلة من عصر الصحابة فمن بعدهم إلا وأهل الحق يزيفون أقوالَه • ويبينون للناس ضلالَه • ويحذرونهم مما قالَه •

ومنذ عصر التدوين والتأليف: اهتم علماء السنة بجمع عقائد السلف الصالح وتدوينها • ونشرها وتبيينها • فمنهم من اتجه فى تأليفه للرد على شُبَه الخصوم وبيان الحق فى ذلك بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان: كأبى عبيد القاسم بن سلام • والإمام أحمد بن حنبل • ومحمد بن إسماعيل البخارى •

ومنهم من اتجه فى تأليفه إلى عرض العقيدة السلفية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين • ومن هؤلاء أيضاً الإمام أحمد • وابنه عبد الله • ومحمد بن إسحاق بن خزيمة • ومحمد بن إسحاق بن منده • وغيرهم كثير •

وإنى بحمد الله سلكت فى كتابى هذا منهج هؤلاء الأعلام متشبهاً بهم • ماشياً حبواً وراء موكبهم • معترفاً بأنى لا أبلغ مدى كعبهم • راجياً من الله تعالى أن يحشرنى فى زمرتهم • مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين •

ولست أريد التنويه به ولا الإطراء • وإنما أدع الحكم عليه للمنصفين من العلماء وحذاق القراء • وإلى الله تعالى ألجأ فى إخلاص عملى ونيتى • وإليه أبرأ من حولى وقوتى • وإياه أسأل تحقيق أُمنيتى • فى الختم لى بالإيمان عند حضور منيتى • فهو نعم المولى ونعم النصير • وما توفيقى إلا بالله •

بقلم: محمد سالم أحمد مود

بسم الله الرحمن الرحيم

*الشيخ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

والحمد لله الذى شهدت له بالربوبية والإِلهية جميع المخلوقات، المتعالى فلا شريك له، ولا شبيه له فى ذاته ولا فى أفعاله ولا فى الصفات، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ختم الله به رسله، وأتم به دينه وأكمله، فلم يزل جاهداً فى هداية الخلق بنور القرآن، وما أوتيه من الحكمة والبيان، حتى طلعت شمس الإيمان، وأدبر ليل الكفر والبهتان، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد

فقد طلب منى بعض الإخوة فى الله، تلخيص وتسجيل درس حضره فى التوحيد، لتتيسر قراءته، فأجبته بجمع ملخص صغير، ثم بدت لى حاجة كثير من الشباب إلى مختصر يجمع من أصول العقائد ما يجب الإيمان به. فشرعت فى جمع ما يسر الله لى من عقيدة السلف الصالح، ببيان ما فى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، من العقائد السلفية، مما فهمه وسجله الراسخون فى العلم من أئمتنا عليهم رحمة الله ورضوانه،

وكان من بين تلك الأحاديث حديثُ جبريل، ولما تأملته وأمليت منه درساً أو اثنين، بدا لى أنه أصل فى العقائد وأساس للدين.

ولما لم أقف على من أفرده بالتأليف كمنهج للعقيدة جعلته منهجى فى هذا الكتاب وأصلاً اعتمدت عليه، وجمعت الكثير مما وقفت عليه من طرقه الصحاح والحسان، ويعلم الله أنى لم أقف على من خص هذا الحديث العظيم بمؤلف يعطيه فيه حقه من الخدمة، ويبرز فيه فوائد طرقه وزياداتها، ويلفت نظر طلاب العلم إلى أنه أصل للدين عقيدة وسلوكاً، نعم، إنى أيام تحريرى لبعض كتابتى هذه وقفت على كلام للشيخ محيى الدين النووى فى شرحه لصحيح مسلم نقل فيه عن القاضى عياض أنه قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا: المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان.

وبعد بحث وسؤال لم أجد ذكراً لهذا الكتاب، ولم أدر هل طبع أو هو من الكتب النفيسة المفقودة. وإنى لأعجب من عُزوف المؤلفين، من السالفين والخالفين، عن هذا الحديث العظيم، ولقد قال أئمة من بينهم الشافعى وأحمد بن حنبل وابن مهدى وابن المدينى وأبو داود والترمذى: عن حديث «**إنما الأعمال بالنيات. . .**» قالوا كلهم: إنه ثلث الإسلام. وقالوا هم وغيرهم: عن أحاديث أخرى نحو ذلك، كحديث: «**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». وحديث «**الحلال بين والحرام بين. . .**». ووجهوا هذا التقييم بتوجيهات معلومة، والمتأمل لحديث جبريل يجد أنه أصل لهذه الأحاديث. بينما نجد أئمة آخرين وصفوه بأنه أم السنة وأنه أصل الإسلام وأساسه ولبه. وسيرى القارىء إن شاء الله تعالى ثناء العلماء عليه عند إيراده، وهذا الحافظ ابن رجب مولع بإفراد الحديث الواحد بشرح فى جزء لم يتعرض لهذا الحديث بذلك، وإنما شرحه من

بين الخمسين حديثاً التى شرحها. ونهضة الرسائل الجامعية الجديدة لم نسمع فيها بمن جعل هذا الحديث موضوع رسالته مما يبعث على العجب. وإنى لأرجو ربى أن يجعل هذا الكتاب عملاً صالحاً ورحمة خصنى بها فهو سبحانه يختص برحمته من يشاء.

ولقد رجوت أن أقوم بشىء من خدمة حديث رسول الله ﷺ، وأن أنبه على ما غفل عنه كثير من الناس وقنعوا منه بأقل القليل، ألا وهو مذهب السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فى أسماء الله وصفاته، لعلنا أن نسلك سبيلهم، ونقتدى بهم، لنكون معهم فى الدار الآخرة.

فقد دلت نصوص على أن كل تابع فى الدنيا مع متبوعه فى الآخرة، موعود بما وعد به متبوعه من خير أو شر، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ...﴾ [١٠٠، سورة التوبة].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [٢١: سورة الطور].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ...﴾ [١١٥: سورة النساء].

وقال تعالى: ﴿... فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ...﴾ [٩٧ ـ ٩٨: سورة هود].

ومع اعترافى بالعجز والتقصير، وقلة بضاعتى من العلم، أقدمت على تأليف هذا الكتاب بعد أن أحجمت، لعلمى بنفسى، ولا أدرى هل دفعنى دافع الغُرور ـ وأعوذ بربى من كيد الغَرور ـ أم هو توفيق من ربى الكريم، الذى استعنت به وحده، ومددت له يد الضراعة، ودعوته فى

السر والعلانية أن يهدينى ويسددنى، وأن ينفعنى به وينفع به من قرأه من عباده، وأن يثبتنى على الإيمان الحق حتى ألقاه راضياً عنى. ولقد لمست فى أثناء كتابتى له كثيراً من العون والتسديد من الله تعالى، مما أتحدث به من سابغ نعمه على، وأعلل به نفسى، كما أرجوه تعالى أن يجعله خالصاً من الرياء وحظوظ النفس، ثم إنه شجعنى على تبييضه - يسر الله طبعه وأعم نفعه - أنى عرضته على أكثر من واحد من أهل العلم فاستحسنوه وأعجبوا به، وحثنى بعضهم على الإسراع فى تبييضه ونشره، وقال أكثر من واحد منهم إن المسلمين بحاجة إليه. منهم محمد عمر من علماء المدينة ومحمد ولد سيدي الحبيب

وقد أسميته: «**عقود الإيمان فى توحيد الرب الجليل، على منهاج حديث جبريل**» وقسمته إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة، وجعلت ضمن البابين مباحث، أليق عندى بالموضوع من الفصول.

أما المقدمة فهذه، والتمهيد يليها وضمنته فوائد مختلفة، يليه:

الباب الأول: وبدأته بحديث جبريل روايتيْ أبى هريرة وعمر، رضى الله عنهما، مع تخريج أهم طرقه الأخرى وشرحته شرحاً متوسطاً على طريقة أهل الحديث، يليه **مبحث: الإسلام والإيمان، مبحث: أركان الإسلام، مبحث: الإحسان، مبحث: الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته**.

ولما كانت أمهات المسائل التى خالف فيها المتكلمون أهل السنة ثلاثاً: **مسألة علو الله تعالى واستوائه على العرش، مسألة تأويل الصفات، مسألة كلام الله تعالى**، أفردت الكلام على كل واحدة منها فذكرت الأدلة على علو الله تعالى واستوائه على عرشه بلا كيف، وأطلت النفَس فى توحيد الأسماء والصفات بما فيه طمأنينة وأثارة من علم، إن شاء الله، وأخرت الكلام فى الثالثة إلى مبحث الإيمان بالكتب. ولما كان التأويل سلّماً لكل من عدل عن الحق فى باب التوحيد، والمصطلح عليه عند

المتأخرين غير معروف عند عامة السلف، أقحمت هنا **مبحثاً فيه أقسام التأويل عند السلف وتأويل الخلف، ثم أتبعته مبحثاً فى الوسوسة ـ أو الشبهات فى العقائد ـ وعلاجها، ثم مبحث: الإيمان بالملائكة، مبحث: الإيمان بالكتب، مبحث: الإيمان بالرسل، مبحث: توحيد الاتباع، مبحث: معجزات الرسل وكرامات الأولياء، مبحث: الإيمان باليوم الآخر**، وضمنته كل ماله تعلق به من بداية البرزخ فما بعده، كالسؤال فى القبر ونعيمه وعذابه، والبعث، والحشر، وكأشراط الساعة والموقف والجنة والنار، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة، **مبحث: الإيمان بالقدر، مبحث: مسائل من باب القضاء والقدر، كالإرادة والمشيئة والأسباب والحكمة، مبحث: توحيد المحبة.**

الباب الثانى: وأوله مبحث: عقيدة أهل السنة والجماعة فى نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر من أهل الملة، مبحث: الكفر لغة وشرعاً ومتى يحكم به، مبحث: النفاق أنواعه وخصاله، مبحث: الشرك بالله وأقسامه، وكاستنتاج للحقائق ختمت الكتاب بخاتمة **فى التحقيق فى الإيمان والإسلام** وهى خاتمة بالغة الأهمية فى بابها التقطت معظمها من «كتاب الإيمان» للإمام أحمد بن عبد الحليم طيب الله ثراه.

وقد وفق الله تعالى بمنه فى هذا التقسيم: للتحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل، فالباب الأول من الأول والباب الثانى من الثانى.

هذا وإنى درجت فى تنظيم الكتابة على أن أكتب الآيات القرآنية بخط المصحف الكريم لما عليه أئمة المذاهب الأربعة وأكثر الأمة من منع كتابة القرآن بغير خط المصحف العثمانى، جاعلاً الآية بين قوسين كبيرين هكذا ﴿ ﴾ ثم أضع رقم الآية أولاً، واسم السورة بعده كلاهما بين معكوفتين هكذا [ ] وإذا كان الغرض من الآية الاستدلال ببعضها،

فالغالب أنى أضع ثلاث نقط هكذا (. . .) إشارة إلى ما لم يكتب من الآية سواء كان المحذوف من أول الآية أو آخرها أوْ من كليهما معاً، كل ذلك فى صلب الكتاب.

وأذكر الأحاديث محذوفة السند إلا الصحابى، إلا إذا تعلق المعنى بذكر من دونه. والغالب أن تكون بداية الحديث من أول السطر: بصيغة عن فلان للاختصار، وأجعل اللفظ النبوى بين أربعة أقواس صغار هكذا « » وإذا كان الغرض الاستدلال ببعض الحديث فنشير لباقيه بالنقط فى السطر كما ذكرت فى الآية سواء بسواء.

والتزمت تخريج الأحاديث بذكر من خرجها إذا كانت فى الأمهات الستة: **الجامع الصحيح للإمام البخارى، صحيح مسلم، سنن أبى داود، سنن النسائى، جامع الترمذى، سنن ابن ماجه**. وليس عدم ذكر موطإ مالك أنه دون هذه الأمهات كلا، بل لأنه هو أصل هذه الستة وأمها وأبوها، فقل من حديث فى الموطإ إلا وهو فى هذه الكتب وما من واحد من هؤلاء إلا ويروى عن مالك بواسطة أو اثنتين، ولست متعصباً لمالك ولا لكتابه، ولقد سبقنى إلى هذا جمع من أئمة الحديث والحفاظ. حتى قال بعضهم: ما هذه الكتب إلا مستخرجات على موطإ مالك.

وكيفية التخريج: أنى أذكر عند نهاية الحديث من رواه من الأئمة، وأضع عنده رقماً، ثم أضع نفس الرقم فى الحاشية بين قوسين صغيرين هكذا (   ) تحت خط فاصل بين الأصل والحاشية، ثم نذكر اسم الكتاب الذى خرج فيه الحديث بادئاً بمن لفظ الحديث له. ثم رقم الحديث نفسه، ثم نذكر الكتاب، واكتفيت برقم الحديث وذكر كتابه عن ذكر الأبواب للاختصار، وإذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما فإنى أكتفى بذلك عن ذكر من رواه، وإلا فإنى أذكر من خرجه من الكتب

المذكورة آنفاً مع الاختيار لما صح سنده أو حسن، وأستطيع أن أقول: إن ما ذكرته من الأحاديث البالغ عددها (٢٩٠ حديثاً)(١) جله مما فى الصحيحين أو أحدهما والباقى ما بين صحيح أو حسن لذاته أو لغيره، وأنى لم أذكر فى علمى حديثاً ضعيفاً بالمرة، ثم إنى أسجل لفظ البخارى مما اتفق عليه إلا إذا كان لفظ مسلم أصرح فى الدلالة فإنى أُثبته، وقد بذلت جهداً مضنياً فى اختيار الأحاديث والتحرى فى ألفاظها، والتأكد من اتفاق الشيخين عليها، وعدم ذلك، ومن كمالها ونقصها، كل ذلك فى أمهات المصادر خاصة، خشية الانزلاق مع أولئك الذين يقلدون فى تخريج الأحاديث فالأحاديث المنقولة تقليداً لناقليها لا تسلم من الأخطاء فى نسبتها والتحريف فى ألفاظها والله المستعان. لذلك فإنى أتحرى بدقة أقرب لفظ فى اتفاق الشيخين فيما اتفقا عليه، وإذا انفرد أحدهما بزيادة أو اختلفا فى الصحابى مع اتحاد الحديث نبهت على ذلك، وهكذا باقى الكتب المذكورة.

وأذكرها بأسمائها إلا أن صحيح البخارى اسمه الجامع الصحيح. . . وأنا عدلت عن الاسم لشهرة الأول. واسم كتاب الترمذى الجامع أو الجامع الصحيح، واشتهر عند المتأخرين بسنن الترمذى لمؤاخاته مع السنن، وأنا أذكره بجامع الترمذى.

وقد اعتمدت فى التخريج للأحاديث بألفاظها وأرقامها النسخ الآتية، وقد وجدتها تمتاز بتصحيح وتنقيح من علماء أجلاء: **نسخة صحيح البخارى** التى حققها ورقمها الدكتور مصطفى ديب البُغا. وَأُنَبِّهُ على أنها

---

(١) هذه عدة الأحاديث التى هى من جمعى دون الأحاديث التى استدل بها من نقلت عنه من العلماء. مع أنى خرجت الأخيرة والحمد لله.

تختلف فى الترقيم عن نسخة فتح البارى، **نسخة صحيح مسلم** - وعرفت بأنها أصح نسخة لصحيح مسلم - بترقيم محمد فؤاد عبد الباقى، **نسخة سنن أبى داود** بتحقيق وترقيم محمد محيى الدين عبد الحميد، نسخة سنن النسائي بترقيم عبد الفتاح أبو غُده، **جامع الترمذي** نسخة العلامة المحدث أحمد محمد شاكر، **سنن ابن ماجه** نسخة الدكتور محمد مصطفى الأعظمى.

أما ما كان من النقول من الكتب سوى الحديث النبوى فإنى كثيراً ما أحيل عليها برقمين بينهما ألف فاصلة، الرقم الأول للجزء وما بعد الفاصلة للصفحات فى متن الكتاب دون الهوامش لأنى خصصتها لتخريج الأحاديث وشرح غريبها مع التزام الاختصار، ولست أرى الالتزام بالإحالة على المنقول كذلك بالجزء والصفحة، وإن كان مما يبعث على الطمأنينة فليس هو مما يعطى الأمانة، وقد كان علماؤنا الهداة المهتدون مع كثرة تآليفهم لا عناية لهم بهذا النوع من الإحالة وما كانوا مقصرين ولا مقتصرين، بل كانوا على علم مما ينقلونه وعلى ثقة من نقلهم، لأنهم يعملون لله مخلصين، وبقوله مؤمنين ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [١٠ - ١٢ : سورة الانفطار]. فلما جاء المستشرقون وعلموا يقيناً أنه لا يوثق فى نقلهم البتة، فهم كأسلافهم ﴿. . . يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ . . .﴾ [٤٦ : سورة النساء]. وهم بلا شك يريدون أن يروجوا كتاباتهم وطباعاتهم فبالغوا فى المحافظة على النصوص وعلى الإحالة بالجزء والصفحة لذلك. وأتقنوا الفهارس وطوروها ورتبوها على الحروف الهجائية، فظن بعض من لا علم عنده أنهم موضع الثقة وأنهم ابتكروا كل شيء، وهذا من التغفيل أو الغفلة، فإنهم لم يعملوا عملاً إلا وقد سبقهم إليه علماء المسلمين، فهم تابعون

فى ذلك مقلدون للمسلمين لا مبتكرون، وما عملوه عملوه لهوى فى أنفسهم ليتمكنوا من دسائسهم ومكرهم للإسلام وأهله.

والفهارس مفاتيح الكتب، لذلك سيجد القارىء إن شاء الله آخر الكتاب فهارس تدله.

وحيث أطلقت قول الحافظ، فالمراد به الإمام الحافظ: أحمد بن على بن حجر العسقلانى، وحيث أطلقت قول شيخ الإسلام أو الشيخ تقى الدين فهو الإمام المجدد أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيمية، رحمهما الله وسائر علماء المسلمين.

هذا وأرى أنى بحمد الله وتوفيقه، قد جمعت فى هذا المختصر المبارك - إن شاء الله تعالى - ما فيه غنية من عقائد السلف الصالح محررة مطهرة من كل قادح، مجللة بمحكم آيات القرآن، والأحاديث الصحاح والحسان، فعليك به أخى فى الله، فإنه غنى لك فى موضوعه، فريد فى تنويعه، ولا يزهدنك فيه نسبته إلى، فقد كفيتك عناءه، ثم عِبْءُ عهدته على، وقديماً قالوا: انظر لذات القول لا إلى القائل، ولا تغتر بقول القائل: ما ترك الأول للآخر، فقد قال المحققون: القول الصحيح الظاهر، كم ترك الأول للآخر، وقالوا: ليس كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل: ما ترك الأول للآخر شيئاً، ولا كلمة أحض على طلب العلم من قول على رضى الله عنه، قدر كل امرىء ما يحسن، فتكلموا فى العلم تتبين أقداركم.

ولا ريب أن فن التوحيد لجميع الفنون دعامة وأساس، ولله در القائل:

إن العلوم وإن جلت محاسنها فتاجُها ما به الإيمان قد وجبا

وإنى لمؤمن بأنه لا ينجو من زلل من لم يؤت العصمة من قلم ولا

لسان، ولا يخلو إنسان من نسيان، إِذ أَوَّلُ نَاسٍ أَوَّلُ النَّاسِ، لذلك فإنى ألتمس إصلاح ما جنته يد الغفلة والالتباس، من العالم الورع المنصف العامل، لا الغمر المتعالم المتعصب المتحامل، فإن كنتُ حياً فلينبهنى وسيجدنى - إن شاء الله - سريع الأوبة إلى الحق، شاكراً له سعيه، وإن كنت ميتاً فليستغفر الله لى وليصلح إن كان أهلاً لذلك ﴿ . . . وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ . . . ﴾ [٢٢٠: سورة البقرة].

وأختم هذه المقدمة بقول العلامة المحقق محمد بن إبراهيم بن المرتضى فى مقدمة كتابه إيثار الحق على الخلق قال:

وإنما جمعت هذا المختصر المبارك - إن شاء الله تعالى - لمن صنفت لهم التصانيف، وعُنِيت بهدايتهم العلماء، وهم: مَنْ جَمَعَ خمسة أوصاف، معظمُها: الإخلاص والفهم والإنصاف، ورابعُها - وهو أقلها وجوداً فى هذه الأعصار - الحرص على معرفة الحق من أقوال المختلفين، وشدَّةُ الداعى إلى ذلك، الحاملُ على الصبر والطلب كثيراً، وبذلِ الجهد فى النظر على الإنصاف، ومفارقة العوائد وطلب الأوابد. اهـ.

تذييل للمقدمة

لما كانت مقدمات الكتب من مَهَامِّهَا إنارة الطريق أمام القراء، وجدت ضرورة لتذييل هذه المقدمة بنوع من التعريف لكل من ذكر فى هذا الكتاب من أصحاب المذاهب الذين خالفت أقوالُهم مذهب أهل السنة والجماعة سواء كان من الذين تكلموا عن حسن قصد واتباع للسلف الصالح، أم كان من الفرق التى شذت واتخذت نحَلاً خالفت فيها منهج الحق.

وهكذا رأينا من كتب فى فن التوحيد قديماً وحديثاً يذكرون أصحاب المقالات والفرق، وذلك لمعرفة القول الحق كما قيل: وبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ. ثم خشية الوقوع والانجراف، مع أهل الشذوذ والانحراف.

لذلك فإنى ذاكر - إن شاء الله تعالى - ما يحضرنى ذكره من كلا الفريقين المذكورين، ليكون القارىء على علم من أصحاب المقالات عند إيرادها والله ولى التوفيق.

ويجدر بنا أن نُنَبِه على أن كل من تكلم فى العقائد هدفه وغاية مطلبه النجاة وتنزيه الله تعالى، إلا من اتبع غير سبيل المؤمنين داعياً إلى الضلال متعمداً فذلك يُوَلَّى مَا تَوَلَّى، أما من طلب الحق واتبع سبيل المؤمنين، وذب عن السنة ثم قُدِّر أنه أخطأ فخطؤه مغفور مغمور فيما قام به من جهد مشكور، وإليك ذكر أصحاب المذاهب والفرق.

«**الكلابية**» نسبة إلى أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب كان عالماً جليلاً قام بعد محنة الإمام أحمد وذب عن السنة وكان من الذين قمعوا

باطل جهمية المعتزلة وبينوا تناقضهم، إلا أن له أقوالاً مبتدعة كقوله فى كلام الله وبعض الصفات، مات بعد سنة ٢٤٠ للهجرة.

«**الأشعرية**» نسبة إلى أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى قام هو أيضاً على منهج ابن كلاب، وكان صاعقة على المعتزلة وغيرهم من أصحاب البدع، وله هو كذلك أقوال تخالف المأثور عن السلف كقوله فى كلام الله والإيمان والأسباب. توفى سنة ٣٣٠ للهجرة.

«**الجهمية**» وتسمى غالية المرجئة، والجبرية، والقدرية المحضة: نسبة إلى جهم بن صفوان أبى محرز مولى بنى راسب الترمذى، قتله سالم ابن أحوز المازنى بمرو آخر القرن الثانى الهجرى، كان فصيحاً ولم يكن عنده علم، وهو أول من حمل لواء التعطيل والقول بخلق القرآن، ومما انفرد به القول: بأنه لا إيمان بالله إلا المعرفة به، ولا كفر بالله إلا الجهل به.

وقد قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهم بن صفوان، وكان ينشد فيه:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة إلى النار واشتق اسمه من جهنم

«**المعتزلة**» وتسمى «القدرية» لنفيهم قدرة الله على خلق أفعال عباده: هم أتباع أبى حذيفة واصل بن عطاء الغَزَّال مولى بنى ضبة، تلميذ الحسن البصرى، وهو الذى اعتزله بعدُ، وواصل هذا هو الذى وضع أصول مذهبهم بمؤازرة من أبى عثمان عمرو بن عبيد، توفى واصل سنة ١٣١هـ وتوفى عمرو بن عبيد سنة ١٤٤هـ.

وقد ألف لهم أبو الهذيل المعروف بالعَلاَّف، من أئمتهم كتابين - فى خلافة هارون الرشيد - شرح فيهما أصول مذهبهم التى لا يعدون من لم يعتنقها مؤمناً، وهى: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين

المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وبالترتيب، ستروا تحتها: نفى القدر، خلق القرآن، أنه يجب على الله أن يعذب العصاة، صاحب الكبيرة لا هو مؤمن ولا كافر، بل فى منزلة بينهما، الخروج على الأئمة بالسيف. وأصل مذهبهم مذهب جهم، وكان علماء السنة كابن المبارك وأحمد بن حنبل والبخارى وغيرهم يسمون هؤلاء جميعهم الجهمية وقد انضم إلى هذا المذهب الخليفة العباسى المأمون، فقام بفتنة الناس عليه فى أوائل المائة الثالثة من الهجرة وأذكى نار فتنة القول بخلق القرآن.

الخوارج المارقون، هم أول من فارق جماعة المسلمين، وكفر المصلين، ويلقبون بـ المارقة والحرورية والشراة والمحكمة وأول ظهورهم خروجهم على الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه، وادعوا أنهم شروا أنفسهم من النار، وكفروا علياً وعثمان، وشيعتهما وكفروا أهل صفين كلهم، بل هم يكفرون كل من خالفهم، ويستحلون من دماء المسلمين ما لا يستحلونه من دماء الكفار الأصليين ـ المشركين واليهود والنصارى ـ لأن المسلمين فى زعمهم أهل ردة، والمرتد أغلظ كفراً من الكافر الأصلى. وأجمعوا على أن من ارتكب أى كبيرة كفر، ويعتقدون أموراً ليست ذنوباً شرعاً من كبائر الذنوب، وأجمعوا على أن أصحاب الكبائر مخلدون فى النار، وكانوا أكثر الناس صلاة وصياماً وسيوفهم ملطخة بدماء المسلمين.

الرافضة وهى الإمامية، فرقة من فرق الشيعة وأكثرهم غلاة محترقون، قيل: سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر، وقيل: إنما سموا الروافض لكونهم رفضوا الدين، فإن تكفيرهم للصحابة الذين هم حملة الدين رفض للشرع المحمدى، والرافضة هم المشهورون عند العامة

بالمخالفة للسنة فجمهور العامة لا يعرف ضد السنى إلا الرافضى، فإذا قال أحدهم: أنا سنى، فإنما معناه لست رافضياً.

وأصل قول الرافضة: أن النبيّ ﷺ نص على إمامة عليّ نصاً قاطعاً للعذر، وأنه إمام معصوم، ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم.

المرجئة هم الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وأن الإيمان تصديق بالقلب، وأنه لا يزيد ولا ينقص وأن الناس فيه سواء، وعامتهم من أهل الكوفة وبدعة إرجاء غير الغلاة هى أخف هذه البدع المذكورة، بل من العلماء من قال إن الخلاف فيها نزاع لفظى، وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة لكثرة من دخل فى قولهم من أهل الفقه والعبادة حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة التى منها تقديم عليّ على أبى بكر، فتكلم أئمة السنة المشاهير فى ذمهم كسفيان الثورى ومالك بن أنس، وأيوب السختيانى، والشافعى، وغيرهم تنفيراً عن مقالاتهم.

والمرجئة ثلاثة أصناف فى الإيمان: منهم من يقول: هو تصديق القلب وقول اللسان. وهذا هو المشهور عن أهل الفقه منهم، والقول الثانى: هو مجرد ما فى القلب وهو قول غلاتهم، كجهم ومن اتبعه كالصالحى، والثالث: هو مجرد قول اللسان، وهو قول

الكرامية أتباع محمد بن كرام قالوا: الإيمان شيء واحد هو التصديق والإقرار باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون شيء غير التصديق باللسان إيماناً فمن نطق بلسانه بكلمة الشهادة ولو كان قلبه منكراً مؤمن، والكفر الإنكار باللسان فقط، وهذا المذهب لم يعرف لأحد غير الكرامية.

التمهيد فى معالم من فن التوحيد

إنه مما اتفق عليه علماء الأمة المحمدية: أن أول ما افترضه الله على عباده وأعظم ما ألزمهم إياه، أن يوحدوه ليعبدوه مخلصين له الدين، فيلهجوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قولاً واعتقاداً وعملاً، وهذا هو الباب الذى لا بد لكل موحد أن يلج منه، وعلم بالاستقراء أنه لا يتحقق توحيد موحد لله تعالى إلا بمعرفة توحيده فى ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، بذلك يكون العباد عارفين بربهم، مؤمنين بمعبودهم، آمنين من الشرك بإلههم الحق، فلا بد للمكلف أن يتعلم من الوحى ما ينمى به فطرته، ويثبت به عقيدته.

الفطرة وتبديلها

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ...﴾ [٣٠: سورة الروم].

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاّ يُولَدُ على الفِطْرةِ فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»** متفق عليه(١). ولمسلم **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْمِلَّةِ حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ»**(١).

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: فى

(١) صحيح البخارى رقم (١٢٩٣) كتاب الجنائز، صحيح مسلم رقم (٢٦٥٨) كتاب القدر. وقوله فى الحديث «كما تنتج البهيمة...» هو بضم التاء الأولى وفتح الثانية ورفع البهيمة، ونصب بهيمة: معناه كما تلد البهيمة بهيمة «جمعاء» أى مجتمعة الأعضاء سليمة من النقص.

خطبة عن الله تعالى - «. . . **وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُم، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَن يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنزِلْ بِهِ سُلْطَاناً. . .»** رواه مسلم(١).

هذان الحديثان يتضح منهما تفسير الفطرة التى فى الآية، وبالأول فسرها أبو هريرة رضى الله عنه، فكان يقول: فى نهاية الحديث السابق: اقرأوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا. . .﴾ الآية.

والقول الذى عليه عامة علماء السلف ومن بعدهم: أن المراد بالفطرة دين الله الإسلام، ومعناه: السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة، وبين ذلك تمثيله ﷺ «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء. . .».

فمثَّل سلامة الفطرة فى القلوب بالبهيمة التى تولد سليمة من العيوب، وما يحدث لها من نقص فهو من التغيير لخلقها، أحدثه الناس فيها بعد كماله، كذلك القلوب تولد سليمة من الكفر، متصفة بالمعرفة والإيمان، قابلة لتوحيد الله وعبادته، وما تعتنقه مما يخالف ذلك هو من تربية الأبوين ونحوهما. يهودانه مثلاً فيتهود.

وحديث عياض واضح فى ذلك. وليس المراد أن الناس يولدون على علم بالعقيدة والدين فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا . . .﴾ [٧٨: سورة النحل]. ولكن فطرتهم مقتضية لدين الإسلام فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة تحصل شيئاً بعد شيء، إذا سلمت

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة، وقوله فى الحديث: «اجتالتهم الشياطين» أى استخفتهم الشياطين فذهبوا بهم وأزالوهم عما فُطِروا عليه، وجالوا معهم فى الباطل.

من المعارض. انظر درء تعارض العقل مع النقل ٨/ ٣٨٣.

قلت: والحس شاهد بأن الفِطَرَ السليمة تعرف الخالق بدون الآيات والأدلة العقلية، فالألسنة تنطق بذكره عند الكوارث، والنفوس تلجأ إليه عند دفع المضار، فطرة تظهر عند حلول الحوادث العظام، والخطوب الجسام، فيجد المرء حتى المشرك نفسه يستغيث بالله تعالى طبعاً وجبلة، لا تكلفاً وحيلة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ . . .﴾ [٦٧: سورة الإسراء].

ولهذا فلم تأت الرسل لتعريف الناس بوجود الله فحسب، لأن ذلك جبلة فطر الله الناس عليها، بل إنها أنكرت أن يكون فى ذلك شك. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ [١٠: سورة إبراهيم].

وإنما جاءت الرسل للدعوة إلى توحيد الله تعالى ونفى الشريك له، وجاءت لبيان أمر العبودية وتفصيله على نحو لا تستقل الفطرة بالعلم به، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا . . .﴾ [٣٦: سورة النساء].

ومع هذا فقد بدلت فطرة الإسلام فى كثير من دياره، فعم الجهل بالتوحيد الذى هو أصل دين الإسلام، وجهل كثير ممن يردد كلمة التوحيد معناها اللغوى والشرعى، بينما كفار قريش عرفوا معناها الذى وضعت له فقالوا:

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [٥: سورة ص] علموا أنها توجب عبادة الله وحده، وتنفى الشرك، فعاندوا وعجبوا لما خالف مألوفهم، فهم أعلم بمعنى كلمة التوحيد التى كفروا بها من كثير ممن يزعمون أنهم آمنوا بها، وأنهم أحق بها وأهلها.

هذا مع ما انتشر من مذاهب المعطلة من غلاة الجهمية والمعتزلة وغيرهم من الفرق التى تجنَّت على التوحيد، فسمت ما ينافى التوحيد بالتوحيد، فسموا كل من نفى صفات الله وألحد فى أسمائه موحداً، ومن ذلك توحيد المعتزلة الذى هو: أحد **أصولهم الخمسة**. وكان من تبديلهم للتوحيد أنهم كانوا يكتبون على ستور الكعبة: [ليس كمثله شىء وهو العزيز الحكيم] بدل قول الله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وكانوا يمتحنون الناس زمن المحنة بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾ فإذا قالوا: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أنكروا عليهم وضللوهم.

تبديل التوحيد

وكان محمد بن تومرت الذى ادعى أنه المهدى وأظهر ذلك فى المغرب فى أوائل القرن السادس الهجرى قد لقب أصحابه بالموحدين، اتباعاً لهؤلاء الذين ابتدعوا توحيداً ما أنزل الله به من سلطان، وألحدوا فى التوحيد الذى نزل به القرآن.

ومحمد بن تومرت هذا: قد صرح فى كتابه «**المرشدة**» أن الله تعالى وجود مطلق، مثل قول ابن سينا وغيره من ملاحدة الفلاسفة، ولم يذكر فى كتابه هذا الإيمان برسالة محمد ﷺ ولا باليوم الآخر، مع زعمه أنه يجب على كل مكلف أن يعلم ما فيه ويعتقده.

ولم يقف أصحاب البدع والضلالات عند هذا الحد بل إنهم اصطلحوا - مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم - على اصطلاحات قلبت الحقائق وطمست معالم التوحيد، لولا أن الله حفظه وقيض له من جهابذة العلماء من ينفى عنه تحريف الغالين، واستمع معى لما رد به الإمام أحمد

---

(١) هذا التحريف لكلام الله عن مواضعه، وتبديل القرآن من تلقاء الأنفس، وقع بيد أحمد ابن أبى دؤاد قاضى جهمية المعتزلة العباسيين، الذين انحرفوا عن عقيدة السلف إلى التجهم والاعتزال فى عهد المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق بالله. ثم جاء المتوكل على الله فجاء الله بالحق وزهق الباطل فى خلافته وعلى يده.

ابن تيمية على قائل قال له: مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه.

قال رحمه الله: فيقال له: لفظ التوحيد، والتنزيه، والتشبيه، والتجسيم، ألفاظ قد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلمين وغيرهم، وكل طائفة تعنى بهذه الأسماء ما لا يعنيه غيرهم.

فالجهمية من المعتزلة وغيرهم يريدون **بالتوحيد والتنزيه** نفى جميع صفات الله تعالى، **وبالتجسيم والتشبيه** إثبات شيء منها، حتى إن من قال: إن الله يُرى، أو إن له علماً، فهو عندهم **مشبه مجسم**.

وكثير من المتكلمين **الصفاتية** يريدون **بالتوحيد والتنزيه** نفى الصفات الخبرية أو بعضها، **وبالتجسيم والتشبيه** إثباتها أو بعضها.

والفلاسفة تعنى **بالتوحيد** ما تعنيه المعتزلة، وزيادة، حتى يقولون: ليس لله إلا صفة سلبية أو إضافية[1] أو مركبة منهما.

والإتحادية تعنى بالتوحيد: أنه تعالى هو الوجود المطلق، ولغير هؤلاء فيه اصطلاحات أخرى. قال:

وأما التوحيد الذى بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب: فليس هو متضمناً شيئاً من هذه الاصطلاحات، بل أمر الله عباده أن يعبدوه وحده لا يشركوا به شيئاً، فلا يكون لغيره نصيب فيما يختص به من العبادة وتوابعها، هذا فى العمل.

وفى القول: هو الإيمان بما وصف الله نفسه ووصفه به رسوله، قال: فإن كنت تعنى أن مذهب السلف هو التوحيد بالمعنى الذى جاء به

---

(١) الصفة السلبية هى النافية عن الله ما لا يليق به، والصفة الإضافية هى المضافة إلى الله، لا أنها صفة له، والنفاة يقولون لآيات الصفات آيات الإضافات.

الكتاب والسنة: فهذا حق، وأهل الصفات الخبرية لا يخالفون هذا.

وإن عنيت أن مذهب السلف: هو التوحيد والتنزيه الذى يعنيه بعض الطوائف، فهذا يعلم بطلانه كل من تأمل أقوال السلف الثابتة عنهم، الموجودة فى كتب آثارهم، فليس فى كلام أحد من السلف كلمة توافق ما تختص به هذه الطوائف ولا كلمة تنفى الصفات الخبرية. ومذهب السلف منقول بالتواتر، وإجماع الطوائف. اهـ مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٠.

وإليك أيها القارىء مثالاً واحداً من تلبيس وتشويش الاتحادية وغيرهم من فرق الضلال فى عقائد السلف وطمسهم لمعالمها، وذلك فيما يؤثرونه ـ كذباً ـ عن النبى ﷺ أنه قال: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. وهذه الزيادة: وهو الآن على ما عليه كان. كذب مفترى على النبى ﷺ، اتفق أهل العلم بالحديث على أنه قول موضوع مختلق، وليس هو فى شيء من دواوين الحديث لا كبارها ولا صغارها، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد، لا صحيح، ولا ضعيف ولا بإسناد مجهول، وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخرى متكلمة الجهمية، فتلقاها أهل التعطيل والاتحاد، فذاعت ونشرت فى بعض كتب المتكلمة. انظر مجموع الفتاوى ٢/ ٢٧٢ وفتح البارى ٦/ ٣٣٤. وقد قال عمار بن ياسر رضى الله عنه: قول الباطل له حلاوة فى أسماع الغافلين، وقال عبد الله بن المبارك: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وإنما الصحيح ما رواه البخارى عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**»(١).

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٠١٩) كتاب بدء الخلق. وله فى كتاب التوحيد «كان الله ولم يكن شيء قبله...».

وهكذا وصل الأمر فى تلك القرون إلى ما وصل إليه من تبديل وتحريف للعقيدة التى جاء بها محمد ﷺ، ناهيك عما وصل إليه الحال فى هذه العصور المتأخرة التى قل فيها العلم النافع، وانتشر الجهل، وتداعت أمم الكفر بكل ما أوتيت من ثقافات وما لها من قوة وكيد على الإسلام والمسلمين، وهدفهم الأول عقيدة المسلم الصحيحة لعلمهم أنها هى التى تمحى الكفر وتستأصله، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ...﴾ [١٠٩: سورة البقرة]. وقال: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ...﴾ [٨٩: سورة النساء].

وهكذا عاد الإسلام غريباً إلا ما شاء الله كما أخبرنا رسول الله ﷺ بقوله: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**»[1].

ومن تبديل حقائق التوحيد والإلحاد فيه: ما درج عليه طوائف من أهل التصوف منذ أن ظهرت مقالاتهم، من جعلهم أن غاية التوحيد: اعتقاد توحيد الربوبية، فجعلوا غاية توحيدهم الإيمان بأن الله رب كل شيء ومالكه وخالقه، وهذا النوع من التوحيد، كان المشركون ـ الذين أمر الله المسلمين بقتلهم أينما كانوا ـ مؤمنين به، قال تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾ [٨٧: سورة الزخرف] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [٩: سورة

(١) رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رقم (١٤٥) كتاب الإيمان. قوله «بدأ الإسلام»، ضبطه النووى «بدأ» بالهمز من الابتداء بناء على الرواية، وضبطه جماعة بألف مقصورة من البدو، وهو الظهور «فطوبى» فُعلى، من الطيب، وإنما جاءت الواو لضمة الطاء قاله الفراء. وفسرها ابن عباس فى الآية (... طوبى لهم...) بأن معناه: فَرَحٌ وقُرّةُ عين، وعكرمةُ: نِعْم مالهم..

الزخرف]. وقال فى الأمر بقتلهم ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ...﴾ [٥: سورة التوبة]. ولم يشفع لهم هذا النوع من التوحيد لأنهم أشركوا فى العبادة فلم يؤمنوا بتوحيد الإلهية.

وكذلك بدل بعض أئمة المتكلمين التوحيد وغَيَّرُوا فيه وحرفوه، فقالوا: الإله هو القادر على الاختراع، والإلهية هى القدرة، وظنوا أن من اعتقد أن الله هو القادر على الاختراع دون غيره، فقد شهد أن لا إله إلا الله. وكذبوا، فإن الإله هو المألوه، أى الذى تألهه القلوب محبة وإجلالاً وخوفاً ورجاء، وتوكلاً، هو المعبود وحده بحق.

أول واجب

ونقول: إنه لا شك عندنا أن أول واجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعلم عقيدة سلف الأمة: عقيدة محمد ﷺ وصحبه، وتابعيهم بإحسان، العقيدة السالمة من النحل المنحرفة والآراء البشرية والتأويل الفاسد. قلنا ذلك تبعاً لكثير من العلماء ولأدلة وفيرة، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٣ ـ ٥: سورة العلق]. وقال البخارى فى صحيحه: قال النبى ﷺ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّم**». علقه جازماً به، وذلك صحيح ثابت عند أهل الدراية بالحديث. قال الحافظ فى الفتح: هو حديث مرفوع من حديث معاوية عن النبى ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ**» رواه ابن أبى عاصم والطبرانى وسنده حسن وروى من طرق مرفوعاً وموقوفاً، فلا يغتر بقول من جعله من كلام البخارى، والمعنى: ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم. فتح البارى ١/ ١٩٢ ـ ١٩٤.

ولا شك أن العلم لا يحصل إلا بالتعلم حاشا الرسل الذين يأتيهم

الوحى من الله تعالى، ولا شك أيضاً أن الناس متفاوتون فمنهم من يجب عليه من تعلم العقائد بالتفصيل ما لا يجب على غيره.

قال شيخ الإسلام: لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به محمد ﷺ إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض كفاية، وأما ما يجب على أعيان المؤمنين فإنه يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم، وحاجتهم، فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتى، والمحدث والمجادل، ما لا يجب على من ليس كذلك، وأما التفصيل: فما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ما أوجبه الله من ذلك، كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩٨: سورة المائدة]. وقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ . . .﴾ [١٩: سورة محمد]. وقد تقرر فى الشريعة أن الوجوب معلق باستطاعة العبد كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ . . .﴾ [١٦: سورة التغابن] وقوله ﷺ: «. . . **إِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ . .**» متفق عليه(١) إلى أن قال: لكن ينبغى أن يعرف أن عامة من ضل فى هذا الباب، أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه فى اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر، والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿. . . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [١٢٣ ـ ١٢٤: سورة طه]. قال

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٨٥٨) كتاب الاعتصام. صحيح مسلم رقم (١٣٣٧) كتاب الحج.

ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ثم قرأ هذه الآية أهـ. مجموع الفتاوى ٣/ ٣١٢ - ٣١٤.

وقال أيضاً: فى جواب سؤال عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ونحوها من الآيات.

قال: أما الآية: فقد استفاض أنه سئل عنها مالك بن أنس، وقال له السائل كيف استوى؟ فقال له مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وجميع أئمة الدين كابن الماجشون، والأوزاعى، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وغيرهم: كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك، من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا، لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة، ومتى جنب المؤمن طريق التحريف والتعطيل، وطريق التمثيل، سلك سواء السبيل، فإنه قد علم بالكتاب والسنة والإجماع، والعقل: أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، فلا يجوز أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين، ومن زعم أن القرآن دل على ذلك فقد كذب على القرآن، ليس فى كلام الله سبحانه ما يوجب وصفه بذلك، بل قد يؤتى الإنسان من سوء فهمه فيفهم من كلام الله ورسوله معانى يجب تنزيه الله سبحانه عنها، ولكن حال المبطل مع كلام الله ورسوله كما قيل: -

وكم مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

ويجب على أهل العلم أن يبينوا نفى ما يظنه الجهال من النقص فى صفات الله تعالى، وأن يبينوا صون كلام الله ورسوله عن الدلالة على

شيء من ذلك، وأن القرآن بيان وهدى وشفاء، وإن ضل به مَنْ ضل فإنه من جهة تفريطه كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٨٢: سورة الإسراء]. وقوله: ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...﴾ [٤٤: سورة فصلت]. اهـ. مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠.

أدلة وجوب البدء بالتوحيد

ومن أدلة وجوب تعلم التوحيد قبل كل شيء: تربية رسل الله عليهم السلام أممهم على التوحيد، فمن أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ، وأول ما يصدعون به ويدعون إليه ويعلمونه لأممهم: التوحيد وعقائد الإيمان، فقد اتفقت كلمتهم على ﴿... ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾ [٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥: سورة الأعراف].

وهذا القرآن قال الله عنه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ...﴾ [٩: سورة الإسراء]. وهدى الله به خير أمة أخرجت للناس، من المعلوم أن عدد سوره مائة وأربع عشرة سورة، والذى انعقد الإجماع على أنه نزل منه بعد الهجرة ـ وهو المعروف بالقرآن المدنى ـ عشرون سورة، واختلف فى اثنتى عشرة سورة منه، هل كان نزولها بمكة أو بالمدينة، والإجماع على أن باقيه ـ اثنتين وثمانين سورة ـ نزل كله بمكة، ومدة فترة نزول المكى ثلاث عشرة سنة، وأخص ما فى المكى أنه يدعو إلى التوحيد، ويُرْسى دعائمه، ويقرر دلائله، ويقص القصص عن الموحدين ومصيرهم، وعن المكذبين بالتوحيد وما حل بهم، وما ينتظرهم فى العقبى من أليم العقاب، وهذه الفترة كانت دعوة النبى ﷺ فيها موحدة للتوحيد، شأنه فى ذلك شأن القرآن الذى ينزل عليه، ثم لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة النبوية، وكانت القلوب قد اطمأنت

بالتوحيد، وعرف المؤمنون إلههم الحق فأصبحوا مؤهلين بالتوحيد للعبادة الخالصة لرب العالمين، بدأ القرآن المدنى ينزل بتفصيل التشريع وتقنين العبادات والمعاملات.

أفتظن أن القرآن المدنى تخلى عن مهمة التوحيد للمكى، كلا، إنه كان يبدأ بالتوحيد بادىء ذى بدء، اقرأ إن شئت أول نداء للبرية، من أول سورة نزلت بالمدينة النبوية. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢١ ـ ٢٢: سورة البقرة]. ومن المعلوم أن هذه السورة هى أطول سورة فى كتاب الله وأنها حافلة بالتشريع، قال بعض المفسرين: إنها اشتملت على ألف أمر، وألف نهى، وألف حكم، وألف خبر. هكذا تدرج القرآن والرسول الذى نزل عليه، فى تربية أكرم جيل رباه الوحى على وجه البسيطة فبدأ بالأهم، وثنى بالمهم، أفيحق لأحد أن يرفع رأسه فى هذا الزمان المظلم ويقول: لا حاجة بنا إلى تعلم العقائد، يكفينا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويضيف: ما كان النبى ﷺ يطلب من أحد غير هذه الكلمة؟

وكأنى بمثل هذا القائل ومن على شاكلته يقول: لِمَ لا تقول: أول واجب على المكلف النظر فى الدليل والشك ليعرف ربه، ونقول فى الجواب: لا، هذه هى الهفوة التى سقط فيها من لم يرفع رأساً بالتوحيد، هذا قول أهل علم الكلام والجدل، تلامذة الفلاسفة من المعتزلة وغيرهم ممن جعل التوحيد محجوراً على من حكَّم العقل وتقلب فى طرقهم الكلامية الفلسفية، وقالوا: أول واجب على المكلف النظر فى الدليل، والدليل العقل فقط، والمراد إعمال النظر، ومعناه: اكفر ثم آمن واجهل ثم اعرف، حتى قال بعضهم: من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر، لأن ضد

المعرفة النكرة، والنكرة كفر[1]. هؤلاء برآء من التوحيد وهو منهم براء.

إن دعوتنا لتعلم عقيدة سلفنا الصالح من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهو منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم ما فهمه من هذين الأصلين الراسخون فى العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ثم من سلك سبيلهم من أئمة الهدى، خصوصاً الذين قاموا بالذب عن العقيدة المحمدية، ووقفوا أمام ما وقع فيها من التحريف، فبينوا الحق وردوا كل باطل نحَلَه أصحاب الأهواء والبدع: كالإمام مالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وأبى حنيفة، والبخارى، ومحمد بن خزيمة، وأبى عبيد القاسم بن سلام، وأبى القاسم اللالكائى، وأبى عمر ابن عبد البر، وأحمد بن تيمية وتلميذه محمد بن أبى بكر - ابن القيم - وغير هؤلاء من قادة الإسلام الهداة المهتدين، مصابيح الدجى الذين ارتضى الناس مذاهبهم وعبدوا الله بأقوالهم فى مشارق الأرض ومغاربها، حملوا شريعة الله عن السلف فأدوها كما هى طرية للخلف، وخاصة العقائد التى هى أصول الدين، ولم يقع فيها خلاف ولا نزاع بين الصحابة رضى الله عنهم، كما وقع بينهم فى الفروع.

لم يقع خلاف بين الصحابة في التوحيد

وإليك ما نقله شيخ الإسلام عن الإمام محمد بن خفيف، قال: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف: فى كتابه الذى سماه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات. قال فى آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فى توحيد الله عزَّ وجلّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحداً وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال:

---

(١) القائل لذلك: أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائى، من كبار المعتزلة. وإليه تنسب الفرقة البهشمية منهم، مات سنة ٣٢١ من الهجرة، وكان أبوه محمد الجبائى أيضاً إمام المعتزلة فى دهره.

«عليكم بسنتى. . .» الحديث، وحديث «لعن الله من أحدث حدثاً» قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكام التوحيد، وأصول الدين، من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع، ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل إلينا، كما نقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عند خاصتم وعامتهم، حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن، لأن الاختلاف كان عندهم فى الأصل كفر، ولله المنة أهـ. مجموع الفتاوى ٥/ ٧١.

وقال أيضاً: قال محمد بن عبد الملك الكرجى: فى كتابه الفصول فى الأصول عن الأئمة الفحول، ذكر فيه من كلام الشافعى ومالك، والثورى، وأحمد بن حنبل، والبخارى - صاحب الصحيح - وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعى، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، فى أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم. وذكر أنه اقتصر فى النقل عنهم - دون غيرهم - لأنهم المقتدى بهم والمرجوع شرقاً وغرباً إلى مذاهبهم، ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم. . إلى أن قال: - أعنى محمداً الكرجى -.

من تمسك بمذهب إمام وخالفه فى العقيدة

ووجه آخر لا بد من أن نبين فيه، فنقول: إن فى النقل عن هؤلاء إلزاماً للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه فى العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه، أو يبدعه، أو يكفره، فانتحال مذهبه مع مخالفته له فى العقيدة، مستنكرٌ والله شرعاً وطبعاً، فمن قال: أنا شافعى الشرع، أشعرى الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، إذ لم يكن الشافعى أشعرى الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلى فى الفروع، معتزلى فى الأصول،

قلنا: قد ضللت إذاً عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلى الدين والاجتهاد.

قال: وقد افتتن أيضاً خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار، على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار، فإن مذهبهم ما رُوِّيناه: من تكفيرهم: الجهمية، والمعتزلة والقدرية والواقفية، وتكفيرهم اللفظية. إلى أن قال: فاتباع من ذكرناه من الأئمة فى الأصول فى زماننا، بمنزلة اتباع الإجماع الذى يبلغنا عن الصحابة والتابعين، إذ لا يسع مسلماً خلافه، ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم، لأنهم الأدلاء، وأرباب مذاهب هذه الأمة. أهـ ملخصاً. مجموع الفتاوى ٤/ ١٧٥ ـ ١٧٩.

أدلة ترتيب ما يجب تعلمه

ثمَّ يلى عقيدة التوحيد تعلم ما افترضه الله على خلقه من العبادات التى خلقهم لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦: سورة الذاريات].

وهذا الترتيب معلوم من الدين ضرورة، وأدلته من الكتاب والسنة معلومة مشهورة. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ [١٩: سورة محمد].

وقال البخارى فى صحيحه مترجماً بذلك:

«باب: **العلمُ** قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم». وقال سفيان بن عيينة: بدأ الله بالعلم فقال (اعلم) ثم أمره بالعمل. وقال البخارى أيضاً:

«باب: ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى» ثم خرج تحت هذه الترجمة:

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: لما بعث النبى ﷺ معاذ بن جبل

إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَن يُوَحِّدُوا اللَّهَ تعالى، فإِذا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِم ولَيْلَتِهِم، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أن الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِم، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» ورواه مسلم[1] هكذا.

وفي لفظ لهما «... فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ عبادةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُم أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ...» الحديث[2].

وفي لفظ لهما أيضاً «... ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَد افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ...» الحديث[3].

والعلم الشرعي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أولها: - وهو أشرفها - العلم بالله تعالى أي بأسمائه وصفاته ولزوم كماله وتنزيهه عن النقائص. ثانيها: علم فروض العين، وهو معرفة ما فرضه الله من العبادات على كل شخص بعينه، ثالثها: علم يعرف به العبد ما شرعه الله من المعاملات وما حرمه عليه، ليتناول من الأول ويتقى الثاني.

وقد قسم العلامة ابن القيم العلم في قصيدته النونية المشهورة فقال:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمان

---

(١) صحيح البخاري رقم (٦٩٣٧) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (١٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري رقم (١٣٨٩) كتاب الزكاة. وصحيح مسلم رقم (١٩) كالسابق.

(٣) صحيح البخاري رقم (١٣٣١) كتاب الزكاة. ومسلم رقم (١٩) كتاب الإيمان.

○ لفظ البخاري في كتاب التوحيد رقم (٧٣٧٢) «باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله» فتح الباري

والأمر والنهى الذى هو دينه | وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل فى القرآن والسنن التي | جاءت عن المبعوث بالفرقان

وقال شيخ الإسلام: فى جواب سؤال عن العلم.

أما العلم فيراد به فى الأصل نوعان: أحدهما: العلم بالله تعالى: وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام، وما دلت عليه أسماؤه الحسنى، وهذا العلم إذا رسخ فى القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لا بد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته، كما شهد به القرآن والعيان، وهذا معنى قول أبى حيان التيمى - أحد أتباع التابعين - العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالماً بأمر الله. وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله. وعالم بالله وبأمر الله. فالعالم بالله الذى يخشى الله، والعالم بأمر الله الذى يعرف الحلال والحرام.

والنوع الثاني: يراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية كما فى الصحيح من قوله ﷺ: **«مَا بَالُ أَقْوَام يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُه، فَوَاللَّهِ إِنى لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»**[1] . مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٣.

كلمة التوحيد وفضله

والتوحيد يدور على كلمة لا إله إلا الله[2] هى أساسه ووسيلته وغايته. وهى كلمة التوحيد التى شهد الله سبحانه بها لنفسه وشهد له بها ملائكته، وأولوا العلم من عباده. قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٨: سورة آل عمران]. وهى كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وهى كلمة

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٧٥٠) كتاب الأدب. صحيح مسلم رقم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل. من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) قول لا إله إلا الله، لقب جرى على النطق بالشهادتين، قاله الزين بن المُنير، ومعناه، أنه إذا قيل: لا إله إلا الله فالمراد ومحمد رسول الله.

التقوى التى تقى من عذاب المشركين الخالدين فى النار، وهى الكلمة التى ألزم الله تعالى بها رسوله والمؤمنين من أمته وجعلهم أحق بها وأهلها، قال سبحانه: ﴿... فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [٢٦: سورة الفتح].

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن لهذه الكلمة العظيمة حقوقاً من لم يأت بها لم يدخل فى زمرة الموحدين أولها: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، لأنها تنفى استحقاق الألوهية لغير الله، وتثبتها بالحصر لله سبحانه، ثم تثبت الرسالة لمحمد ﷺ، ومن لازم هذا النفى والإثبات إفراد الله سبحانه بجميع أنواع العبادة، والكفر بكل ما أُلِّهَ وعُبِدَ مع الله، قال تعالى: ﴿...قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ...﴾ [٢٥٦: سورة البقرة].

عن أبى مالك عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» وفى رواية «**مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ...**» رواه مسلم(١).

وعن عبد الله بن عمر، عن النبى ﷺ قال: «**بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**» متفق عليه(٢) لفظ مسلم.

الثانى: اليقين بها، وهو كمال العلم المنافى للشك والريب، فالشاك

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٣) كتاب الإيمان، وأبو مالك: اسمه سعد بن طارق ثقة، وطارق هو ابن أشيم، وزن أحمر، بن مسعود الأشجعى، صحابى، له أحاديث. قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه أبى مالك «تقريب التهذيب».

(٢) صحيح البخارى رقم (٨) كتاب الإيمان، صحيح مسلم رقم (١٦) كتاب الإيمان.

والمرتاب فيما أثبتته ونفته كافر، وإن قالها.

الثالث: الصدق والإخلاص المنافيان للشرك والنفاق، فمن لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق.

الرابع: الانقياد المقتضى لعمل القلوب والجوارح بأركان الإسلام وواجباته وأركان الإيمان وشعبه.

وقيل لوهب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاحُ الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. رواه البخارى تعليقاً جازماً به، فى الصحيح[(١)] ورواه موصولاً فى كتاب التاريخ له، وروى نحوَه عن معاذ مرفوعاً البيهقيُّ فى الشعب. قاله فى فتح البارى.

والتوحيد هو الذى يعصم دم المرء وماله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ...﴾ [١٩٣: سورة البقرة].

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِى وبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» رواه مسلم والبخارى[(٢)] كلاهما عن أبى هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهما.

والتوحيد هو حق الله على عباده الذى ألزمهم إياه وقررهم به، وأخذ ميثاقهم عليه، وجعل لهم حقاً عليه ـ فضلاً منه ـ إن قاموا بحقه أن لا يعذبهم، بل وأن يغفر لهم ويدخلهم الجنة.

---

(١) ١ ـ باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢١) كتاب الإيمان، ورواه البخارى رقم (٢٥) كتاب الإيمان. إلا قوله «ويؤمنوا بى وبما جئت به» فلم أقف عليها فيه.

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: كُنتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «يَا مُعَاذُ» قلت لبيك وسعديك، قالها ثلاثاً، ثم قال: «هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» ثم قال: «هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ» وفى رواية مسلم «إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَن لاَ يُعَذِّبَهُمْ» متفق عليه(١).

وفى رواية ابن حبان «. . . **أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ يُعَذِّبَهُمْ**» وفى رواية «**أن يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ وَيَغْفِرَ لَهُمْ**».

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [١٧٢ ـ ١٧٣: سورة الأعراف].

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِى الأَرْضِ مِن شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُول: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِى صُلْبِ آدَمَ: أَن لاَ تُشْرِكَ بِى شَيْئاً، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِى**» متفق عليه(٢). زاد مسلم فى رواية ـ بعد «**أن لا تُشْرِك بى شيئاً ـ ولاَ أُدْخِلَكَ النَّارَ**»(٢).

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٦٢٢) كتاب اللباس. صحيح مسلم رقم (٣٠) كتاب الإيمان. وقوله فى الحديث: «حق الله. . .» الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، والمراد هنا: ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتماً عليهم «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» جملة حالية أى يعبدونه فى حال عدم الإشراك به، لأن ذلك تمام التوحيد. والحكمة فيه: أن المشركين يعبدون مع الله آلهة أخرى. فتح الباري.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦١٨٩) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٨٠٥) كتاب صفات المنافقين.

ومن خصائص التوحيد أن من أخلصه ومات عليه، حرمه الله على النار.

عن عتبان بن مالك، رضى الله عنه، قال غدا علىَّ رسول الله ﷺ فقال: «**لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**» وفى لفظ: «**إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**» رواه البخارى هكذا، ومسلم مطولاً، وفيه قصة صلاة النبى ﷺ فى بيت عتبان ليتخذ مكان صلاته مسجداً(١).

وأهل التوحيد أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ يوم القيامة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قُلْتُ يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أن لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيث أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِما رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيث، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَن قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**». وفى رواية «. . . **مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**» رواه البخارى(٢).

والتوحيد هو الذى آخى الله به بين الملائكة ومن آمن من بنى آدم، وهذان العنصران من أشد المخلوقات تبايناً فالملائكة خلقوا من نور العرش ومسكنهم السماوات، وبنو آدم خلقوا من التراب وهى مسكنهم أحياء وأمواتاً، والملائكة المقربون يحيطونهم بعناية لا مثيل لها، لا لشىء، إلا

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٠٥٩) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٣٣) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٢٠١) كتاب الرقاق. وقوله فى الحديث: «من قال لا إله إلا الله، أى ومحمد رسول الله، وهو احتراز من المشرك فلاحظ له فى الشفاعة. وقوله: «خالصاً من قلبه» احتراز من المنافق فليس له حظ فى الشفاعة أيضاً. ورواه أحمد وابن حبان بلفظ: «. . . وشفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه».

أنهم إخوانهم فى التوحيد، لذلك فَدَيْدنُ الملائكة الدعاء لهم والتأمين على دعائهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ...﴾ إلى قوله ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [٧ ـ ٩: سورة غافر].

وهذه الدعوات من حملة العرش ومن حوله من المقربين، تنبىء عن عناية ملائكة الله بالمؤمنين الموحدين، وعن رحمة الله بأهل توحيده، حيث قيض لهم ملائكته يبالغون فى الدعاء لهم بظهر الغيب بالفوز العظيم.

روى ابن جرير: بسند صحيح عن مطرف بن عبد الله قال: وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة، وأغش العباد للعباد الشياطين، وتلا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ...﴾ الآية. ولا شك أن غش الشياطين هو للمؤمنين الموحدين.

وأما قوله تعالى: ﴿... وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ...﴾ فالْمُرَادُ بمن فى الأرض: أهل الإيمان بالله خاصة، وبذلك فسرها المفسرون، فلا يدخل كافر فى هذا العموم، إذ لم يأذن الله لرسله ولا المؤمنين فى أن يستغفروا للمشركين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾ [١١٣: سورة التوبة].

ودعاء الملائكة واستغفارهم لإخوانهم فى العقيدة من أهل الأرض ليس مقصوراً على حملة العرش ومن حوله لدلالة العموم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمَلائِكَةُ تُصَلِّى عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى مُصَلاَّهُ الَّذِى صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» متفق عليه(١).

وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَمَّنَ الْقَارِىءُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تُؤَمِّنُ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» رواه البخارى(٢).

والتوحيد هو الذى آخى الله ورسوله به بين المؤمنين من بنى آدم أنفسهم، وقطع الله ورسوله كل قرابة لم تُدْل به.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . .﴾ [١٠: سورة الحجرات] وقال ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ. . .**» رواه مسلم(٣).

وقال: «**لاَ يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلاَ يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**» متفق عليه(٤). ويظهر والله أعلمُ أن أُبوّة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ للمسلمين: لأنه كان الموحد الوحيد فى قومه. قال تعالى: ﴿. . .وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ . . .﴾ [٧٨: سورة الحج].

وإنه لمما يلفت الانتباه إلى فضل التوحيد ومكانته، ما فى القرآن الكريم من مواضع ثبت بنصوص الوحى تفضيلها على باقيه لاختصاصها بباب التوحيد وصفات رب العالمين، من ذلك ما ورد فى فضل فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٣٤) كتاب الصلاة. صحيح مسلم رقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٠٣٩) كتاب الدعوات.

(٣) صحيح مسلم رقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة. من حديث ابن عمر.

(٤) صحيح مسلم (١٦١٤) كتاب الفرائض. صحيح البخارى رقم (٦٣٨٣) كتاب الفرائض. من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما.

عن أبى سعيد ابن المعلى، رضى الله عنه، قال: قال لى النبى ﷺ: «. . . **أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِن الْمَسْجِدِ، فَذَهَبَ لِيَخْرُجَ فَذَكَّرْتُهُ**، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢: سورة الفاتحة]، **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِى، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِى أُوتِيتُهُ**» رواه البخارى[١] وفيه قصة، ورواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لأبى بن كعب عن أم الكتاب: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أُنزِلَتْ فِى التَّوْرَاةِ وَلاَ فِى الإِنْجِيلِ وَلاَ فِى الزَّبُورِ وَلاَ فِى الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِى أُعْطِيتُهُ**»[٢].

عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ [١: سورة الإخلاص]. يُرَدِّدُهَا، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ـ وكأنّ الرجل يتقالُّها ـ فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» رواه البخارى[٣].

وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَن يَقْرَأَ فِى لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» متفق عليه[٤].

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٤٢٦) كتاب التفسير. أبو سعيد ابن المعلى: أنصارى صحابى، يقال: اسمه رافع بن أوس، وقيل: الحارث، مات سنة ثلاث وسبعين للهجرة «تقريب التهذيب».

(٢) جامع الترمذى رقم (٢٨٧٥) كتاب فضائل القرآن.

(٣) صحيح البخارى رقم (٤٧٢٦) كتاب فضائل القرآن. والرجل السامع هو أبو سعيد الخدرى، والقارىء المردد للسورة قتادة بن النعمان وهما أخوان لأم.

(٤) صحيح مسلم رقم (٨١١) كتاب صلاة المسافرين. صحيح البخارى رقم (٤٧٢٧) كتاب فضائل القرآن. عن أبى سعيد الخدري.

يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**» فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبى ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ**» متفق عليه[1].

ودل حديث آخر على أن ذلك بسبب حبه لهذه السورة وملازمته إياها لما ذكر من أنها صفة الرحمن.

روى البخارى فى الصحيح. تعليقاً مجزوماً به، ووصله الترمذى عن أنس بن مالك قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء، وكان يفتتح القراءة بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، فكلمه أصحابه. . . فقال: ما أنا بتاركها. . . فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يَا فُلَانُ، . . . مَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**» **فقال: إنى أحبها، فقال:** «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»[2].

هذا وقد قال الحافظ الدارقطنى: لم يصح عن النبى ﷺ فى فضل سورة من القرآن أكثر مما صح عنه فى سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ أهـ.

وهى تسمى سورة الإخلاص، كما تسمى سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ . . .﴾ سورة البراءة من الشرك.

وفى الترمذى من حديث أنس بن مالك مرفوعاً أن الأخيرة تعدل ربع القرآن[3] وقد كان النبى ﷺ يقرأ بهما فى فاتحتى نفل الليل والنهار.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٩٤٠) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح البخارى رقم (٧٤١) كتاب صفة الصلاة. جامع الترمذى رقم (٢٩٠١) كتاب فضائل القرآن.

(٣) جامع الترمذى رقم (٢٨٩٣) كتاب فضائل القرآن. وقال حديث غريب.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، «أن رسول الله ﷺ، قرأ فى ركعتى الفجر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ . . .﴾ [١: سورة الكافرون]. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ رواه مسلم[١].

وعن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، قال: ما أحصى ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى الركعتين بعد المغرب، وفى الركعتين قبل صلاة الفجر بـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ . . .﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: رَمَقْتُ رسول الله ﷺ عشرين مرة يقرأ فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رواه النسائي[٣] واللفظ له، والترمذى، وابن ماجه، ولهما **رمقت النبى ﷺ شهراً**. . .»[٣].

وآية الكرسى أعظم آية فى القرآن لما حوته من توحيد الله سبحانه وتنزيهه وعظيم صفاته.

عن أبى بن كعب، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنذِرِ أَتَدرِى أَىُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**يَا أَبَا الْمُنذِرِ أَتَدرِى أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ . . .﴾ [٢٥٥: البقرة].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٧٢٦) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) جامع الترمذى رقم (٤٣١) كتاب الصلاة. سنن ابن ماجه رقم (١١٥٤) أبواب الصلاة.

(٣) سنن النسائى رقم (٩٩٢) كتاب الإفتتاح. جامع الترمذى رقم (٤١٧) كتاب الصلاة. سنن ابن ماجه رقم (١١٣٦) أبواب الصلاة وقوله فى الحديث: «رمقت النبى ﷺ» أى نظرت إليه وتأملت قراءته.

قال: فضرب فى صدرى وقال: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» رواه مسلم[1].

وما سقته هنا من النصوص قاطع بصحة قول أهل الحق بأن القرآن بعضه أفضل من بعض خلافاً لبعض المتأخرين.

قال الشيخ تقى الدين: والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذى عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم إلى أن قال: ومن هذا الباب ما فى الكتاب والسنة من تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة والأنجيل وسائر الكتب، وأن السلف كلهم كانوا مقرين بذلك. مجموع الفتاوى ١٧/ ١٣.

ويرى الحافظ ابن القيم أن القرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه، قال: لأنه إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبيُّ، وإما أمر ونهى، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد، وما فعل بهم فى الدنيا، وما يكرمهم به فى الآخرة، فهو جزاء التوحيد، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. أهـ بتصرف يسير.

جميع ما في الكون يوحد الله ويعبده

هذا ومن تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية علم يقيناً أن جميع ما فى هذا الكون موحد لله تعالى، يعبده وحده كل قد علم وظيفته التى تخصه من العبادة، وقام بها، إلا من تمرد على الله من الإنس والجن. وذلك والله

---

(١) صحيح مسلم رقم (٨١٠) كتاب صلاة المسافرين. وقوله فى الحديث: «ليهنك العلم» أى ليكن العلم هنيئاً لك.

حافز للعاقل أن يوحد ربه ويخافه ويخلص له ويدعوه وحده.

استمع إلى قول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [٤٤: سورة الإسراء].

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ...﴾ [١٨: سورة الحج].

وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [٤١: سورة النور].

وقوله تعالى: ﴿...وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٧٩: سورة الأنبياء].

وقال سبحانه للسماء والأرض ﴿... ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [١١: فصلت].

وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢١: سورة الحشر].

وقال تعالى: ﴿...وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [٧٤: سورة البقرة].

قال مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله، نزل بذلك القرآن.

وقال عكرمة: الأسطوانة تسبح، والشجرة تسبح. وقال بعض

السلف: صرير الباب تسبيحه.

والهدهد ذلك الطير الصغير بتوحيده وإيمانه كان هو السببَ فى دخول مملكة سبأ فى دين الله بعد أن كانوا يعبدون الشمس وقد قص الله فى القرآن تبجح الهدهد على سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ... إلى قوله تعالى... ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٢٢ - ٢٦: سورة النمل].

واستمع إلى سنة رسول الله ﷺ فهى شقيقة القرآن، فى التشريع وتزيد بالتفصيل والبيان.

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّى لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَىَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّى لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**» رواه مسلم[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود، فى حديث طويل، قال: «... **وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**» رواه البخارى[(٢)] ورواه الترمذى بلفظ: «... **لَقَدْ كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ...**»[(٣)].

عن أبى ذر، رضى الله عنه: «أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَخَذَ حَصَيَاتٍ فَسُمِعَ لَهُنَّ تَسْبِيحٌ كَحَنِينِ النَّخلِ، وَكَذَا فِى يَدِ أبى بكر، وعمر، وعثمان» رضى الله عنهم اهـ.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٣٨٦) كتاب المناقب.

(٣) جامع الترمذى رقم (٣٦٣٣) كتاب المناقب.

قال ابن كثير: وهو حديث مشهور فى المسانيد.

وعنه، قال: قال النبى ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس: «**تَدْرِى أَيْنَ تَذْهَبُ**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَّغْرِبِهَا. . .**» متفق عليه(١).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**» متفق عليه(٢).

وعنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**خَرَجَ سُلَيْمَانُ ـ عليه السلام ـ يَسْتَسْقِى فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ، لَيْسَ بِنَا غِنًى عَنْ سُقْيَاكَ. فَقَالَ: ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُم بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ**» رواه الإمام أحمد، وابن أبى حاتم وصححه الحاكم.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة فى أن كل كائن فى هذا الكون من جماد وغيره يعبد الله وحده، يوحده ويذكره ويسجد له.

وللناس فى دلالة هذه النصوص على غير العقلاء قولان.

الأول: أن ما فى هذه النصوص مما ذكر من العبادة والأعمال التى

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٠٢٧) كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم رقم (١٥٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨٥٦) كتاب الجهاد. صحيح مسلم رقم (٢٢٤١) كتاب السلام.

لم تعرف إلا من العقلاء، هو على الحقيقة والنصوص على ظاهرها، وذلك من الغيب الذى لا يعلم حقيقته إلا الله، أو من أطلعه عليه من رسله وأوليائه، وهذا هو الصحيح كما دلت عليه أدلة كثيرة.

الثانى: أن هذا من المجاز ومعناه: أن هذه المخلوقات تدل بما ذكر أن لها خالقاً. وما إخال عاقلاً سمع هذه النصوص يتردد فى أن هذا القول باطل، وأين قائلوه من آية الإسراء ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ ... إلى قوله... وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ وهل جميع المخلوقات إلا دالة على خالقها؟

كما قيل:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد أحد

أضف إلى ذلك أن مصدر هذا القول الأصيل: تلامذة الفلاسفة الذين اتخذوا المجاز سلَّماً لرد كل ما أنكرته عقولهم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

أهل الباطل أعداء لأهل الحق

وإن من سنن الله تعالى فى هذا الكون أن المؤمنين أهل الحق لا يزالون أقل أهل الأرض، وأهل الكفر والجهل هم الأكثرون.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ [١١٦: سورة الأنعام]. وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ...وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٥٧، ٥٩، ٦١: سورة غافر].

ومن تأمل القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستعرض التاريخ يجد أن أهل الباطل أعداء لأهل الحق فى كل زمان ومكان فخير الخلق رسل الله عليهم السلام، وقد نالهم من أممهم من الأذية والتكذيب والرجم بأقبح القول ما الله أعلم به، فأولهم نوح لما قال لقومه: ﴿... يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن

قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [٥٩ ـ ٦٠ : سورة الأعراف] والرسول هود كذلك قال لقومه، وكان ردهم عليه ﴿. . . إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [٦٦ : سورة الأعراف]. وقوم لوط أهل القذارة والوقاحة نصح لهم ودعاهم، فردوا عليه بما قصه الله علينا ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [٥٦ : سورة النمل].

وخاتمهم محمد ﷺ قال عنه المبطلون من قومه كذاب، ساحر، مجنون، كاهن، وذلك فى القرآن كثير ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [٦ : سورة الحجر] فى الوقت الذى يشهدون له بالصدق والأمانة حتى لقبوه الأمين، وعندما تحداهم بالقرآن، عدلوا إلى بلبلة من الهذيان ﴿. . . قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ . . .﴾ [٥ : سورة الأنبياء].

وهكذا ورثة الأنبياء من العلماء المصلحين، والأئمة المجاهدين، ما قام أحد منهم بتجديد مُنْدَثِرٍ من دين الله إلا وتجده عرضة لعداء العامة وأذية الناس بكل ما يملكونه من الأذى، إلا من هدى الله وقليل ما هم، وكثيراً ما يلاقون أكثر ذلك ممن ينتسب للعلم ممن قلت بضاعتهم من وراثة علم الأنبياء وهدى رسل الله، وأحرى إذا كان أحدهم نشأ على بدع وعادات، وفاجأه من يصدع بالدعوة إلى السنن المأثورات، وما أعظم ما أوذى وعودى به أهل التوحيد المتمسكون بالعقائد التى نطق بها القرآن، وتواترت بها السنن الصحاح والحسان، ودرج عليها صالحوا سلف الأمة المعصومة من الصحابة والتابعين، ولا شك إذن أنها سبيل المؤمنين، إنه من آخر عصر الصحابة إلى يومنا هذا لا تكاد تمر بحقبة من الزمن إلا وينبئك التاريخ عما حل بدعاة التوحيد والموحدين الصادقين من الأذى بجميع أنواعه، فسيوف الخوارج المارقين، ومعاول المعتزلة، والرافضة

المفترين، والمحنة التى تعرض لها أهل السنة ـ وقد أذكى لهيبها جهمية المعتزلة آخرَ أيام المأمون، وراح ضحيتها كثير من علماء أهل السنة وصمد أمام أليم أذيتها طود السنة وإمامها: أحمد بن حنبل رحمه الله ـ محنٌ لأولياء الله الموحدين، وهكذا تصفح التاريخ الصادق ينبئك، ولا ينبئك مثل خبير.

ولنستمع إلى ما قاله الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى، فى مقدمة كتاب الاعتصام: بعد أن ذكر ما تجشمه فى طلب العلم وما يسر الله له من فنونه، قال: فابتدأت بأصول الدين عملاً واعتقاداً، ثم طلبت نفسى بالمشى مع الجماعة التى سماها رسول الله ﷺ بالسواد الأعظم، فى الوصف الذى كان عليه هو وأصحابه، فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسى غريباً فى جمهور أهل الوقت، لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سننها الأصلية شوائب، من المحدثات الزوائد، إلى أن قال: فتردد النظر بين أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس، وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح، فأدخل تحت ترجمة الضلال ـ عائذاً بالله من ذلك ـ إلا أنى أوافق المعتاد، وأعد من المؤالفين، لا من المخالفين، فرأيت أن الهلاك فى اتباع السنة هو النجاة. وأن الناس لن يغنوا عنى من الله شيئاً، فأخذت فى ذلك على حكم التدريج فى بعض الأمور، فقامت عليّ القيامة، وتواترت عليّ الملامة. ونسبت إلى البدعة والضلالة، وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة، فتارة نسبت إلى الرفض وبغض الصحابة، وتارة نسبت إلى معاداة أولياء الله، وتارة نسبت إلى مخالفة السنة والجماعة. إلى أن قال: فقلما تجد عالماً مشهوراً، أو فاضلاً مذكوراً، إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة

الجهل بها أهـ. ملخصاً ١/ ٢٥ ـ ٢٩.

وقال الحافظ محمد بن المرتضى فى مقدمة كتابه «الروض الباسم» هذا وإنى لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتنى الألسنة البذية، من أعداء السنة النبوية، ونسبونى إلى دعوى فى العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة، حرصاً على أن لا يتبع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين، والخلفاء الراشدين، والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى، وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا:

ما سلم الله من بريته ... ولا نبى الهدى فكيف أنا . اهـ

وهكذا حال المبطلين مع المحقين يواجهونهم بكل أذى إما بالسيف والسنان، أو باللمز والنبز باللسان، حتى صار لأهل البدع والتعطيل شعار يعرفون به، وهو نبزهم لأهل السنة بألقاب سيئة تنبىء عن حقدهم على السنة وأهلها.

ذكر الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى: عن الحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم: قال سمعت أبى يقول: علامة أهل البدع الوقيعة فى أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة نقصانية، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة[١] أهـ. أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٩.

وأول من ابتدع الحشوية المعتزلة لقبوا بها أهل السنة. وأول من

---

(١) **الحشوية**: نسبة إلى الحشو، وهو ما يحشى به الشيء، والحشو من الناس رُذَالَتُهم والحشو من الكلام الفضل الذى لا خير فيه.

تكلم بذلك عمرو بن عبيد من رؤوس المعتزلة قال: كان عبد الله بن عمر حشوياً[(١)].

قال الإمام تقى الدين: فالجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من صفات الله تعالى مشبهاً، كذباً وافتراءاً حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ بذلك، حتى قال ثمامة بن الأبرش: ـ من رؤساء الجهمية ـ ثلاثة من الأنبياء مشبهة: موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ . . .﴾، وعيسى، حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ . . .﴾ ومحمد ﷺ حيث قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى». وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل مالك والثورى والأوزاعى والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وأتباعهم فى قسم المشبهة. قال:

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس جزءاً سماه: «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة». وذكر أن أهل البدع كل صنف

= **المشبهة**: هم من يشبهون الله تعالى بخلقه، لقب أطلقته غلاة الجهمية على من يؤمن بصفات الله تعالى الواردة فى الكتاب والسنة.

المجبرة: لقب أطلقته المعتزلة المنكرون للقدر على أهل السنة الذين يؤمنون بالقدر خيره وشره من الله. فنسبوهم للقول بجبر العباد.

النقصانية: تطلقه المرجئة على أهل السنة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص، وجميع المرجئة تقول الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

الناصبة: لقبت به الرافضة أهل السنة المتفقين على صحة إمامة الخليفتين ـ أبى بكر وعمر ـ وتقديمهما على عليّ، والرافضة ترى ذلك نصب عداء لعليّ فلا يصح عندهم ولاء على وإمامة الشيخين.

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، كان من أجلاء الصحابة وأكثرهم علماً، وأشدهم اتباعاً للسنة، ولكن ذنبه عند ابن عبيد: أنه تبرأ من منكرى القدر وصدع بهجرهم والبراءة منهم فى غير ما مرة، ثم قصم ظهورهم بحديث جبريل الذى يرويه عن والده عمر، وهو أول حديث فى صحيح مسلم.

منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه - يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد - كما أن المشركين كانوا يلقبون النبى ﷺ بألقاب افتروها، ثم ذكر نحواً مما تقدم عن ابن أبى حاتم انظر مجموع الفتاوى ٥/ ١١٠ - ١١١.

قلت: ومن الألقاب التى كان كفار قريش يلقبون بها النبى ﷺ مُذَمّماً وهو ضد محمد، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّى شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّماً وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّدٌ»**(١).

ويستخلص مما ذكرته هنا وما لم أذكره: أنه لا سلامة من الخلق لمن اتجه إلى صراط الله المستقيم، لأنه لا بد أن يخالف الجمهور ويصطدم مع العادات المبتدعة المألوفة المعروفة، وأن الصراع بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله قائم دائم، فى كل زمان ومكان، وإذا كان ذلك كذلك فما هو المخرج وأين المفر من ذلك للداعى إلى الله تعالى وشرعه المتبع لسنة نبيه ﷺ وسبيل المؤمنين من بعده؟ والجواب أنه لا مفر ولا وزر، وقد تبينا ذلك من كلام الإمام الشاطبى وغيره مما مر بنا، وعليه فليعلم الداعية أنه لا بد أن يتأمل ويتحمل، يتأمل سنن الله فى كونه، ومنهج رسل الله ومن تبعهم بإحسان من الدعاة المهتدين، كيف بلغوا ودعوا، وبم أجيبوا، ثم يتحمل ما يواجه به، محتسباً أجره عند ربه، فيتحمل كل أذية، ويكون متوقعاً لها،راصداً لها رصيداً من الصبر والتحمل والصفح والعفو عن عباد الله ليدخل فى زمرة ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى ۞ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ جاعلاً عقيدته بصره الذى يُبْصِرُبه، وفكره الذى ينفذ به، ولسانه الذى ينطق به «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما

(١) صحيح البخارى رقم (٣٣٤٠) كتاب المناقب.

أخطأك لم يكن ليصيبك، جفت الأقلام وطويت الصحف» ثم لا بد للداعى إلى الله أن يتهم نفسه ويكون بعيداً عن تزكيتها لئلا تقتنصه بالعجب فيرضى عنها، وهى الأمارة بالسوء.

ولا تستوحش أخى الداعية من الرجوع إلى الحق، فالحق أحق أن يتبع، وفوق كل ذى علم عليم، احذر أن يفترسك الغَرور بالغُرور فهو خبير بما يقتنص به الغافلين. واستمع معى لقول أحد أساطين الدعوة ومجدد من علماء الأمة، أوذى فى ذلك بغير حق، إلا أنه جدد ما اندرس من دين الله، وصدع بالحق وثبت عليه ثبوت الجبل الراسى، ذلك هو أحمد بن عبد الحليم.

يقول معلماً ومرشداً ومصرحاً برجوعه إلى الحق: وذلك فى مبحث تكلم فيه عن عقيدة سلف الأمة فى قيام صفات الله تعالى به، وبعد أن ذكر الأدلة وقطع حجة النفاة لهذه العقيدة وبين أنه لا دليل معهم على ما ادعوه لا من النقل ولا من العقل.

قال: ولكن هذه المسألة، ومسألةُ الزيارة وغيرهما حدث من المتأخرين فيها شُبَهٌ.

وأنا وغيرى كنا على مذهب الآباء فى ذلك، نقول فى الأصلين بقول أهل البدع، فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله، أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فكان الواجب هو اتباع الرسول، وأن لا نكون ممن قيل فيه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ . . .﴾ [٢١: سورة لقمان].

وقد قال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ . . .﴾ [٢٤: سورة الزخرف].

فالواجب اتباع الكتاب المنزل، والنبى المرسل، وسبيل من أناب إلى الله، فاتبعنا الكتاب والسنة كالمهاجرين والأنصار، دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير الآباء، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. أهـ. مجموع الفتاوى ٦/٢٥٨.

وهنا وقف بنا قلم التمهيد، ولعلنا قد مهدنا لما قصدناه من شرح لعقائد التوحيد.

الباب الأول

ويحوى من المباحث ما يلى:

أولاً: حديث جبريل: طرقه وشرحه

مبحث: الإسلام والإيمان
مبحث: أركان الإسلام
مبحث: الإحسان.
مبحث: الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته
مبحث: التاويل اللغوى السلفى والتاويل الخلفى المجازى وأقسامه
مبحث: الوسوسة - أو الشبهات فى العقائد - وعلاجها
مبحث: الإيمان بالملائكة
مبحث: الإيمان بالكتب
مبحث: الإيمان بالرسل
مبحث: توحيد الاتباع
مبحث: معجزات الرسل وكرامات الأولياء
مبحث: الإيمان باليوم الآخر
مبحث: الإيمان بالقضاء والقدر
مبحث: مسائل تتعلق بالقدر كالإرادة والأسباب

طرف مما ذكره بعض العلماء عن عظمة حديث جبريل ومكانته فى الدين

قال القرطبى: هذا الحديث يصلح أن يقال له: أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة. وقال الطيبى: لهذه النكتة افتتح به البغوى كتابيه: «المصابيح»، و«شرح السنة» اقتداء بالقرآن فى افتتاحه بالفاتحة لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً.

وقال القاضى عياض: اشتمل حديث جبريل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.

وقال النووى: هذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف والآداب واللطائف، بل هو أصل الإسلام.

وقال الحافظ عبد الرحمن بن رجب: هو حديث عظيم الشأن جداً يشتمل على شرح الدين كله.

قلت: نبه الحافظ على طريق لحديث جبريل يستنبط منها أنه بيان من السنة لكمال الدين لموافقته لقول الله تعالى: ﴿. . . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . .﴾ الآية [٣: سورة المائدة]. معنى وزمناً، بل ربما كان بعد نزولها.

قال: روى ابن منده: فى كتاب الإيمان بإسناده الذى على شرط مسلم من طريق سليمان التيمى ـ فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ أوله «أن رجلاً فى آخر عُمُر النبى ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر

حديث عُمَر فى سؤال جبريل بطوله قال: وآخر عُمْره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع، فإنها آخر سفراته، وكأنه - أى جبريل - إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين - التى بلغها متفرقة - فى مجلس واحد لتنضبط أهـ. فتح البارى ١/١٤٦.

قلت: هذا الحديث العظيم وردت آيات من القرآن الكريم بنحو ما فيه من الأركان العقائدية: كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ. . .﴾ [١٧٧: سورة البقرة].

وقوله جل ذكره: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ . . .﴾ [٢٨٥: سورة البقرة]. وصرح القرآن بأن الإيمان بها لازم والكفر بها ضلال بعيد ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [١٣٦: سورة النساء].

حديث جبريل: رواية أبى هريرة رضى الله عنه

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: البخارى ـ رحمه الله ـ

حَدَّثَنِى إسحاقُ، عن جَرِيرٍ، عن أبى حَيَّانَ، عن أبِى زُرْعَةَ، عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ: كَانَ يَوْماً بَارِزاً لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِى، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله مَا الإِيمَانُ؟ قال: «الإِيمَانُ أن تُؤمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ» قال: يا رسول الله مَا الإِسْلامُ؟ قال: «الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رسول اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ؟ قال: «الإِحْسَانُ أن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاه، فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قال: يا رسول الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قال: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِن سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِى خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ . . .﴾ ثم انصَرَفَ الرجُلُ، فقالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ» فأخَذُوا لِيَرُدُّوا، فلم يَرَوْا شيئاً، فقال: «هَذَا جِبْرِيلُ، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ» متفق عليه[1].

وهذا لفظ البخارى فى كتاب التفسير وقد خرج هذا الحديث فى موضعين من الجامع الصحيح: أحدهما هذا، والثانى كتاب الإيمان، وإنما سُقت لفظ كتاب التفسير لزيادات وافقه عليها مسلم لم توجد فى كتاب الإيمان.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٤٩٩) (٤٧٧٥) كتاب التفسير، ورقم (٥٠) كتاب الإيمان. وصحيح مسلم رقم (٩) ورقم (١٠) كتاب الإيمان.

ذكر أهم طرق رواية أبى هريرة لحديث جبريل

١ ـ قال البخارى ـ فى كتاب الإيمان ـ حدثنا مسدد، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أبو حيان التيمى، عن أبى زرعة عن أبى هريرة... وساق الحديث.

٢ ـ وقال مسلم: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبى حيان، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة...

٣ ـ وقال أيضاً: حدثنى زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن عمارة ـ وهو ابن القعقاع ـ عن أبى زرعة عن أبى هريرة...

٤ ـ وقال أبو داود[١]: حدثنا عثمان بن أبى شيبة، ثنا جرير عن أبى فروة الهَمْدانى، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى ذر وأبى هريرة... قالا:...

٥ ـ وقال النسائي[١]: أخبرنا محمد بن قدامة، عن جرير عن أبى فروة، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة وأبى ذر. قالا...

٦ ـ وقال ابن ماجه[١]: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، قال: حدثنا إسماعيل بن علية، عن أبى حيان، عن أبى زرعة عن أبى هريرة...

والحاصل: أن طريق البخارى فى كتاب الإيمان وطريق مسلم الأولى وطريق ابن ماجه: عن إسماعيل بن إبراهيم ـ وهو ابن عُليّة ـ عن

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٦٩٨) كتاب السنة. وسنن النسائى رقم (٤٩٩١) كتاب الإيمان. وسنن ابن ماجه رقم (٥٢) المقدمة.

أبى حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة. . . ومن هذه الطريق رواه ابن خزيمة فى صحيحه ـ أول حديث من كتاب الزكاة.

وطريق البخارى فى كتاب التفسير عن جرير بن عبد الحميد عن أبى حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة. . . وكذا ابن خزيمة أيضاً. وطريق مسلم الثانية عن جرير عن عمارة بن القعقاع، عن أبى زرعة عن أبى هريرة. . .

وطريق أبى داود والنسائى، كلاهما عن جرير عن أبى فروة الهمدانى، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة وأبى ذر. زاد أبو فروة فى روايته: أبا ذَرٍّ مع أبى هريرة. . .

قال الحافظ: ـ فى فتح البارى ـ لم أر هذا الحديث من رواية أبى هريرة إلا عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير هذا عنه، ولم يخرجه البخارى إلا من طريق أبى حيان عنه، وقد أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه. أهـ.

قلت: وفى هذه الطرق فوائد زوائد سنذكرها إن شاء الله تعالى، فى التعليق على هذا الحديث العظيم.

*خالد

حديث جبريل: رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى: ـ رحمه الله ـ حدَّثَنِى زُهَيرُ بْنُ حَرْبٍ، حدثنا وَكِيعٌ، عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عبد الله بن بُرَيْدَةَ، عَن يَحْيَى ابنِ يَعْمَرَ. ح

وَحَدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. وهذا حَدِيثُهُ[١]: حَدَّثَنَا أَبِى، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، عن ابْنِ بُرَيْدَةَ، عن يحيى بن يعمر، قال: كَانَ أَوَّلَ من قال فِى القَدَرِ بِالبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فانطَلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرَّحمن حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عبْدُ الله بن عُمَر بْنِ الخطاب، . . . فقلت: أبا عبدِ الرحمن إنه ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ[٢] الْعِلْمَ، وَيَزْعُمُونَ أَن لا قَدَرَ، وَأنّ الأَمْرَ أُنُفٌ[٣]، قَال: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُم أَنِّى بَرِيءٌ منهم

---

(١) قال النووى: قول مسلم أولاً: حدثنى زهير بن حرب، ثم قال فى الطريق الآخر: وحدثنا عبيد الله بن معاذ، ففرق بين حدثنى وحدثنا، وهذا تنبيه على القاعدة المعروفة، وهى: أنه يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ حدثنى، وفيما سمعه مع غيره من لفظ الشيخ حدثنا. وقال فى انطريق الأول: حدثنا وكيع عن كهمس ثم أعاد الرواية فى الطريق الثانى عن كهمس. لأن وكيعاً قال: عن كهمس، ومعاذ قال: حدثنا كهمس. وفى الاحتجاج بالمعنعن خلاف، ولم يقع خلاف فى المتصل بحدثنا، فأتى مسلم بالروايتين كما سُمِعَتَا، ولينبه على ما ذكر. وأما قوله: ح. بعد يحيى بن يعمر فى الرواية الأولى فهى حاء التحويل من إسناد إلى إسناد فيقول القارىء إذا انتهى إليها حاء قال: وحدثنا. اهـ باختصار.

(٢) يتقفرون بتقديم القاف على الفاء، معناه يطلبونه ويتتبعونه.

(٣) أنف بضم الهمزة والنون، أى مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى.

وأنهم بُرَآءُ مِنِّى، والذى يحلِفُ به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مِثْلَ أُحُد ذَهَباً فَأَنفقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْه حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَر. ثم قال:

حدثَنِى أَبِى عمرُ بْنُ الخَطابِ، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِندَ رسول الله ﷺ ذَاتَ يوم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «الإِسلام أَنْ تَشْهَدَ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ، وَتصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» قال: صَدَقْتَ، قال: فَعَجِبْنَا له يسأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ، قال: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ؟ قال: «أَن تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قال: صدقتَ، قال: فأخبرنى عن الإحسان. قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِن لَّمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قال: فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قال: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَاتِهَا، قال: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ». قال: ثُمَّ انطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قال لِى: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ»؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» رواه مسلم(١).

---

(١) صحيح مسلم رقم (٨) كتاب الإيمان.

ذكر أهم طرق رواية عمر لحديث جبريل

حديث عمر هذا ـ حديث جبريل ـ رواه الأئمة كلهم عدا البخارى هكذا.

١ ـ ورواه الإمام أحمد فى المسند عن سليمان بن بريدة ـ وهو أخو عبد الله بن بريدة ـ عن يحيى بن يعمر، عن عبد الله بن عمر، قال: بينما نحن عند النبى ﷺ ثم ذكر الحديث، فجعله من مسند ابن عمر، لا من روايته عن أبيه.

٢ ـ وخرجه الطبرانى من طريق عطاء بن أبى رباح أيضاً عن عبد الله بن عمر، قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل حسن الوجه الحديث... قال الهيثمى: ـ فى مجمع الزوائد ـ ورجاله موثقون.

٣ ـ أما مسلم فقد رواه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر، وهى أشهر الطرق، ووافقه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه سنداً ومتناً[(١)].

٤ ـ وخرجه النسائى قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا النضر ابن شُمَيْل عن كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر به...[(٢)].

ورواه عن كهمس هذا طائفة من الحفاظ.

٥ ـ وتابعه مَطَر الوراق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر...

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٦٩٥) كتاب السنة. جامع الترمذىٰ رقم (٢٦١٠) كتاب الإيمان. سنن ابن ماجه رقم (٥١) المقدمة.

(٢) سنن النسائى رقم (٤٩٩٠) كتاب الإيمان وشرائعه.

٦ ـ وتابعه سليمان التيمى عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر.

٧ ـ وكذا رواه عثمان بن غِياث عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر، وحميد بن عبد الرحمن معاً عن ابن عمر عن عمر، زاد فيه حميداً.

وقد خرج مسلم هذه الطرق بأسانيدها لكنه لم يسق منها إلا متن الطريق الأولى، وأحال باقى الطرق عليها، وذكر أن فيها زيادة ونقصاناً.

فأما رواية مطر فأخرجها أبو عوانة فى صحيحه والبزار فى مسنده. وأما رواية سليمان التيمى فأخرجها ابن خزيمة فى صحيحه، وأما رواية عثمان بن غياث فأخرجها الإمام أحمد فى المسند. عن يحيى بن سعيد، عن عثمان بن غياث، حدثنى عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر...

وفى الباب عن أنس أخرجه البزار، والبخارى فى خلق أفعال العباد، بسند حسن، وعن ابن عباس وأبى عامر الأشعرى، عند أحمد وسندهما حسن.

وفى كل من هذه الطرق أيضاً فوائد زوائد سنتعرض لها عند التعليق على الحديث. وإنما جمعتها وعزوتها لذلك وللتنبيه على درجاتها.

التعليق وبيان فوائد وزوائد طرق هذا الحديث

قوله: «كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس» أى ظاهراً لهم غير محتجب عنهم. والبروز الظهور، وقد وقع فى رواية أبى فروة المذكورة آنفاً بيان ذلك البروز وسببه فإن أوله: «كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى أيَّهُم هو، حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دُكاناً من طين كان يجلس عليه». قوله: «إذ أتاه رجل يمشى» أى ملك فى صورة رجل، وفى كتاب الإيمان. «فأتاه رجل» ولأبى فروة: وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ فى مجلسه، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيب الناس ريحاً، كأن ثيابه لم يمسها دنس» وقد مر بنا قريباً فى حديث عمر «إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر» وفى رواية ابن حبان: «سواد اللحية»، وفى رواية لسليمان التيمى: «ليس عليه سحناء[1] السفر، وليس من البلد، فتخطى حتى بَرَكَ بين يدى النبى ﷺ كما يجلس أحدُنا فى الصلاة، ثم وضع يده على ركبتى النبى ﷺ» ولأبى فروة عند النسائى «وضع يده على ركبتى رسول الله ﷺ»، ولابن عباس وأبى عامر عند أحمد «ثم وضع يده على ركبتى النبى ﷺ»، فأفادت هذه الروايات أن الضمير فى قوله: «على فخذيه» يعود على النبى ﷺ، وبه جزم البغوى، ورجحه الطيبى لهذه الروايات ولأنه نسق الكلام خلافاً لما جزم به النووى فى شرح مسلم: أن جبريل وضع كفيه على فخذى نفسه، وحمله على أنه

---

(١) قال ابن الأثير: ـ فى النهاية ـ السحنة والسحناء بشرة الوجه وهيأته وحاله.

جلس كهيئة المتعلم. قيل: لعله أراد بذلك المبالغة فى تعمية أمره.

فإن قيل: كيف عرف عمر أنه لم يعرفه أحد منهم؟ قيل: إنه استند إلى ظنه، وقيل: - وهو الصحيح - إنه استند إلى صريح قول الحاضرين. فقد جاء فى رواية عثمان بن غياث «فنظر القوم بعضهم إلى بعض: ما نعرف هذا، وما هذا بصاحب سفر» أى قالوا ذلك.

وأفاد مسلم فى رواية عُمارة بن القَعْقَاع سبب ورود الحديث، فعنده فى أوله: قال رسول الله ﷺ: «سلونى» فهابوا أن يسألوه، قال: فجاء رجل... الحديث.

قوله فى الحديث: «فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟» هكذا عند مسلم، وللبخارى فى كتاب الإيمان، «فقال: ما الإيمان؟. ولمسلم عن عمر: قال فأخبرنى عن الإيمان. وله من رواية عمارة بن القعقاع «فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟».

فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أجيب بأنه يحتمل أن ذلك لبيان عدم وجوب البدء بالسلام، أو أنه سَلَّمَ فلم ينقله الراوى. وهذا هو المعتمد، فقد ثبت فى رواية أبى فروة، ففيها بِعد قوله، السابق «كأن ثيابه لم يمسها دنس، حتى سلّم فى طرف البساط[1]، فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام، قال: أدنو يا محمد؟ قال: ادنه، فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له أدن» وفى رواية مطر الورَّاق: فقال: يا رسول الله أدنو منك؟ فقال: ادن» ولم يذكر السلام، ومن ذكر السلام مقدم على

---

(١) هذا لفظ النسائى فى السنن، ولفظ أبى داود «حتى سلم من طرف السماط» وهى فى بعض نسخ النسائى وهى التى شرح عليها السندى فى حاشيته على النسائى ثم قال: وفى بعض النسخ «حتى سلم فى طرف البساط» اهـ.

والسماط: بكسر السين الصف من الناس، والبساط: فراش معروف.

من سكت عنه، وهو مما أفادته رواية أبى فروة.

وقوله فى الحديث «الإيمان أن تؤمن بالله الخ، سيأتى الكلام على الإسلام والإيمان. فى بحث مستقل إن شاء الله. وقوله «وكُتُبِه» قال الحافظ: إنها عند الأصيلى وحده فى كتاب الإيمان، وإن رواة البخارى اتفقوا على ذكرها فى كتاب التفسير أهـ. قلت: هى ثابتة عند مسلم فى روايتى حديث أبى هريرة بالإفراد، وفى حديث عمر بالجمع.

قال الحافظ: وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظراً للترتيب، لأنه سبحانه أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول.

قوله: «وبلقائه» هذه وقعت فى كتاب الإيمان بين الكتب والرسل، وهكذا هى عند مسلم من طريقىْ حديث أبى هريرة ولم تقع فى بقية الروايات. وقد قيل: إنها مكررة لأنها داخلة فى الإيمان بالبعث، قال الحافظ: والحق أنها غير مكررة، فقيل: المراد بالبعث القيام من القبور، والمراد باللقاء ما بعد ذلك، وقيل: اللقاء يحصل بالانتقال من دار الدنيا، والبعث بعد ذلك. ويدل على هذه رواية مطر الوراق، فإن فيها «وبالموت وبالبعث بعد الموت» وكذا فى حديث أنس وابن عباس أهـ.

وقوله: «ورسله» وقع فى حديث أنس وابن عباس «والملائكة والكتاب والنبيين» وفى رواية أبى فروة «وملائكته والكتاب والنبيين» وكل من السياقين وارد فى القرآن فى سورة البقرة. والتعبير بالنبيين يشمل الرسل من غير عكس.

وقوله: «وتؤمن بالبعث الآخر» وكذا عند مسلم فى رواية ابن عُلَيَّة. وعند البخارى فى كتاب الإيمان، ومسلم فى رواية ابن القعقاع «وتؤمن بالبعث» فقط، ولمسلم من حديث عمر «واليوم الآخر»، فأما البعث الآخر فقيل: ذكر الآخر تأكيداً كقولهم: أمس الذاهب. وقيل: لأن البعث وقع

مرتين: الأولى الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا، والثانية البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر، فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا.

وزاد مسلم فى حديث عمر «وتؤمن بالقدر خيره وشره» ومن رواية عُمارة بن القعقاع «وتؤمن بالقدر كله» وفى رواية عبد الله بن عمر عند الطبرانى «وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله». قال الحافظ: وكأن الحكمة فى إعادة لفظ و«تؤمن» عند ذكر البعث: الإشارة إلى أنه نوع آخر مما يؤمَنُ به لأن البعث سيوجد بعدُ، وما ذكر قبله موجود الآن، وللتنويه بذكره لكثرة من كان ينكره من الكفار، وهكذا الحكمة فى إعادة لفظ «وتؤمن» عند ذكر القدر، ثم قرره بالإبدال بقوله: «خيره وشره حلوه ومره» ثم زاده تأكيداً فى الرواية الأخيرة بقوله: «من الله».

ولم يذكر الحج فى حديث أبى هريرة وقد ذكر فى بعض طرق الحديث كحديث عمر عند مسلم «وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» وفيه من طريق سليمان التيمى عند ابن خزيمة[1] «وتحج البيت، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان». قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: «نعم» وفى جواب الإيمان «وتؤمن بالجنة والنار والميزان». قال: فإذا فعلتُ ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نعم». هذا من الفوائد الزوائد فى رواية سليمان التيمى. وقريب منها رواية مطر الوراق، عند البزار، وزاد عند جواب «الإحسان» قال: فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: «نعم» قال صدقت، قال الحافظ: فتبين أن بعض الرواة ضبط ما لم

(١) هذه الطريق أول حديث فى صحيح ابن خزيمة وخرجها أيضاً فى أول أبواب العمرة ولصحتها وكثرة ما أفادته من الزوائد كثر اعتناء العلماء بها.

يضبطه غيره. قوله: «وتقيم الصلاة» زاد مسلم «المكتوبة» أى المفروضة، وإنما عبر «بالمكتوبة» فى الصلاة للتفنن كما عبر فى الزكاة «بالمفروضة» ولاتباع قوله تعالى: ﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [١٠٣: سورة النساء].

وقوله: «الإحسان أن تعبد الله... الخ» إشارة إلى حالتين: أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه حتى كأنه يراه بعينه، وذلك فى قوله: «كأنك تراه». والثانية أن يستحضر أن الله مطلع عليه يرى كل ما يعمله، وهو قوله: «فإنه يراك». وسيأتى مبحث: فى الإحسان إن شاء الله تعالى. ولمسلم «فإنك إن لا تراه فإنه يراك» وله أيضاً «فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك» الأولى: رواية إسماعيل بن عُلية. والثانية: لعمارة بن القعقاع.

وزاد مسلم فى رواية عمارة «صدقتَ» عقب كل جواب من الأجوبة الثلاثة. وزاد أبو فروة فى روايته: «فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه» وفى رواية كهمس عند مسلم وغيره «فعجبنا له يسأله ويصدقه قال القرطبى: إنما عجبوا من ذلك لأن ما جاء به النبى ﷺ لا يعرَفُ إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عُرف بلقاء النبى ﷺ، ولا بالسماع منه، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه.

قوله: «متى الساعة؟» أى متى تقوم الساعة؟ وهو لفظ رواية عمارة ابن القعقاع. واللام فيها للعهد، والمراد يوم القيامة.

قوله: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» «ما» نافية، وزاد فى رواية أبى فروة: بعد قوله: «متى الساعة؟ فنكَسَ فلم يُجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً، ورفع رأسه فقال: ما المسؤول...» والباء فى «بأعلم» زائدة، والمراد بالتساوى فى العلم هنا أن الله تعالى استأثر بعلم الساعة لقوله بعدُ «فى خمس لا يعلمهن إلا الله».

قال القرطبى: مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة، لأنهم قد أكثروا السؤال عنها، كما ورد فى كثير من الآيات والأحاديث، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الأسئلة الماضية فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها أهـ.

قوله: «ولكن سأحدثك عن أشراطها» فى كتاب الإيمان: «وسأخبرك عن أشراطها» وفى رواية أبى فروة «ولكن لها علامات تعرف بها» وفى رواية سليمان التيمى «ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها، قال: أجل» ونحوه فى حديث ابن عباس وزاد «فحدثنى» والأشراط المذكورة ثلاثة: ولادة الأمة ربتها. وترؤس الحفاة العراة هنا، وفى كتاب الإيمان: تطاول رعاة الإبل فى البنيان. وإنما اقتصر بعض الرواة على بعضها، وذكرها البعض كاملة، كما وقع فى رواية عُمارة بن القعقاع، ورواية سليمان التيمى، ورواية أبى فروة.

والأشراط العلامات، وهى بفتح الهمزة جمع شَرَط بفتحتين كقلم وأقلام، والمراد بها هنا ما يسمى العلامات الصغرى. قوله: «إذا ولدت الأمة ربتها» بتاء التأنيث، وكذا فى حديث عمر، وفى كتاب الإيمان للبخارى «ربها» بالتذكير، وفى رواية عمارة بن القعقاع عند مسلم «إذا رأيت المرأة تلد ربها» ونحوه لأبى فروة، وفى رواية عثمان بن غياث «وولدت الإماء رباتهن» بلفظ الجمع. ولمسلم من رواية محمد بن بشر عن أبى حيان «إذا ولدت الأمة بعلها» يعنى السرارى أهـ.

والمراد بالرب المالك، أو السيد، وكذلك «البعل» هو: المالك على القول الصحيح. وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً فى معنى ذلك وتفسيره إلى سبعة أوجه. قال الحافظ: لكنها متداخلة، وقد لخصتها بلا

تداخل فإذا هى أربعة أقوال أهـ.

وأنا أذكرها مختصرة إن شاء الله تعالى.

الأول: أن يملك الرجل الأمة فيطأها بالملك فتلد له، فيكون ولدها بمنزلة ربها، لأنه ولد سيدها. قال النووى: هو قول الأكثرين. وقال الحافظ: فيه نظر، لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين مقالة النبى ﷺ، واتخاذ السرارى وقع أكثره فى صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضى الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة.

الثانى: أن تبيع السادة أمهات أولادهم، فيتداول الملاّك المستولدة حتى يشتريها ولدها وهو لا يشعر.

الثالث: أن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقاً بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة فى الصورتين بيعاً صحيحاً، وتدور فى الأيدى حتى يشتريها ابنها أو بنتها.

الرابع: أن يكثر العقوق فى الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربى فيكون حقيقة. قال: وهذا أوجَه الأوجُه عندى لعمومه، والتعبير «بإذا» للإشعار بتحقق الوقوع.

قوله: «وإذا كان الحفاةُ العراةُ» وفى كتاب الإيمان «وإذا تطاول رعاة الإبل البُهْم فى البنيان» وعند مسلم فى حديث عمر: «وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» وفى حديث أبى هريرة: رواية ابن القعقاع عنده «وإذا رأيت الحفاة العراة الصُمَّ البُكم ملوك الأرض» ولأبى فروة «إذا رأيت الرعاء البُهم يتطاولون» ولمسلم من رواية ابن عُليَّة «إذا تطاول رعاء البَهم فى البنيان». ولابن ماجه «إذا تطاول رعاء الغنم فى البنيان».

وقوله: «رؤوس الناس» أى ملوك الأرض، وهو صريح رواية أبى فروة «ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض» والمراد بهم أهل البادية كما صرح به فى رواية سليمان التيمى: قال: «ما الحفاة العراة؟» قال: «العُرَيْبُ» وهو بالعين المهملة على التصغير. وقيل لهؤلاء: الصم البكم مبالغة فى وصفهم بالجهل، و«البهم» بضم الباء السود. أو مجهولوا الأنساب وبفتح الباء أولاد الضأن.

قال القرطبى: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولى أهل البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم، وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به.

قوله: «فى خمس. . . » أى علم وقت الساعة داخل فى جملة خمس قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ . . .﴾ أى تلا النبى ﷺ الآية إلى آخر السورة كما هو صريح رواية مسلم وغيره. قال الحافظ وما وقع عند البخارى فى كتاب التفسير من قوله: إلى (الأرحام) فهو تقصير من بعض الرواة، والسياق يدل على أنه قرأ الآية كلها.

قوله: «ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا عليّ، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً» وفى كتاب الإيمان «ثم أدبر، فقال: ردوه، فلم يروا شيئاً» وعند مسلم من رواية عمارة «ثم قام الرجل، فقال رسول الله ﷺ: ردوه عليّ فالتمس فلم يجدوه». فيه: أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبى فيراه ويتكلم بحضرته وهو يسمع، وقد ثبت عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان يسمع سلام الملائكة إذ كانت تسلم عليه.

قوله: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم» وهكذا لفظ رواية ابن علية عند مسلم، ورواية عمارة بن القعقاع: «هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا» وفى رواية أبى فروة «والذى بعث محمداً بالحق ما كنتُ بأعلم

به من رجل منكم وإنه لجبريل» وفى رواية سليمان التيمى «ثم نهض فولى، فقال رسول الله ﷺ: «عليّ بالرجل، فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، فوالذى نفسى بيده ما اشتبه عليّ منذ أتانى قبل مرتى هذه، وما عرفته حتى ولى» قال الحافظ: إسناد التعليم إلى جبريل مجازى، لأنه كان السبب فى الجواب، فلذلك أمر بالأخذ عنه. واتفقت الروايات على أن النبى ﷺ أخبر الصحابة بشأنه بعد أن التمسوه فلم يجدوه، وأمَّا مَا وقع عند مسلم وغيره من حديث عمر «ثم انطلق، قال عمر: فلبثت ملياً، ثم قال لى: يا عمر أتدرى من السائل؟» فإنه استشكل هذا بأن عمر قال فى أول الحديث: بينما نحن عند رسول الله ﷺ. . . وبأنه ﷺ أخبر الصحابة فى الحال بأن السائل جبريل، قيل: إن النبى ﷺ أعلمهم به بعد مضى وقت، ولكنه فى ذلك المجلس، جمعاً بين الروايتين. لكن هذا الجمع مردود بما ورد فى رواية أبى داود والنسائى «قال عمر: فلبثت ثلاثاً، ثم قال لى: . . .» وعند الترمذى «فلقينى النبى ﷺ بعد ذلك بثلاث» ورواية أبى عوانة «فلبثنا ليالى، فلقينى رسول الله ﷺ بعد ثلاث» ولابن منده «بعد ثلاثة أيام».

وجَمَع النووى بين الروايتين: بأن عمر لم يحضر قول النبى ﷺ فى الحال، بل كان ممن قام من المجلس، فأخبر النبيُّ ﷺ الحاضرين فى الحال، وأخبر عمر بعد ثلاثة أيام، دل عليه قوله: «فلقينى» وقوله: «فقال لى يا عمر» فوجه الخطاب له وحده، بخلاف إخباره للصحابة، وهو جمع حسن أهـ.

قلت: يؤيد هذا الجمع رواية عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - نفسه لحديث جبريل الذى سبق أنه رواه الإمام أحمد فى المسند والطبرانى فى

المعجم الكبير، وأوله: كنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل. . . وآخره: فقال النبي ﷺ: «عليّ بالرجل» قال: فقمنا وقمت أنا إلى طريق من طرق المدينة، فلم نَرَ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل يعلمكم مناسك دينكم. . .».

قال الحافظ: دلت الروايات التى ذكرناها على أن النبى ﷺ ما عرف أن السائل جبريل إلا فى آخر الحال، وأن جبريل أتاه فى صورة رجل حسن الهيئة لكنه غير معروف لديهم، وأما ما وقع فى رواية النسائى من طريق أبى فروة فى آخر الحديث «وإنه لجبريل نزل فى صورة دحية الكلبى» فإن قوله: «نزل فى صورة دحية الكلبى» وَهْمٌ، لأن دحية معروف عندهم، وقد قال عمر: «ما يعرفه منا أحد» وقد أخرجه محمد بن نصر المروزى فى كتاب الإيمان له، من الوجه الذى أخرجه منه النسائى فقال فى آخره: «فإنه جبريل جاء ليعلمكم دينكم» حسب. وهذه الرواية هى المحفوظة لموافقتها لباقى الروايات. قال: قال ابن المُنَيِّر: فى قوله ﷺ: «يعلمكم دينكم» دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلماً، وقد اشتهر قولهم: حُسْنُ السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً أهـ.

«تنبيه» يجمع بين ما فى هذا الحديث من إطلاق الرب على السيد المالك، فى قوله: «ربها» وبين ما فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّىءْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ سَيِّدِى وَمَوْلاَىَ**. . .» متفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٤١٤) كتاب العتق. صحيح مسلم رقم (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ من الأدب.

بأن المراد بالرب هنا المربى، وفى المنهى عنه السيد، أو أن النهى عنه متأخر، أو مختص بغير الرسول ﷺ.

قال النووى: من فوائد هذا الحديث أن فيه: أنه ينبغى لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها، أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع. وفيه: أنه ينبغى للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض. وفيه: أنه ينبغى للعالم والمفتى وغيرهما إذ سئل عما لا يعلم، أن يقول: لا أعلم أهـ.

«تنبيه» اختلفت روايات حديث جبريل فى تقديم الإسلام على الإيمان وعكسه، ففى حديث أبى هريرة بدأ بالسؤال عن الإيمان لأنه الأصل، وثنى بالإسلام لأنه يُظهر مصداق الدعوى، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما. وفى رواية عمارة بن القعقاع وحديث عمر، وكلاهما عند مسلم بدأ بالإسلام لأنه الأمر الظاهر وثنى بالإيمان، لأنه الأمر الباطن، ورجح هذا الطيبِئ لما فيه من الترقى، وفى رواية مطر الوراق: بدأ بالإسلام، وثنى بالإحسان، وثلث بالإيمان. ويرى الحافظ أن ذلك راجع لاختلاف الرواة فى تأدية القصة لأنها واحدة، فالتقديم فيها والتأخير وقع من الرواة. والله أعلم(١).

(١) انظر لهذه الطرق وهذا التعليق فتح البارى ١/١٤١ ـ ١٥٢ط: المكتبة السلفية وغيره من المراجع التى قدمت ذكر بعضها فى المقدمة، وإنى لم أقلد الحافظ فى هذه الطرق وإن كان ـ رحمه الله ـ أخذ بيدى إليها بل إنى تتبعتها فى أمهات المصادر واطلعت على أسانيدها ومتونها إلا النزر القليل ولله الحمد.

مبحث: الإسلام والإيمان

أصل الإسلام الاستسلام، وهو الطاعة والانقياد فى الظاهر، وأصل الإيمان، التصديق والإذعان فى الباطن، وقد كثر نزاع الناس فى الفرق بينهما، هل هما شيء واحد، أو هما مختلفان.

وقد فرق النبى ﷺ فى حديث جبريل - عليه السلام - بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومسمى الإحسان، وجعل الدين فيه ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، والإيمان أخصّ من الإسلام.

وقالت طائفة: على رأسها الإمام ابن شهاب الزهرى: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، وقالت أخرى منها محمد بن نصر المروزى: إن الإسلام هو الإيمان، وأنهما لا يفترقان ولا يتباينان.

قال الشيخ تقى الدين: هذان قولان متطرفان، قول من يقول: الإسلام مجرد الكلمة، والأعمال الظاهرة ليست داخلة فى مسمى الاسم، وقول من يقول: مسمى الإسلام والإيمان واحد، وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل وسائر أحاديث النبى ﷺ أهـ.

قال الإمام أبو عمرو ابن الصلاح:

قوله ﷺ: **«الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»** إلى آخره، والإيمان **«أَن تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»** إلى آخره. قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام

والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الإسلام ومعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده أو انحلاله.

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام فى هذا الحديث، وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقومات ومتممات وحافظات له، ولهذا فسر النبى ﷺ الإيمان فى حديث وفد عبد القيس بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لايقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة، لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه، ولا يستعمل فى الناقص ظاهراً إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه فى قوله ﷺ «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن» واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً. قال: فهذا تحقيق وَافٍ بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة فى الإيمان والإسلام التى طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم أهـ. بواسطة شرح النووى لصحيح مسلم ١/ ١٤٨.

وحكى الإسماعيلى عن أهل السنة والجماعة قالوا: تختلف دلالة الإسلام والإيمان بالاقتران، فإذا أفرد أحدهما دخل الآخر، وعلى ذلك يحمل ما حكاه محمد بن نصر، وابن عبد البر عن الأكثر: أنهم سووا بينهما، وما حكاه اللالكائى عن أهل السنة: أنهم فرقوا بينهما على ما فى حديث جبريل. قاله الحافظ فى فتح البارى ١/ ١٤١.

قلت: وهكذا تجتمع الأقوال وتتفق على أن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الإسلام والإيمان متلازمان ويختلفان، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة أن لا إله إلا الله، غير شهادة أن محمداً رسول الله، وهما مرتبطتان فى المعنى والحكم، كشىء واحد، إذ لا تقبل إحداهما بدون الأخرى، فإذا ضمت شهادة أن لا إله إلا الله، إلى شهادة أن محمداً رسول الله، كان المراد من الأولى إثبات التوحيد، والمراد من الأخرى إثبات الرسالة لمحمد ﷺ، وكذا الإسلام والإيمان إذا قُرِن أحدهما بالآخر كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر كما فى قوله تعالى: ﴿... إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ [٣٥: سورة الأحزاب].

وكما فى قوله ﷺ: «... **اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ**...» متفق عليه(١). وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وهذا معنى قولهم: الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، فإذا أفرد اسم الإيمان دخل الإسلام، وإذا أفرد اسم الإسلام فقد يكون معه مؤمناً، وقد يكون مسلماً وليس مؤمناً.

ولكن ينبغى أن يُعلم أنه لا يكون مسلماً إلا بإيمان وإن قل، إلا إذا كان إسلامه من جنس إسلام المنافقين.

قال الإمام ابن تيمية: إذا قيل: إن الإسلام والإيمان التام متلازمان، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر، كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حى إلا مع الروح، وليس أحدهما

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٠٦٩) كتاب التهجد. صحيح مسلم رقم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء.

الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن، ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر، وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح. قال:

وحقيقة الفرق: أن الإسلام دين، والدين مَصْدرُ دان يدين ديناً: إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذى ارتضاه الله وبعث به رسله هو: الاستسلام لله وحده، فأصله فى القلب هو الخضوع لله وحده، بعبادته وحده دون ما سواه فالإسلام فى الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له. **قال:** وقد أثبت الله فى القرآن إسلاماً بلا إيمان.

فى قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ...﴾ [١٤: سورة الحجرات]. نفى سبحانه عن هؤلاء الإيمان، وأثبت لهم الإسلام.

واختلف فى هذا الإسلام هل هو إسلام يثابون عليه، أم هو من جنس إسلام المنافقين، فيه قولان مشهوران للسلف والخلف، أحدهما: أنه إسلام يثابون عليه، ويخرجهم من دائرة الكفر والنفاق، وهو اختيار أكثر العلماء كالحسن البصرى، وإبراهيم النخعى وأحمد بن حنبل ويروى عن ابن عباس وابن سيرين، قيل: هؤلاء أعراب ادَّعَوْا درجة إيمان المهاجرين ولم يصلوا إليها فكذبهم الله فى ما ادعوه.

والقول الثانى: أن هذا الإسلام مثل إسلام المنافقين، هو استسلام خوف السبى والقتل، وعليه فهؤلاء كفار، فإن الإيمان لم يدخل فى

قلوبهم، ومن لم يدخل الإيمان فى قلبه فهو كافر، وهو اختيار البخارى، ومحمد بن نصر، قال: وأصحاب القول الأول لم يقولوا: إنه لم يكن مع هؤلاء من الإيمان شىء، بل هذا قول الخوارج والمعتزلة فى أصحاب المعاصى، وأهل السنة الذين قالوا هذا القول يقولون: الفساق يخرجون من النار بالشفاعة، وإن معهم إيماناً يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الإيمان المطلق، لأن من لم يكن من المؤمنين حقاً لتركه واجباً افترضه الله، أو لفعله ما حرمه الله يقال فيه: إنه مسلم ومعه إيمان يمنعه الخلود فى النار، وهذا متفق عليه بين أهل السنة، لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان؟

هذا فيه النزاع المعروف، قيل: يقال مسلم، ولا يقال مؤمن، وقيل: بل يقال مؤمن.

والتحقيق: أن يقال: إنه مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، ولا يعطى اسم الإيمان المطلق، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه اسم الإيمان المطلق أهـ. ملخصاً مجموع الفتاوى ٧/ ٢٣٨.

الإيمان واختلاف الناس فيه

قد اختلف الناس فى الإيمان فذهب أهل السنة بأجمعهم سوى طائفة قليلة إلى أن الإيمان الذى يستحق به العبد الولاية من المؤمنين هو ما جمع ثلاثة أركان:

١ ـ التصديق بالقلب. ٢ ـ النطق باللسان. ٣ ـ العمل بالأركان.

وأجمعوا على أنه يزيد وينقص: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وحكى الإجماع على ذلك أئمة منهم: الإمام أحمد والإمام الشافعى وأبو عبيد القاسم بن سلام.

وقال حماد بن أبى سليمان[١] ومن تبعه من أهل الكوفة كالإمام أبى حنيفة وأتباعه: الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من يقول: هو التصديق بالقلب فقط، وهو المروى عن أبى حنيفة، ولا يرى هؤلاء أن الأعمال من الإيمان قولاً واحداً، فأرجأوا الأعمال عن الإيمان فسُمُّوا مرجئة أهل السنة، وقالوا: أيضاً الإيمان شىء واحد لا يزيد ولا ينقص والناس فيه سواء، فإيمان أهل المعاصى كإيمان الأنبياء والملائكة.

وذهب جهم بن صفوان وأتباعه كأبى الحسن الصالحى من أئمة القدرية إلى أن الإيمان هو أن تعرف ربك بالقلب فقط، والكفر هو الجهل بالرب فقط، أى أن الإيمان شىء واحد هو المعرفة بالقلب. وعلى

---

(١) وحماد هو أول من قال بهذا القول. لم يسبقه إليه أحد. من أهل السنة.

مذهبهم الفاسد يكون فرعون وإبليس اللعين مؤمنَين كاملى الإيمان، لأنهما يعرفان ربهما. قال العلماء: هذا أفسد قول فى الإيمان.

وأما مذهب الأشعرية فقال عنه أبو الحسن الأشعرى نفسه: الإيمان هو التصديق بالله، وهو العلم، وكل من حكمنا بكفره فنقول: إنه لا يعرف الله أصلاً أهـ.

وقال الباقلانى: ـ فى كتاب التمهيد ـ فإن قالوا: فخبرونا ما الإيمان عندكم؟ قيل: هو التصديق بالله وهو العلم.

قلت: قول أبى الحسن الأشعرى ـ فى كتابه: «الإبانة عن أُصول الديانة» ـ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص أهـ.

وهو الذى ذكره الأنصارى من أئمة الأشعرية عن بعضهم قال: وذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهبت الكرامية أتباع محمد بن كرام إلى أن الإيمان: الإقرار باللسان فقط، أى أنه شىء واحد على اللسان والمنافقون عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان، ولكنهم مستحقون للوعيد بالنار الذى فى القرآن.

قال شيخ الإسلام: الذى حمل مرجئة أهل السنة على قولهم، حذرهم من تبعض الإيمان وتعدده، لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه، بل ذلك عندهم يقتضى أن يجتمع فى القلب إيمان وكفر، وهذه الشبهة التى أوقعتهم، مع علم كثير منهم، وحسن إسلامه وإيمانه. قال: والنزاع فى مسألة الإيمان نزاع لفظى، فالقائلون بقول حماد متفقون مع أهل السنة على أنه لا يخلد أحد من أهل التوحيد فى النار.

قلت: استدل من قال الإيمان هو التصديق: بقوله ﷺ فى حديث

الجارية «. . . **اعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» بعد أن سألها فقال لها: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**» فأجابت بقولها: فِي السَّمَاءِ، قال: **مَنْ أَنَا**» قالت: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «**اعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» رواه مسلم(١).

ووجه الدلالة منه حكمه ﷺ بإيمانها لما صدقت بالله ورسوله.

ورد أهل السنة هذا الاستدلال بأنه لا يفيد ما ادعته المرجئة، لأن الإيمان الظاهر الذى تجرى عليه الأحكام فى الدنيا لا يستلزم الإيمان فى الباطن الذى يعد صاحبه مؤمناً ناجياً فى الآخرة، بدليل أن المنافقين الذين أظهروا الإيمان وهم فى الباطن كفار ـ نفى القرآن عنهم الإيمان ـ حكم النبى ﷺ عليهم بما أظهروه من الإيمان فى الحياة الدنيا وهم فى الآخرة فى الدرك الأسفل من النار، قالوا: والله تعالى لما أمر بعتق الرقبة المؤمنة لم يكن على الناس أن لا يعتقوا إلا من علموا أن الإيمان الحق فى قلبه، فإذا رأوا رقبة تظهر الإيمان جاز لهم عتقها لقوله ﷺ: «**إِنِّى لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**» رواه مسلم(٢).

ومن ردود أهل السنة دعوى أن الإيمان التصديق فقط. قالوا: إذا كان أصل الإيمان التصديق، فهو تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والصيام إمساك مخصوص.

وأدلة أهل السنة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص أكثر من أن تحصر، وقد أطنب البخارى فى ذكرها فى كتاب الإيمان من الجامع الصحيح، وبالغ ـ رحمه الله ـ فى سرد الآيات والأحاديث الدالة

---

(١) صحيح مسلم رقم (٥٣٧) كتاب المساجد.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة من حديث أبى سعيد الخدرى، ومعنى الحديث: إنى أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

على ذلك مثل قوله «باب: الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يَعْنِى صَلاتَكُمْ عِندَ الْبَيْتِ» وخرج تحت هذه الترجمة: حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما فى صلاة النبى ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، وأنه لما حولت القبلة إلى المسجد الحرام قال ناس: مات على القبلة قبل أن تحول رجال فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[1]. ورواه مسلم بدون قصة من مات قبل تحويل القبلة.

ونقل ابن جرير الطبرى وغيره عن كافة المفسرين من السلف تفسير «إيمانكم» بصلاتكم إلى بيت المقدس. قال الحافظ ـ عند شرح ترجمة البخارى هذه (يعنى صلاتكم عند البيت) ـ وقع التنصيص على هذا التفسير من الوجه الذى أخرج منه البخارى حديث البراء، فروى الطيالسى والنسائى عن البراء فى هذا الحديث: فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ قال: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ صَلاَةَ مَن مَاتَ وَهُوَ يُصَلِّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[2] قال الحافظ: من فوائد هذا الحديث الرد على المرجئة فى إنكارهم تسمية أعمال الدين إيماناً أهـ.

وكقوله: «باب: زيادة الإيمان ونقصانه» وخرج حديث أنس عن النبى ﷺ قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[3].

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٠) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٥٢٥) كتاب المساجد.

(٢) رواه النسائى فى كتاب التفسير عن البراء ومنه نقلته بلفظه رقم (٢٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخارى رقم (٤٤) كتاب الإيمان.. صحيح مسلم رقم (١٩٣) كتاب الإيمان.

ورواه مسلم كذلك، إلا أن طريق هشام الدستوائى عن قتادة فيها «من خير». مكان «من إيمان».

ونقل أبو القاسم اللالكائى إجماع السلف على مذهب أهل السنة، قال الحافظ: أطنب اللالكائى وابن أبى حاتم فى نقل هذا الإجماع عن كل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين أهـ. قلت: وقفت على اللالكائى فى كتابه «أصول اعتقاد أهل السنة» يروى بسند صحيح عن البخارى أنه قال: لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف فى أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص أهـ.

مبحث: أركان الإسلام وشعب الإيمان

للإسلام أركان هى دعائمه، كما للإيمان أركانه وشعبه، أما أركان الإسلام فأشار إليها القرآن فى آيات عديدة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ [١٣٦ : سورة النساء]. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ . . .﴾ [١٩ : سورة محمد] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [٤٣ : سورة البقرة].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . .﴾ [١٨٥ : سورة البقرة]. ﴿. . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . . .﴾ [٩٧ : سورة آل عمران]. ووردت هذه الأركان فى أحاديث منها ما فى حديث جبريل من طرقه المتعددة برواية جمع من الصحابة فى جواب النبى ﷺ لسؤال الإسلام.

ووردت فى حديث طلحة بن عبيد الله فى سؤال النجدى عن الإسلام، وكان يسأل هل عليه غيرها فيقول له النبى ﷺ «لاَ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ». ثم أقسم أن لا يزيد عليها ولا ينقص عنها، فقال النبى ﷺ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» متفق عليه(١).

وجاء التصريح فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بتحديدها بخمس، وبأنها أركان بنى عليها الإسلام وأسس.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٦) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (١١) كتاب الإيمان.

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**». متفق عليه(١). هذا لفظ البخارى فى كتاب الإيمان. وخرجه فى كتاب التفسير بتقديم الصيام على الزكاة، وتقديم الحج وهو الراجح.

فقد خرجه مسلم عن ابن عمر بلفظ «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَن يُوَحَّدَ اللَّهُ: وإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ**» فقال رجل: **الْحَجُّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ**؟ قال: لاَ، **صِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ**» هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ(١).

وفائدته ترتيب أركان الإسلام فأولها: الشهادتان، وثانيها: إقام الصلاة: وثالثها: أداء الزكاة، ورابعها: صوم رمضان، وخامسها: الحج. وقد خرج مسلم رواية للحديث عن ابن عمر فيها تقديم الحج على الصيام: وهى ورواية البخارى مرويتان بالمعنى. (١) قاله الحافظ في الفتح،

والمراد: بيان أن الإسلام مبنى على هذه الخمس اعتقاداً وعملاً، فهى كالأركان والدعائم لبنيانه فلا يثبت بنيانه بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شىء نقص البنيان لكنه يبقى قائماً لقيام دعائمه.

وإذا تقرر أن هذه الخمس أركان للإسلام، وتقرر أن الإيمان، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، فليعلم أن لهذه الأركان جانبين لا بد من القيام بهما.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٨) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (١٦) كتاب الإيمان. وقوله فى الحديث: «بنى الإسلام على خمس، وعلى خمسة» الأول: بدون هاء والمراد به: خمس دعائم أو قواعد. الثانى: بالهاء والمراد به خمسة أركان أو أشياء.

أولهما: الاعتقاد، وثانيهما: العمل، حتى يكون العبد مسلماً ومؤمناً، فلا بد من عقد القلب على الإيمان بأن الله تعالى افترض على عباده هذه الأركان فأوجب عليهم الإيمان، بتوحيده بالشهادة له بانفرداه بالإلهية والربوبية، والإيمان بأنه أرسل عبده محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، والإيمان بأنه تعالى فرض على عباده أداء الصلوات الخمس، وأنه أوجب فى أموال الناس الزكاة حسب ما بينه الرسول، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام على المستطيعين، حسب ما هو مقرر شرعاً، لا بد من اعتقاد هذه الأركان.

وثانياً: القيام بها عملاً، فلا بد من إعلان التوحيد والشهادة به لله تعالى، والشهادة لرسوله بالرسالة قولاً وعملاً، يوضح ذلك شعيرة الإسلام المعلنة دائماً، النداء للصلوات الخمس، ولا بد من أداء الصلوات الخمس تطبيقاً، وتأدية الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت مرة فى العمر على المستطيع، ومتى قام العبد بهذين الجانبين فقد قام بما يجب عليه، ومتى أخل بجانب الاعتقاد فهو كافر بالإجماع، ولو قام بالجانب العملى، وإذا قام بجانب الاعتقاد ولم يقم بالعمل بالأركان فهل يكفر أو لا يكفر، يقتل كفراً أو حداً؟ ولا شك فى كفره إذا امتنع من إعلان الشهادتين، لأنهما ركن أساسى لباقى الأركان.

وقد كفره كثير من العلماء بالنسبة للصلاة إذا تركها كسلاً أو انشغالاً، وكفره أيضاً بعضهم بترك أى ركن من هذه الأركان، ولو كان مؤمناً ملتزماً بأدائه، ويقتل تارك الصلاة عند الجمهور، كفراً عند بعضهم، وحداً عند البعض الآخر.

قال الشيخ تقى الدين: مبانى الإسلام الخمس يقتل تاركها فى الجملة عند جماهير العلماء، ويكفر أيضاً عند كثير منهم أو أكثر السلف،

ومن الأئمة من يقتله ويكفره بترك كل واحدة من الخمس لأن الإسلام بنى عليها، وهو قول طائفة من السلف ورواية عن الإمام أحمد، ومنهم من لا يقتله ولا يكفره إلا بترك الصلاة والزكاة معاً، وهى رواية عن الإمام أحمد، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ...﴾ [٥: سورة التوبة]. ومنهم من يقتله بهما، ولا يكفره إلا بالصلاة، وهى رواية عن الإمام أحمد.

قال: وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين أهـ. ملخصاً مجموع الفتاوى ٢٠/ ٩٥ ـ ٩٧.

قلت: وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه همّ بضرب الجزية على من لم يحج وقال: ما هم بمسلمين مرتين. رواه سعيد بن منصور، والبيهقى.

ومن العقائد التى لا بد من الإيمان بها: اعتقاد تحريم ما حرمه الله ورسوله، واعتقاد تحليل ما أحله الله ورسوله كالخمر والزنا، والخبز واللبن.

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ وَحرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئاً أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ» قال: وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئاً» رواه مسلم[١].

(١) صحيح مسلم رقم (١٥) كتاب الإيمان. ووجه الدلالة من الحديث: أن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن، فمن أحل الحلال وحرم الحرام وصلى وصام، فقد قام بأركان الإيمان فهو مؤمن.

قال الإمام أبو عمرو ابن الصلاح: الظاهر أنه أراد به أمرين: أن يعتقد الحرام حراماً، وأن لا يفعله، بخلاف الحلال فإنه يكفى مجرد اعتقاده حلالاً أهـ.

وقال الشيخ تقى الدين: الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين، والجاحد لها كافر باتفاق المسلمين، مع أن المجتهد فى بعضها ليس بكافر بالإتفاق مع خطئه أهـ.

وأما أركان الإيمان فوردت مفسرة فى حديث جبريل من طرقه المذكورة فى سؤاله النبى ﷺ عن الإيمان كما سبق.

وأما شعب الإيمان: فقد نصت السنة على مبلغ عددها، من غير تعيين لعينها، ولا حضرٍ لأنواعها.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»** متفق عليه(١). ولمسلم **«سَبْعُونَ شُعْبَةً»**.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٩) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٣٥) كتاب الإيمان. وقوله فى الحديث «الإيمان بضع..» البضع بكسر الباء فى العدد من ثلاث إلى تسع، وقيل: ما بين اثنى عشر إلى عشرين. وقوله: «شعبة» الشعبة بالضم القطعة والمراد: الخصلة أو الجزء. وقوله: «والحياء شعبة من الإيمان» الحياء لغة: تغير وانكسر يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به.

وشرعاً: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق، قال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبيح وهو من خصائص الإنسان، وهو مركب من جبن وعفة، فلذلك لا يكون المستحى فاسقاً، وقلما يكون الشجاع مستحياً. وكونه «من الإيمان» أى أنه أثر من آثاره. وقال ابن قتيبة: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الإيمان من ارتكابها.

ورواه مسلم بزيادة انفرد بها عن البخارى ولفظه:

عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**(١).

ورواه أصحاب السنن الثلاثة: أبو داود، والنسائى، والترمذى، من الطريق التى رواه مسلم منها بلفظ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ. . .»**(٢) من غير شك.

قال القاضى عياض: تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفى الحكم بأن ذلك مراد النبى ﷺ صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصرها على التفصيل فى الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة والإيمان بأنها هذا العدد واجب فى الجملة.

قال الحافظ: لم يتفق من عد شعب الإيمان على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان.

ونقل النووى فى شرح مسلم عن ابن حبان أنه قال: عَدَدْتُ كل طاعة عدها الله من الإيمان فى القرآن، وعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فى السنن، فضممت الكتاب إلى السنن فإذا كل شىء عده الله ورسوله تسع وسبعون شعبة، لا يزيد ولا ينقص أهـ.

وقال الحافظ: لم نقف على بيانها من كلام ابن حبان، وقد لخصت

---

(١) صحيح مسلم رقم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٦٧٦) كتاب السنة. سنن النسائى رقم (٥٠٠٤) كتاب الإيمان. جامع الترمذى رقم (٢٦١٤) كتاب الإيمان.

مما أورده ما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن:

١ ـ أعمال القلب. ٢ ـ أعمال اللسان. ٣ ـ أعمال البدن.

فأعمال القلب: فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة.

أولها: الإيمان بالله، ويدخل فيه: الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه. والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقَدَر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة فى القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار. ومحبة الله، والحب فى الله، والبغض فيه.

ومحبة النبى ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه: الصلاة عليه، واتباع سنته.

والإخلاص، ويدخل فيه: ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة.

والتواضع، ويدخل فيه: توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم، وتعليمه، والدعاء، والذكر، ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، وهى التطهير حساً وحكماً، ويدخل فيه: اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة

فرضاً ونفلاً، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه: إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضاً ونفلاً، والحج والعمرة، كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر.

والفرار بالدين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحرى فى الأيمان، وأداء الكفارات.

والتعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد.

وصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد، والقيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولى الأمر.

والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء خمس الغنيمة، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال فى حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو. وإماطة الأذى عن الطريق.

قال: فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض والله أعلم.

مبحث: الإحسان

الإحسان هو المرحلة الثالثة من سلسلة الأسئلة التى سأل جبريل - عليه السلام - عنها النبى ﷺ، بقصد مذاكرة العلم ومدارسة أصول الدين، لذلك سمى النبى ﷺ جبريل معلماً بذلك الاعتبار، والإحسان هو الدرجة الثالثة والعليا من أصول الدين، وقد سبق ذكر ذلك فى مبحث الإسلام والإيمان.

ولما كان لا بد للمؤمن من إخلاص الدين لله وحده كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ . . .﴾ [٢ - ٣: سورة الزمر]. ولما كانت أسس الدين أصوله التى تتفرع عنها فروعه، وتتشعب منها شعبه هى الإسلام، والإيمان، والإحسان، والإقرار باليوم الآخر، جاء جبريل - عليه السلام - سائلاً عنها، مستفهماً ليكون ذلك أوقع فى النفوس وأبلغ فى التعليم قائلاً: يا رسول الله ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟ وكان جوابه عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وفى الرواية الأخرى: «أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك» ولما كان ربما يتوهم أن الإحسان من باب الإخلاص وليس من باب العقائد، جاء السؤال عنه فى صلب العقائد لتعلم الأمة المحمدية أن الإحسان من أصول الدين، عقيدة يؤمن بها العبد، وعملاً يعمله، لا بد للمؤمن أن يعتقد بقلبه ويلحظ فى عمله أن ربه يراه ويسمعه ويعلم سره وعلانيته ﴿. . . فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [٧: طه] ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [١٤: سورة الملك]. وهذا جانب الاعتقاد، أما جانب

العمل فهو أن يستشعر هذه الإحاطة التامة به من قبل ربه عزَّ وجلّ، فيكون قلبه مغموراً بإحاطة علم الله تعالى ورؤيته وسمعه به، استشعار من حاله حال من يرى ربه عزَّ وجلّ فى مزاولة العبادات ليأتى بها كاملة، وقوله: **«أن تخشى الله كأنك تراه»** أمعن فى الإحسان وأعم من رواية: «أن تعبد الله كأنك تراه. . .» فهذا حال العبادة، وذاك حال ملازمة الخشية.

والإحسان مصدر أحسن، وقد ورد ذكره فى القرآن فى أكثر من مائة موضع وبأساليب شتى، ذكر تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، فالمقرون بالإيمان كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [٣٠: سورة الكهف] والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ...﴾ [٢٢: سورة لقمان]. والمقرون بالإيمان والتقوى والعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٩٣: سورة المائدة].

قال الحافظ ابن رجب: قوله ﷺ: **«فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** قيل: إنه تعليل للأول، فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله تعالى فى العبادة واستحضار قربه من عبده حتى كأن العبد يراه فإنه قد يشق ذلك عليه، فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته، فإذا تحقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه، وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه، فليستح من نظره إليه كما قال بعض العارفين: اتق

الله أن يكون أهون الناظرين إليك. وقال بعضهم: خف الله على قدر قدرته عليك، واستح من الله على قدر قربه منك. وقال بعض السلف: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص أهـ.

قلت: ولما كان أقل درجات الإحسان الإخلاص، كان النفاق مقابلاً له، قال تعالى فى شأن المنافقين ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [١٠٨: سورة النساء].

ولما كان الإحسان بهذه المكانة من الدين وكان الإيمان بالغيب عزيزاً صرح القرآن والسنة فى مواضع متعددة بالتنبيه على المعنى الذى فسر به الإحسان فى حديث جبريل قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤: سورة الحديد].

وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ...﴾ [١٨٦: سورة البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ...﴾ [٦١: سورة يونس]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [١٦: سورة ق]. ومن السنة فى هذا المعنى:

عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «... **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِى صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِى رَبَّهُ أَوْ، إِن رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ**» متفق عليه(١).

(١) صحيح البخارى رقم (٣٩٧) كتاب الصلاة. ورواه مسلم بدون أو إن ربه...» قال الحافظ: كذا للأكثر من رواة البخارى بالشك «أو إن ربه» ورواه بعضهم «وإن ربه» بواو العطف اهـ.

وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ رأى بصاقاً فى جدار القبلة فحكه، ثم أقبل على الناس فقال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّى فَلاَ يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى**» متفق عليه[1].

عن أبى موسى الأشعرى، رضى الله عنه، قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبى ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ. . .**» متفق عليه[2] وزاد مسلم فى رواية له «. . . **وَالَّذِى تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»[2].

وهذه الآيات والأحاديث شأنها شأن غيرها من النصوص المتضمنة لصفات الجلال والكمال لله الذى ليس كمثله شىء، ومن فهم منها غير ذلك فإنما أُتِى من سوء فهمه، والله تعالى أعظم وأجل من أن تشبه صفاته صفات خلقه ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ . . .﴾ [٧٤: سورة النحل].

ودلت هذه النصوص على أن الإيمان المطلق والإحسان متلازمان كتلازم الإسلام والإيمان بل إن منزلة الإحسان من الإيمان كمنزلة الروح من الجسد.

ومن ذلك يتجلى للمتأمل معنى حديث أبى هريرة المتفق عليه «**لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. . .**» وما فى معناه من

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٩٨) كتاب الصلاة. صحيح مسلم رقم (٥٤٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة «البصاق والبزاق» كلاهما من الفم ومعناهما واحد.

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨٣٠) كتاب الجهاد. صحيح مسلم رقم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء. وقوله: «اربعوا» معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإنما يرفع الإنسان صوته لبعد من يخاطبه ليسمعه.

الأحاديث والآيات، فيظهر - والله أعلم - أن هذه الكبائر لا يقترفها فى حال اقترافه إياها من «**يخشى الله كأنه يراه**» ولا من هو قلبه مطمئن بمعنى الإحسان، فلما عدم الإحسان عدم الإيمان أو نفى عنه الإيمان الكامل، أو اسمه إلى آخر ما ذكر فى نفى إيمان أصحاب الكبائر الآتى إن شاء الله تعالى.

مبحث: الإيمان بالله وأسمائه وصفاته

أول مراحل الإيمان بالله تعالى: التصديق الجازم بوجوده إلهاً واحداً لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، أى أنه الله رب العالمين، وهو بكل شىء عليم، وعلى كل شىء قدير، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

وباستقراء القرآن والسنة النبوية توصل العلماء إلى أن التوحيد الذى بعث الله به محمداً ﷺ ومن قَبْلَه من الرسل ينقسم إلى ثلاثة أنواع لا بد من تحقيقها لأنها متلازمة وهى دين الإسلام.

النوع الأول: توحيد الربوبية والملك

وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شىء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيى والمميت، النافع الضار، الذى له الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو سبحانه المتصرف فى هذا الكون بما يشاء لا شريك له فى شىء من ذلك، موصوف بالربوبية قبل أن يخلق المخلوقات، ويتضمن هذا النوع سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ وذكره فى القرآن لا يكاد يحصر، اقرأ أول سورة فى المصحف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . . .﴾ [١ : سورة الفاتحة]. وآخر سورة فيه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . . .﴾ [١ : سورة الناس]. وهكذا كل ما فى القرآن والسنة من ربوبية الله تعالى بجميع دلالاتها هو من هذا النوع، وهو التوحيد الفطرى: فطر الله عليه مخلوقاته.

وهذا النوع لا يكفى الإيمان به وحده، وإن كان لا بد منه، بدليل أن

المشركين صرح القرآن فى عدة آيات بأنهم كانوا مؤمنين به، ولم يشفع لهم، لأنهم كفروا بتوحيد الإلهية الآتى.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣١: سورة يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [٩، ٨٧: سورة الزخرف]. وعن إيمانهم بتوحيد الربوبية هذا مع شركهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٠٦: سورة يوسف]. قال ابن جرير الطبرى: يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه، وخالق كل شىء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ فى عبادتهم الأوثان والأصنام. ثم ساق الأسانيد إلى ابن عباس وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وعطاء: أن الإيمان فى هذه الآية: إذا قيل لهم من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون يعبدون غيره.

وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ قَدِ قَدِ» فَيَقُولُونَ: إِلاَّ شَرِيكاً هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ[١].

---

(١) صحيح مسلم رقم (١١٨٥) كتاب الحج. وقوله: «قد قد» قال القاضى عياض: روى بإسكان الدال وكسرها مع التنوين، ومعناه، كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا.

النوع الثانى: توحيد الإلهية

وهو الإيمان بأن الله تعالى هو الإله الحق، المعبود وحده بحق، المستحق أن يعبد وحده لأنه الإله والرب والملك، ومن ثَم تحتم على الخلق إفراده بجميع أنواع العبادة والإيمان بذلك قولاً واعتقاداً وعملاً، والإله: هو المألوه، أى المعبود الذى تألهه قلوب عباده فتخلص له التأله من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، ودعائه وحده. وذلك هو توحيد الإلهية المبنى على إخلاص جميع العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا النوع من التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو الذى خلق الله الجن والإنس من أجله.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦: سورة الذاريات]. وهو الذى أرسل الله الرسل من أولهم إلى آخرهم به، ومن أجله، فأول الرسل نوح: وكان يدعو قومه كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾ [٥٩: سورة الأعراف]. بل ما من رسول إلا وصرح القرآن بأن دعوته ورسالته لعبادة الله وحده لا شريك له، وقال تعالى مخاطباً إمام الرسل وخاتمهم محمداً ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [٢٥: سورة الأنبياء]. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٢ - ١٦٣: سورة الأنعام]. وهذا النوع من التوحيد هو مضمون قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥: سورة الفاتحة]. فالعبادة متعلقة بألُوهيته والاستعانة متعلقة بربوبيته. والآيات والأحاديث الثابتة فى هذا المعنى يصعب حصرها.

ويسمى هذا النوع أيضاً توحيد العبادة، لأنه مبنى على أن الله هو

المعبود وحده، ويسمى **توحيد الإرادة**، لأنه مبنى على إرادة وجه الله تعالى بالعمل، **وتوحيد القصد**، لأنه مبنى على إخلاص القصد، المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده. **وتوحيد العمل**، لأنه مبنى على إخلاص العمل لله وحده.

وهذا التوحيد هو مضمون قولنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو حقيقة معناها.

وهو مستلزم للنوع الماضى: توحيد الربوبية. والآتى: توحيد الأسماء والصفات، ومن حقق هذا النوع منه حقق فى النوعين الآخرين، لأن من أخلص الدين لله وحده، آمن بربوبيته وبأسمائه وصفاته ولا بد.

قال شيخ الإسلام: التوحيد الذى جاءت به الرسل، إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات... اهـ.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بأسماء الله تعالى، وما يتصف به من الصفات العليا، الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من الصفات، والإيمان بكل ما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله من الأسماء، الإيمان بأنه تعالى على كل شيء قدير[1]، وأنه بكل شيء عليم، وأنه الحى القيوم، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه السميع البصير، الرؤوف الرحيم، العلى العظيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى. إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى، وما دلت عليه من الصفات العليا، نعوت الجلال والكمال على الوجه اللائق

---

(١) يعتقد بعض أهل البدع أن الله تعالى لا يقدر إلا على ما شاءه وأراده، ويكثر فى دعائهم قولهم: إنك على ما تشاء قدير، فليتنبه لذلك.

بجلاله وكماله من غير تكييف، ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل[١].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . . .﴾ [٢٥٥: سورة البقرة]. وقال: ﴿. . . لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [١١: سورة الشورى]. وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠: سورة الأعراف].

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . . .﴾ [١١٠: سورة الإسراء].

❀ ❀ ❀

وأسماء الله تعالى لا حصر لها، منها ما ورد فى القرآن والسنة، ومنها ما استأثر الله تعالى به، وحديث أبى هريرة - رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لِله تِسْعَةً وتِسْعِين اسْماً مائةً إلاَّ واحداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» متفق عليه[٢] - ليس حصراً للأسماء فى هذا العدد، اتفاقاً، ومما دل على ذلك: ما رواه الإمام أحمد، وابن حبان فى حديث مرفوع وفيه « . . .

---

(١) «التكييف»: هو اعتقاد أن صفات الله تعالى على كيفية ما، مما تتخيله أو تدركه العقول أو تحده.

و«التمثيل» اعتقاد مماثلة أى شىء من صفات الله تعالى لصفات المخلوقات.

«والتحريف» تفسير النصوص بالمعانى الباطلة التى لا تدل عليها كتفسير (استوى) باستولى.

و«التعطيل» نفى صفات الله تعالى أو أسمائه، وإنكار قيام صفات الله تعالى به ومن أعظمه جحود الرب تعالى.

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٥٨٥) كتاب الشروط. صحيح مسلم رقم (٢٦٧٧) كتاب الذكر.

أَسْأَلُكَ بكُلِّ اسْم هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ، أو أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أحداً من خَلْقِكَ أو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِى علْم الغَيْبِ عِنْدَكَ. . .».

وتوحيد الله فى أسمائه يقتضى الإيمان بكل ما دلت عليه من المعانى وما تعلق بها من الآثار.

وأسماء الله تعالى أعلام على الذات المقدسة، وكل اسم منها يدل على صفة أو صفات له تعالى، فالعليم، والقدير، والسميع والبصير، والرحيم، تدل على كمال العلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة، وسميت بالأسماء الحسنى: لدلالتها على أعظم مسمى وأشرف مدلول.

وأنواع الصفات التى وردت فى الكتاب والسنة نوعان: صفات ذات، وصفات فعل. أما الصفات الذاتية فهى التى لا تنفك عن الله عزَّ وجلّ، مثل: العلم، والحياة، والقدرة، والعلو، والغنى، والرحمة. وأما الصفات الفعلية - وتسمى الصفات الاختيارية - فهى: ما تعلق بمشيئة الله وقدرته، مثل: الاستواء، والرضى، والحب، والسخط، والضحك، والعجب، والمكر، والكلام صفة ذاتية وفعلية عند أهل السنة والجماعة.

وتوحيد الأسماء والصفات وقع فيه من النزاع والاضطراب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وانقسم الناس فيه إلى مذاهب متفرقة وعقائد مختلفة.

فالجهمية المحضة ومن وافقهم من المعتزلة، ينكرون الأسماء والصفات: فلا يصفون الله بصفة، ولا يسمونه باسم.

والمعتزلة يقرون بالأسماء وينكرون الصفات، فيقولون: إن الله تعالى حيٌ. عليم قدير، وينكرون أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة. وهم ومن وافقهم من نفاة الصفات يقولون: كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل، فمن قال إن لله علماً قديماً، أو قدرة قديمة كان عندهم مشبهاً

ممثلاً لأنه أثبت لله مثلاً قديماً، ويسمونه ممثلاً بهذا الاعتبار.

وأهل السنة من السلف وأئمة السنة يؤمنون بجميع أسماء الله وصفاته الواردة فى القرآن والسنة ويقولون: إنه تعالى موصوف بتلك الصفات ومسمى بتلك الأسماء، لا يعطلون شيئاً من صفاته ولا يُلْحِدون فى أسمائه. وذلك حقيقة التوحيد: وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، ونفى مماثلة غيره له فيها.

وذهب «الكلابية» وكثير من موافقيهم إلى أصل أصلوه واعتقدوه، وهو أن الله تعالى ـ عندهم ـ لا تقوم به الصفات الاختيارية، وهى: الأمور التى يتصف بها الرب عزَّ وجلّ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل: كلامه وسمعه وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، ومثل: خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل: استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التى نطق بها القرآن والسنة، فالله تعالى لا يوصف عندهم بهذه الصفات إلا إذا كانت مخلوقة منفصلة عنه، وعللوا ذلك بأنه لو اتصف بها لقامت به الحوادث، ويسمون «الصفات الاختيارية» «بمسألة حلول الحوادث».

قال شيخ الإسلام: من أصل عبد الله بن كُلاَّب ومن وافقه ـ كالحارث المحاسبى، وأبى العباس القلانسى، وأبى الحسن الأشعرى، والقضاة: أبى بكر ابن الطيب، وأبى يعلى ابن الفراء، وأبى الوليد الباجى، وغيرهم من الأعيان، كأبى المعالى الجوينى وأمثاله ـ أن الرب لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته واختياره من الصفات مثل الاستواء والنزول، والإتيان والرضى والغضب، والضحك، والإرادة وسائر ذلك. ويقولون: إن هذه صفات ذاتية لِلَّهِ وأنها قديمة أزلية لا تكون بمشيئته واختياره وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث، وصاروا فيما ورد فى الكتاب والسنة من صفات الله على أحد قولين:

١ ـ إما أن يجعلوها كلها مخلوقة منفصلة عنه، فيقولون: كلام الله مخلوق بائن، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه وغضبه وفرحه ومجيئه، وإتيانه ونزوله، وغير ذلك: هو مخلوق منفصل عنه. لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه لا أنها صفات قائمة به، ولهذا يقول كثير منهم: آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات.

٢ ـ وإما أن يجعلوا هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون: نزوله ومجيئه، وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه ونحو ذلك قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي... إلى أن قال:

والمقصود هنا: أنه ليس شيء من هذه الأقوال قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا قول أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة كالأوزاعي، ومالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأمثالهم أهـ.

قال: والآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها «حلول الحوادث» كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ...﴾ [١١: سورة الأعراف]. فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٥٩: سورة آل عمران]. فإنما قال له بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل وكذلك في الإرادة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٨٢: سورة يس]. وكذلك في المحبة والرضى قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ . . .﴾ [٣١: سورة آل عمران] فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله. وقال: ﴿. . . وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ . . .﴾ [٧: سورة الزمر]. والقرآن يدل على هذا الأصل فى أكثر من مائة موضع، وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها فى هذا الباب كما فى الصحيحين.

عن زيد بن خالد، قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء. . . فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هَلْ تَدرونَ ماذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ. . .»**[1] الحديث وما فى حديث الشفاعة من قول الرسل «. . . **إِنَّ رَبِّى غَضِبَ الْيَوْمَ غضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. . .**» متفق عليه[2].

فهذا بيان أن الغضب حصل فى ذلك اليوم لا قبله. اهـ.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٨١٠) كتاب الصلاة. صحيح مسلم رقم (٧١) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣١٦٢) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (١٩٤) كتاب الإيمان.

علو الله تعالى واستواؤه على العرش

إن من أكثر ما وقع فيه الخوض والنزاع بين مثبتى الصفات من المتأخرين ونفاتها: صفة العلو والاستواء، أما السلف فقد ثبت إجماعهم على الإيمان والإقرار بأن الله تعالى مستو على عرشه عال على جميع مخلوقاته، بائن منها على ما يليق بجلاله وعظمته بلا كيف. وقد ألف العلماء تآليف متعددة فى بيان ذلك بأدلته[1] ولا ريب أنها عقيدة دل عليها القرآن فى كثير من آيه ودلت عليها السنة الصحيحة فى كثير من الأحاديث، وأطبق عليها العقلاء والفِطَرُ السليمة، وأجمعت عليها الشرائع السماوية.

قال الإمام موفق الدين ابن قدامة فى مقدمة «إثبات صفة العلو»: إن الله وصف نفسه بالعلو فى السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء، من الصحابة الأتقياء، والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين. وجعله مغروزاً فى طباع الخلق أجمعين أهـ.

ومضمون عقيدة أهل السنة والجماعة أن العلو الذى يوصف الله به عزَّ وجلّ له ثلاثة معان.

١ ـ علو الذات: أى أنه تعالى فوق عرشه وعرشه فوق سماواته بذاته بائن من خلقه، ومع خلقه بعلمه.

---

(١) منها: كتاب «العلو للعلى الغفار» للحافظ الذهبى. و«كتاب العرش» لإمام الحفاظ أبى بكر ابن أبى شيبة. و«كتاب العرش» لأبى عبيد، أحمد بن محمد الهروي. و«رسالة فى العرش» لأبى العباس أحمد بن تيمية. و«إثبات صفة العلو» للإمام موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي. و«الاقتصاد فى الاعتقاد» للحافظ: عبد الغنى المقدسي.

٢ ـ علو القدر والعظمة: أى أنه تعالى منزه عن كل نقص ومتصف بكل كمال.

٣ ـ علو القهر والغلبة: أى أنه تعالى محيط بجميع المخلوقات إحاطة قدرة وعظمة وسعة علم، يتصرف وحده فى مخلوقاته كيف يشاء، وبما يريد.

الأدلة القرآنية على صفة العلو والاستواء:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿... إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ...﴾ [١٠: سورة فاطر].

وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [٥٠: سورة النحل]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ...﴾ [١٨ و٦١: سورة لأنعام].

وقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ...﴾ [٥٥: سورة آل عمران].

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۞ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا...﴾ [١٦ ـ ١٧: سورة الملك].

وصريح الاستواء ورد فى سبعة مواضع من القرآن هى بترتيبها فى المصحف:

١ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [٥٤: سورة الأعراف].

٢ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ...﴾ [٣: سورة يونس].

٣ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [٢: سورة الرعد].

٤ ـ وقال فى شأن القرآن ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٤ ـ ٥: سورة طه].

٥ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [٥٩: سورة الفرقان].

٦ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [٤: سورة السجدة].

٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [٤: سورة الحديد].

ويلاحظ أن استواءه جل وعلا، مذكور قبله خلقه للسماوات والأرض، ومعطوف عليه بثم إلا فى موضع طه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [٦: سورة الجاثية].

ومن أدلة السنة ما يلى:

١ ـ حديث الإسراء من رواية أنس وغيره وفيه: «... **فأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ: «مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟... وَفِى آخِرِهِ قال: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انتَهَيتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقال رسول الله ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»** رواه مسلم[(١)].

٢ ـ خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع فى حديث جابر قال: «... **وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»** قالوا: نشهد أنك قد بلّغتَ وأدّيتَ

(١) صحيح مسلم رقم (١٦٢) كتاب الإيمان. وروى البخارى نحوه.

ونصَحتَ، فقال بِإِصْبَعِه السبابةِ، يَرفعُها إلى السماء وَيَنْكُتُهَا إِلى النّاسِ «اللهم اشْهَدْ اللهم اشهد، ثَلاثَ مرات» رواه مسلم[1].

٣ ـ عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: **الْمَلائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ، مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ»** متفق عليه[2].

٤ ـ حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لى جارية فَصَكَكْتُها صَكَّةً فَعَظَّمَ ذَلك عَلَيَّ النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتِنِى بِهَا**» فأتيته بها، فقال لها: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**» قالت: فى السماء، قال: «**مَنْ أَنا؟**» قَالتْ: أَنتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «**اعْتِقْهَا فَإِنَّها مُؤْمِنةٌ**» رواه مسلم[3].

قال الحافظ الذهبى: هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وغير واحد من الأئمة. وفيه مسألتان: إحداهما شرعية قول المسلم أين الله؟ وثانيتهما قول المسؤول فى السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ أهـ. مختصر «العلُو للعَليّ الغفار» ص٨١.

٥ ـ وعن أبى موسى الأشعرى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمْسٍ

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٠٥١) كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم رقم (٦٣٢) كتاب المساجد.

(٣) صحيح مسلم رقم (٥٣٧) كتاب المساجد. ورواه الإمام مالك فى «الموطإ» والإمام أحمد فى «المسند» وابن خزيمة فى «التوحيد» وهو قطعة من حديث طويل فيه علوم جمة وفوائد مهمة، ساقه مسلم بطوله فى صحيحه. وقوله: «صككتها صكة» أى ضربتها بيدى مبسوطة.

كَلِمَاتٍ، فقال: «إِن الله عزَّ وجلّ لا ينامُ وَلاَ يَنبَغِي لَهُ أن يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيه عَمَلُ اللَّيلِ قبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم[١].

٦ ـ عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَاباً عِنْدَهُ: غَلَبَتْ ـ أو قال: سَبَقَتْ ـ رَحْمَتِى غَضَبِى، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» متفق عليه[٢].

٧ ـ وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِن رَجُل يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتأْبَى عَلَيْهِ إِلاَّ كَانَ الّذِى فِى السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا» رواه مسلم[٣].

٨ ـ وعن أنس، قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وزوّجنى الله من فوق سبع سماوات» وفى لفظ «إِن الله أنكَحَنِى فِى السماء» رواه البخارى[٤].

٩ ـ عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِى؟ وَأَنَا أَمِينُ مَن فِى السَّمَاءِ، يَأْتِينِى خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً» متفق عليه[٥] إلى غير ذلك من الأحاديث التى يصعب حصرها.

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٧٩) كتاب الإيمان. وقوله: «القسط» الميزان. «سبُحات» جمع سبحة ومعناه نور وجهه وجلاله وبهاؤه.

(٢) صحيح البخارى رقم (٧١١٤) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٢٧٥١) كتاب التوبة.

(٣) صحيح مسلم رقم (١٤٣٦) كتاب النكاح.

(٤) صحيح البخارى رقم (٦٩٨٤) ورقم (٦٩٨٥) كتاب التوحيد.

(٥) صحيح البخارى رقم (٤٠٩٤) كتاب المغازي. صحيح مسلم رقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة.

والدليل الفطرى: أن جميع الخلائق بطباعهم وفِطَرِهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.

قال ابن عبد البر: وذلك من الحجة على أن الله فوق العرش من فوق سبع سماوات أهـ. وقال بعض العلماء. لو بسط أفراد أدلة العلو والاستواء لبلغت نحو ألف دليل.

ومن الآثار عن السلف: عن أم المؤمنين أم سلمة، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. وروى يحيى بن يحيى عن مالك نحوه.

وروى ابن وهب، قال: قال رجل لمالك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال: على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أَرَاكَ إلا صاحب بدعة. وبنحو هذا أجاب شيخه ربيعة وزاد: ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق.

وقال الإمام أبو حنيفة من قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سماواته.

وقال الإمام الشافعى: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾.

وقال الإمام أحمد: لا يوصف الله عزَّ وجلّ إلا بما وصف به نفسه،

أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث.

وقال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل.

وقال محمد بن الحسن الشيبانى: اتفق العلماء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه، وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وقال الإمام ابن عبد البر: عند كلامه على حديث النزول - «**ينزل ربنا تبارك وتعالى. . .**» - هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث فى صحته، منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبى ﷺ، وفيه دليل على أن الله عزَّ وجلّ فى السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية فى قولهم: إن الله عزَّ وجلّ فى كل مكان وليس على العرش. إلى أن قال: قال أبو عمر: - يعنى نفسه -.

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفُونَ شيئاً من ذلك ولا يَحُدُّونَ فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أَقَرَّ بها، مشبِّهٌ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة أهـ. التمهيد ٧/ ١٢٨ - ١٤٥.

وهذه الآثار مسندة فى «شرح اعتقاد أهل السنة» للإمام الحافظ اللالكائى ٣/ ٣٨٧ ـ ٤٠٢. ولخص أكثرها الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٤١٧/١٣ ـ ٤١٩ ومسندة فى كتاب «العلو للعلى الغفار» للإمام الذهبى وهى ثابتة، بل متواترة النقل عن أئمة السلف من حيث الجملة. وقد حكى ابن رشد فى «الكشف عن مناهج الأدلة» والجيلانى فى «الغنية» وابن تيمية: إجماع الشرائع على عقيدة العلو والاستواء.

وقال الإمام ابن تيمية ملخصاً كلام الأئمة فى سياق حديث الجارية السابق وقولها «فى السماء» قال: لكن ليس معنى ذلك أن الله تعالى فى جوف السماء، وأن السماوات تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته، وقد قال مالك بن أنس: «إن الله فوق السماء وعلمه فى كل مكان» إلى أن قال: ـ

فمن اعتقد أن الله فى جوف السماء محصور محاط به وأنه مفتقر إلى العرش أو غير العرش ـ من المخلوقات ـ أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه: فهو ضال مبتدع جاهل.

ومن اعتقد أنه ليس فوق السماوات إله يعبد، ولا على العرش رب يصلى له ويسجد، وأن محمداً ﷺ لم يعرج به إلى ربه، ولا نزل القرآن من عنده: فهو معطل فرعونى ضال مبتدع. أهـ مجموع الفتاوى ٥/ ٢٥٨.

وقال أيضاً: والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط: من أن الله تعالى مستو على عرشه، اسْتِواءً يليق بجلاله، ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شىء عليم، وعلى كل شىء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التى

لعلم المخلوقين وقدرتهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوزامها أهـ. مجموع الفتاوى ٥/

٢٧. وقال الحافظ عبد الغنى المقدسى: تواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله عزَّ وجلّ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفى حقيقة النزول.

قال: وروى حديث النزول (من الصحابة) على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدرى، وعمرو بن عَبَسة، وأبو الدرداء، وعثمان بن أبى العاص، ومعاذ ابن جبل، وأم سلمة زوج رسول الله ﷺ وخلق سواهم «الاقتصاد فى الاعتقاد» ص١٠٠ ـ ١٠٩.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: ـ عند إيراده أحاديث النزول ـ نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما فى هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن يصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم. «كتاب التوحيد» ص١٢٥.

قواعد تعين على فهم توحيد الأسماء والصفات ومثلان مضروبان لذلك

هذا ولما كان نفى صفات الله تعالى ناجماً عن فهم خاطىء للنصوص بتصور أنها توهم التشبيه، فيفرون إلى التعطيل الذى يفضى إلى تكذيب نصوص الوحى بتأويلها بما لم يأذن به الله ورسوله، ذكر العلماء الأئمة قواعد تعين على فهم الحق وتُطمئن النفوس الطالبة للحق فى الصفات.

القاعدة الأولى: «الاتفاق فى الأسماء لا يقتضى الاتفاق فى المسميات».

قد علم بِالقَطْعِ كِتاباً وسنة وإجماعاً: أن الله تعالى هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً، وأنه أرسل محمداً بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة، وقد علم أيضاً بالنقل والعقل أن الله تعالى لا يماثله شىء من الأشياء فى شىء من صفاته، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كتجليه تجلى أحد. . . الخ.

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن فى الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن، يقبل الوجود والعدم فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما فى مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه، ووجود هذا يخصه، واتفاقهما فى اسم عام: لا يقتضى تماثلهما فى مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد وغيره.

فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود، : إن هذا مثل هذا لاتفاقهما فى مسمى الشيء والوجود، وإذا قيل هذا موجود، وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة فى كل منهما، ولهذا سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص: اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمى الله نفسه حياً، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ...﴾ [٢٥٥ : البقرة] وسمى بعض عباده حياً فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ...﴾ [١٩ : سورة الروم]. وليس هذا الحى مثل هذا الحى، لأن قوله: ﴿الحي﴾ اسم لله مختص به، وقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ اسم للحى المخلوق مختص به. وكذلك سمى نفسه عليماً حليماً، فقال ﴿... وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [١٢ : النساء] وسمى بعض عباده عليماً حليماً فقال: ﴿... وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [٢٨ : الذاريات]. وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [١٠١ : الصافات]. وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم، وسمى نفسه سميعاً بصيراً، فقال: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [٥٨ : النساء]. وسمى بعض خلقه سميعاً بصيراً قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [٢ : الإنسان]. وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير. وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٦٥ : الحج]. وسمى بعض عباده

بالرؤوف الرحيم فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٢٨: سورة التوبة] وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم. وسمى نفسه بالملك، فقال: ﴿... ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ...﴾ [١: سورة الجمعة]. وسمى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ...﴾ [٥٤: سورة يوسف] وليس الملك كالملك. ونظائر هذا كثيرة.

وكذلك سمى سبحانه صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك، فقال: ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ...﴾ [٢٥٥: سورة البقرة] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [٥٨: سورة الذاريات]. وسمى صفة المخلوق علماً وقوة فقال: ﴿... وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٨٥: الإسراء]. وقال: ﴿... وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ...﴾ [٥٢: سورة هود]. وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة. ووصف نفسه بالرضا ووصف عباده به فقال: ﴿... رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ...﴾ [٨: البينة]. وليس رضا الله مثل رضا عبده، ونظائر هذا كثيرة جداً.

القاعدة الثانية: «القول فى الصفات كالقول فى الذات».

ما من شك أن الله تعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات.

فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيف بدعة، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عليه.

وكذا إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبنى بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه، واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته.

وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة فى نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال التى لا يماثلها شىء، فسمعه وبصره وكلامه، ونزوله واستواؤه ثابت فى نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التى لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم، ونزولهم واستواؤهم.

وأما المثلان المضروبان: فإن الله سبحانه وتعالى ـ أخبرنا عما فى الجنة من المخلوقات: من أصناف المطاعم والملابس، والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبناً وعسلاً، وخمراً وماء، ولحماً وحريراً وذهباً وفضة، وفاكهة وحوراً وقصوراً.

وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء. وإذا كانت تلك الحقائق التى أخبر الله عنها هى موافقة فى الأسماء للحقائق الموجودة فى الدنيا وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فالخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له فى الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح. وهكذا القول فى:

المثل الثانى: وهو أن الروح التى فينا أثبتت نصوص الوحى أنها تعرج وتصعد من سماء إلى سماء، وأنها تقبض من البدن وتسل منه كما تسل الشعرة من العجينة. والناس مضطربون فيها، ولا شك أن العقول

قاصرة وعاجزة عن معرفة كنهها وعن تحديدها.

والمقصود أن الروح إذا كانت موجودة حية، عالمة قادرة، سميعة بصيرة: تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً والشيء إنما تدرك حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره.

فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، فالخالق سبحانه أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها.

القاعدة الثالثة: «أن الله تعالى موصوف بالإثبات والنفى».

فالإثبات كإخباره بأنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك.

والنفى كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ونحو ذلك.

وينبغى أن يعلم أن النفى ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفى ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفى المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء.

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفى متضمناً لإثبات مدح، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ...﴾ [٢٥٥: سورة البقرة] فنفى السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحى القيوم، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أى لا يكرثه ولا يثقله، وذلك

مستلزم لكمال قدرته وتمامها. بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص فى قدرته وعيب فى قوته.

وكذلك قوله: ﴿... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾ [٣: سُورَةُ سَبَأ]. فإن نفى العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة فى السماوات والأرض.

وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [٣٨: سورة ق] فإن نفى مس اللغوب الذى هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذى يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه، ومن تأمل ذلك وجد كل نفى لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه.

القاعدة الرابعة: «ما أخبر به الرسول عن ربه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف».

يجب على كل مؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر به الرسول عن الله تعالى لأنه الصادق المصدوق فكلما جاء فى الكتاب والسنة من ذلك يجب الإيمان به ولا يتوقف الإيمان به على معرفة معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً فى الكتاب والسنة، متفق عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قُبِلَ، وإن أراد باطلاً رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقْبَل مطلقاً ولم يُرَدَّ جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس فى الجهة مثلاً.

فلفظ الجهة قد يُرادُ به شيء موجود غيرُ الله تعالى فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السماوات، وقد يُرَادُ به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم.

ومعلوم أنه ليس فى النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء، والفوقية والعروج إليه، ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق ـ سبحانه وتعالى ـ ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته، ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله تعالى ليس داخلاً فى المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال الله فى جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل فى شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثانى فهو باطل.

القاعدة الخامسة: «إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد».

فإنه يقال: لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهراً، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذى وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال.

والذين يجعلون ظاهر النصوص ذلك يغلطون من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ، حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك. وتارة يردون المعنى الحق الذى هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل. انظر مجموع الفتاوى: ٣/ ٩ - ٤٣ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية. والتمهيد: ١٢٨/٧ - ١٥٩ للإمام أبى عمر يوسف بن عبد البر، وأضواء البيان: ٢/ ٢٧٢ - ٢٨٨ للعلامة محمد الأمين الجكنى: المعروف فى المشرق بالشنقيطى.

مبحث: التأويل السلفى والتأويل الخلفى المجازى

التأويل فى اللغة: التأويل فى معاجم اللغة العربية وما نقل عن أئمتها، له أربعة معان: العاقبة وهى المصير، والتغيير، والتفسير، والوضوح. وبعد التأمل ترجع إلى معنيين هما: التفسير، والعاقبة - المصير -

قال فى القاموس: آل يؤول إليه أوْلاً ومآلاً رجع، وآل عنه ارتد. وأول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره، وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا. وقال ابن جرير الطبرى فى التفسير: وأما معنى التأويل فى كلام العرب فإنه التفسير، والمرجع والمصير.

وقال الراغب: - فى مفرداته - التأويل: رد الشىء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً.

التأويل فى الاصطلاح: ينقسم التأويل اصطلاحاً إلى قسمين: **تأويل لغوى سلفى أصيل، تأويل خلفى محدث مجازى.**

أما الأول: فإن المعروف فى استعمال السلف وأهل اللغة يطابق معناه اللغوى المتقدم، وهو: التفسير والعاقبة والمصير وقد يأتى بمعنى التفسير، وهو اصطلاح الصحابة والسلف، وكثير من أهل العلم المتقدمين، ويأتى بمعنى العاقبة وهو الغالب فى القرآن الكريم.

والقسم الثانى: هو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين والأصوليين والفقهاء والمتصوفة، ويعرفونه بأنه: **صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.**

أما فى اصطلاح السلف فقد ورد بمعنيين: أحدهما: التفسير، فالتأويل عند السلف تفسير الكلام سواء وافق ظاهر اللفظ أو لم يوافقه، فيكون التأويل والتفسير - على هذا - متقاربين أو مترادفين.

ومن المعلوم أنه وقع خلاف بين أئمة التفسير من السلف هل الوقف على قول الله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ وعليه فيكون الابتداء من قوله: ﴿... وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ...﴾ [٧: سورة آل عمران]. فيكون **تأويل المتشابه** لا يعلمه إلا الله، والراسخون فى العلم يؤمنون به، ولا يعلمون تأويله، أو يكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ معطوفاً على الله: اسم الجلالة، ويكون الوقف عليه، بمعنى أنهم يعلمون تأويل المتشابه.

الأول قول جمهور علماء التفسير من السلف، والثانى قول طائفة منهم، على رأسها إمام المفسرين: مجاهد بن جبر هو قوله وروايته عن شيخه ابن عباس رضى الله عنهما.

فعلى المذهب الأول: تأويل المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله قيام الساعة ومدة بقاء محمد ﷺ، ومدة بقاء أمته، إذ سبب نزول الآية: مجادلة اليهود للنبى ﷺ بمتشابه القرآن للاطلاع على ذلك، قال ابن جرير: الذى يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أن ذلك إخبار عن المدة التى أرادوا علمها من قبل المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ٣/ ١٨٣.

ومنه الحقائق والكيفيات لما أخبر الله به عن أسمائه وصفاته، ومنه ما أخبر الله به عما فى الجنة من المآكل والمشارب والملابس والمناكح من حقيقة هذه الأشياء يوم القيامة فلا ريب أن هذا ونحوه لا يعلم تأويله إلا الله تعالى.

وعلى المذهب الثانى ـ مذهب مجاهد ـ يكون التأويل: الذى يعلمه الراسخون فى العلم المراد به التفسير، فيردون تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكم فيتسق بقولهم الكتاب ويصدق بعضه بعضاً فتقوم به الحجة ويزاح به الباطل.

من أمثلة التأويل المراد به التفسير: دعاء النبى ﷺ لابن عباس «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» رواه الإمام أحمد فى المسند، والهيثمى فى مجمع الزوائد، وصحح. فالتأويل هنا هو التفسير يوضحه قول ابن عباس: أنا ممن يعلم تأويله يعنى المتشابه وقال مجاهد: والراسخون فى العلم يعلمون تأويل المتشابه ويقولون آمنا به. رواهما ابن جرير بسنده.

وقول جابر بن عبد الله فى سياق حجة النبى ﷺ «. . . **وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ**»(١) والتأويل بمعنى التفسير هو: استعمال أبى عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه: مجاز القرآن، ومحمد بن جرير الطبرى فى تفسيره.

الثانى من معانى التأويل عند السلف: العاقبة، وهى الحقيقة التى يؤول إليها الكلام بمعنى أنه نفس المراد من الكلام، وتقدم أنه الغالب فى عرف القرآن الكريم، فالكلام قسمان: خبر، وإنشاء، والإنشاء: أمر ونهى وإباحة، فتأويل الخبر هو وقوع نفس الشىء الْمُخْبَرِ به. ومنه: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ . . .﴾ [٥٣: سورة الأعراف]. أى ما وعدوا به من العذاب والنكال، والجنة والنار، قاله مجاهد وغير واحد. فتأويل ما فى القرآن من أخبار المعاد هو: ما أخبر الله

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٢١٨) كتاب الحج.

به فيه مما يكون يوم القيامة من البعث والحساب والجنة والنار ونحو ذلك، ومنه تأويل الرؤيا كما فى قول يوسف لما سجد أبواه وإخوته ﴿... هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ...﴾ [١٠٠: سورة يوسف]. فعَيْنُ ما وُجِدَ هو تأويل الرؤيا.

وإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، مثاله: ما فى الصحيحين من حديث عائشة قالت: كان النبى ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُم رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى» يتأول القرآن**[١]. أى يفعل ما أمر به فيه، وقد تبين القرآن المتأول، من حديثها ـ رضى الله عنها ـ الذى أخرجه البخارى فى تفسير سورة ﴿**إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ**﴾ **قالت: «مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إلاَّ يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى»**[٢].

وفى الموطإ عن كعب الأحبار، أن رجلاً نزع نعليه فقال: لم خلعت نعليك؟ لعلك تأولت هذه الآية: ﴿... فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [١٢: سورة طه]. وذلك واضح فى أن تأويل الأمر هو فعل الشىء المأمور به.

قال شيخ الإسلام: التأويل فى اللغة التى نزل بها القرآن يراد به: حقيقة الشىء كالكيفية التى لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، ويراد به التفسير، وهو كقوله: الاستواء معلوم، فإن تفسيره ومعناه معلوم، ويراد به تحريف الكلم عن مواضعه، كتأويل الجهمية (استوى) بمعنى استولى. وهذا الذى اتفق السلف والأئمة على

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٨٤) كتاب صفة الصلاة. صحيح مسلم رقم (٤٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٦٨٣) كتاب التفسير.

بطلانه وذم أصحابه، ومثل هذا لا يقال فيه: لا يعلمه إلا الله، بل يقال: إنه باطل وتحريف وكذب، ولكن فى القسم الأول يقال: لا يعلمه إلا الله، وأما القسم الثانى فيعلمه الله وقد يعلمه الراسخون فى العلم أهـ. درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٢٧.

وأما التأويل الخلفى المحدث المجازى: فقد تقدم تعريفه، وأنه اصطلاح للمتأخرين من المتكلمين والأصوليين.

ولا ريب أنه بهذا التعريف: صرف اللفظ عن ظاهره إلخ. لم يكن معروفاً عند السلف من الصحابة والتابعين وأهل اللغة المتقدمين، بل كان ظهوره فى بيئة المتكلمين والفلاسفة، وإِبّانَ موجة الخلاف فى العقائد الذى مَزّقَ وحدة المسلمين.

وهذا التأويل بهذا التعريف هو الذى يتكلمون عنه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف ويتوكأ عليه نفاة صفات الله تعالى وأسمائه، والأصل الذى بنى عليه وأسس هو المجاز، وذلك أنهم قسموا الألفاظ فى معانيها إلى حقيقة ومجاز، ويعنون بالحقيقة: اللفظ المستعمل فى ما وضع له، والمجاز: اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له.

فالحقيقة مثل: الأسد والحمار، إذا أريد بهما البهيمة، والمجاز إذا أريد بالأول الرجل الشجاع، وبالثانى البليد.

قال شيخ الإسلام: هذا التقسيم - تقسيم الألفاظ إلى الحقيقة والمجاز - هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين فى العلم، كمالك والثورى والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو، كالخليل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء ونحوهم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز: أبو عبيدة مَعمَر بن المثنى فى

كتابه[1] ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قِسيمُ الحقيقة، وإنما عَنِيَ بمجاز الآية ما يُعَبَّرُ به عن الآية. قال:

ولم يقل أحد من أهل اللغة، ولا من سلف الأمة وعلمائها هذا حقيقة وهذا مجاز، وإنما هو اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد هذا فى كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف. إلى أن قال:

وهذا الشافعى هو أول من جرد الكلام فى أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز فى كلام أحد منهم إلا ما وجد لأحمد بن حنبل فى كتاب الرد على الجهمية فى قوله: **(إنا)** و**(نحن)** ونحو ذلك فى القرآن: قال: هذا من مجاز اللغة، قال أصحابه: يريد هذا مما يجوز فى اللغة. مجموع الفتاوى ٧/ ٨٨ - ٨٩.

ولبيان أهم مسائله نقول: قسم علماء أصول الفقه وغيرهم من المتكلمين اللفظ العربى من حيث دلالته على المعنى إلى ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن لا يحتمل اللفظ إلا معنى واحداً كقوله تعالى فى صيام المتمتع فى الحج إذا لم يجد هدياً ﴿... فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ...﴾ [١٩٦: سورة البقرة]. وقوله عزّ وجلّ فى قصة مناجاة موسى ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...﴾ [١٤٢: سورة الأعراف]. فقوله تعالى:

(١) كتاب أبى عبيدة اسمه مجاز القرآن. ولكن هل يقيم أهل السنة لأبى عبيدة وكتابه وزنا؟ فقد كان «صفرياً» من الخوارج المارقين، وما كان إلا نحوياً لغوياً. وكتابه قال عنه أبو حاتم: إنه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه، ولأن أضرب بالسياط أهون عليّ من أن أقرأه. وقال أبو عمر الجرمى: إنه خلاف تفسير الفقهاء.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وقوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهذا ومثله يسمى «نصاً».

الحالة الثانية: أن يحتمل اللفظ أكثر من معنى على السواء، ولا يكون أرجح فى أحد المعانى من باقيها كما فى **«القرء» و«العين»** فلفظ القرء متردد بين معنيين، هما: الطهر والحيض، بدون ترجيح لأحدهما على الآخر، ولهذا وقع الخلاف بين الأئمة فى المراد بالقرء فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ . . .﴾ [٢٢٨: سورة البقرة]. فحمله الإمام مالك والشافعى على الطهر، وأحمد وأبو حنيفة على الحيض.

ولفظ «العين» مشترك بين العين المبصرة، والعين الجارية، والعين من الذهب. وهذا ومثله يسمى «مجملاً» و«مشتركاً».

الحالة الثالثة: أن يحتمل اللفظ أكثر من معنى، ولكنه فى أحدهما أرجح منه فى غيره. مثاله: لفظ «الأسد» فإنه اسم للحيوان المفترس، ويطلق على الرجل الشجاع، ولكنه فى الأول أرجح، فإذا قلت: رأيت «أسداً» فهو محتمل للسبع ـ الحيوان المفترس ـ والرجل الشجاع، راجح فى الأول مرجوح فى الثانى، فالراجح يسمى «الظاهر» والمرجوح يسمى «المأوّل» ولا بد فى حمله على المعنى الثانى من قرينة تنقله من المعنى الظاهر إلى المعنى المأوّل، كقولك: رأيت أسداً يرمى «فيرمى»، قرينة التجوز به عن الظاهر إلى التأويل.

ووجه الحصر فى هذه الأقسام: أن اللفظ إما أن يحتمل معنى واحداً فقط، أو يحتمل أكثر من معنى، فالأول «النص».

والثانى: إما أن يكون فى أحد المعنيين أو المعانى أظهر منه فى غيره أو لا، بأن يكون على السواء، فالأول «الظاهر» ومقابله «المأوّل» والثانى: «المجمل».

حكم هذه الأقسام:

١ - لا يجوز العدول عن «النص» إلا إذا ثبت نسخه.

٢ - لا يعمل بالمجمل إلا بعد البيان بدليل يدل على تعيين المراد منه.

٣ - لا يجوز ترك «الظاهر» والانتقال إلى «المأوّل» إلا لقرينة قوية تدل على أن المعنى المرجوح هو المراد باللفظ.

والمتأول هذا التأويل مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذى حمله عليه وادعى أنه المراد منه لغة.

الأمر الثانى: أن يبين الدليل الذى أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان التأويل فاسداً أو تلاعباً بالنصوص.

«**تنبيه**»: الدليل الصارف عند الأصوليين السنيين دليل النقل، وعند المتكلمين وغيرهم من المبتدعة هو دليل العقل فقط.

قال صاحب جمع الجوامع: التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً وليس بدليل فى الواقع ففاسد، أو لا لشىء فَلَعِبٌ لا تأويل أهـ.

وقال صاحب مراقى السعود معرفاً ما سبق ذكره: -

حمل لظاهر على المرجوح   واقسمه للفاسد والصحيح
صحيحه وهو القريب ما حمل   مع قوة الدليل عند المستدل
وغيره الفاسد والبعيد   وما خلا فلَعِباً يفيد أهـ.

ومثَّل الأصوليون للتأويل البعيد بحمل الحنفية «المسكين» فى قوله تعالى: ﴿... فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ...﴾ [٤: سورة المجادلة]. على المد من الطعام، فقالوا: بإعطاء ستين مُدّاً لمسكين واحد. وأما اللعب

بالتأويل فمنه تأويل الرافضة ﴿... ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ...﴾ [١٠: سورة التحريم]. بعائشة وحفصة رضى الله عنهما. وتأويل «البيانية» قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ...﴾ [١٣٨: سورة آل عمران] بأنه: بيان ابن سمعان، زعيم طائفة من غلاة الشيعة وهو ممخرق ضال ادعى لنفسه النبوة، وأنه نسخ بعض الشريعة المحمدية ومات على ذلك مقتولاً بسيف الإسلام.

وقد مثل الأصوليون للتأويل الصحيح بقول النبى ﷺ: «**الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ**»(١) فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، ولكن العلماء حملوه فى هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حملاً له على محتمل مرجوح لدلالة حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما. قال: «**قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشُّفْعَةِ فِى كُلِّ مَالٍ لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ فَلاَ شُفْعَةَ**». رواه البخارى(٢) وروى مسلم نحوه عن جابر من ثلاث طرق.

هذا هو التأويل عند الأصوليين، ولكن بالنظر إلى ما أسموه بالصحيح منه يتبين للمتأمل أنه نوع من بيان بعض النصوص ببعضها الآخر، فلا ريب أن نصوص الكتاب والسنة مشتملة على أنواع البيان كتخصيص العام، وتقييد المطلق وتفسير المشكل إلى غير ذلك.

هذا هو التأويل المحدث الذى لم يكن له ذكر عند السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن المعلوم أن الخير فيما سبقونا إليه

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢١٣٩) من حديث أبى رافع كتاب الشفعة، وقوله: «سقبه» بفتح السين والقاف وبعدها موحدة وبالصاد بدل السين ويجوز فتح القاف وإسكانها: هو القرب والملاصقة أى أن القريب الملاصق أحق بتملك ما يبيعه جاره من غيره.

(٢) صحيح البخارى رقم (٢١٠٠) كتاب البيوع. صحيح مسلم رقم (١٦٠٨) كتاب المساقاة.

لعلمهم وعملهم، فهم أبر الأمة وخيرها وأكملها قولاً وعملاً واعتقاداً. وقد قال ابن مسعود: رضى الله عنه، من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب النبى ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. أهـ. رواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم.

وقد قال الإمام مالك: لا يُصلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. وعليه فكيف تكون قواعد هذا الفن هى المعيار للاستدلال بنصوص الكتاب والسنة؟ ومن المعلوم انخرام كثير منها.

أضف إلى ذلك أنه التأويل الذى أوقع النزاع المرير والمعارك الطاحنة بين مثبتى الصفات ونفاتها، وهو الذى تسور به عبر المجاز أهل التعطيل، وهُجِرت وجُهِلت من أجله عقيدة السلف الصالح المتلقاة من الوحى.

بل إن الإمام ابن القيم يرى أنه أصل كل بلية حلت بالإسلام فيقول ـ فى قصيدته فى التوحيد المعروفة: بالكافية الشافية: ـ

هـذا وأصـل بـلـيـة الإسـلام مـن ... تـأويـل ذى الـتـحـريـف والـبـطـلان
وهـو الـذى قـد فـرق الـسـبـعـين بـل ... زادت ثـلاثـاً قـول ذى الـبـرهـان

ثم أخذ فى سرد المحن التى حلت بالإسلام والمسلمين عبر التاريخ فى نحو أربعين بيتاً ثم قال:

وجـمـيـع مـا فـى الـكـون مـن بـدع ... وأحـداث تـخـالـف مـوجـب الـقـرآن
فـأسـاسـهـا الـتـأويـل ذو الـبـطـلان لا ... تـأويـل أهـل الـعـلـم والإيـمـان
إذ ذاك تـفـسـيـر الـمـراد وكـشـفـه ... وبـيـان مـعـنـاه إلـى الأذهـان أهـ

وورد عن الإمام أحمد أنه قال: أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس، فالتأويل فى الأدلة السمعية، والقياس فى الأدلة العقلية أهـ.

مبحث: الوسوسة وعلاجها

الوسوسة لغة: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير، والوسواس الشيطان، قاله فى القاموس، والمراد بها هنا ما يلقيه الشيطان من الوساوس والشُّبَه على المسلم فى العقائد وما يتعرض له به من المكائد فى ذات الله وصفاته، وما يأتى به للمسلم من خيالات وأفكار ليوقعه فى ورطة التشبيه أو التعطيل أو غير ذلك من المهالك.

ويجب أن يُعلم جزماً أنه لا بد لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤمن بجميع صفات الله تعالى الواردة فى القرآن وصحيح السنة. فإذا سمع قول الله عزَّ وجلّ: ﴿... يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ...﴾ [٧٥: سورة ص]. وقوله جل ذكره: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [٥: سورة طه]. وقول النبى ﷺ الثابت فى الصحاح والسنن والمسانيد: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَن يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ...**»(١) ونحو هذا من النصوص فواجب المسلم أن يطأطىء رأسه، ويصدق ربه ونبيه، مؤمناً إيماناً نقياً بلا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل، ومن تأول تلك الصفات منكراً ظاهرها زاعماً أنها توهم تشبيه الله بخلقه: فقد ابتدع أكبر بدعة فى الدين، واستدرك على الله ورسوله، ونسب ربه عزَّ وجلّ إلى النقص، ووصم النبى ﷺ بالتقصير فى التبليغ، أحب أم كره.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٠٥٦) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين. من حديث أبى هريرة.

وهذا الباب كثيراً ما يدخل منه إبليس فيزين ذلك للمؤمن ويستدرجه من حيث لا يدرى ليهلكه، وهو الذى أقسم أمام الله ليرصدن لبنى آدم صراط الله المستقيم، وليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ليصدهم عن دين الله القويم، وهو الإسلام وشرائعه، وقد حذر الله بنى آدم من كيد هذا اللعين، وبين لهم عداوته وأمرهم أن يتخذوه عدواً.

قال شيخ الإسلام: قال عمرو بن عثمان المكى فى كتابه «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: باب ما يجيء به الشيطان للتائبين. وذكر أنه يوقعهم فى القنوط، ثم فى الغرور وطول الأمل، ثم فى التوحيد، فقال: من أعظم ما يوسوس فى «التوحيد» بالتشكل، أو فى صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل، فقال بعد ذكر حديث الوسوسة:

واعلم رحمك الله أن كلما توهمه قلبُك، أو سَنَحَ فى مجارى فكرك، أو خَطَر فى معارضات قلبك، من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق أو جمال، أو سنح[1] مسائل أو شخص متمثل: فالله سبحانه وتعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [٤ : سورة الإخلاص] أى لا شبيه ولا نظير ولا مساوى ولا مثل، أو لم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه؟ فكما لا يتجلى لشىء إلا اندك: كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فَرُدَّ بما بين الله

(١) قال فى القاموس: سنَحَ لى رأى، كمنع، سنوحاً وسَنْحاً: عرض، وسنح بكذا: عرَّضَ ولم يصرح، وسنَحَ به، وسنَحَ عليه: أحرجَه، وأصابه بشر. اهـ.

فى كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ، فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب ـ تعالى وتقدس ـ فى كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه، لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك فى صفات الملحدين، الزائغين، الجاحدين: لصفة الرب تعالى. وبعد أن ذكر بعض الصفات الخبرية قال: فيستحسر العقل، وتنقطع النفس عند إرادة الدخول فى تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب فى أحد الجانبين، لا معطلاً ولا مشبهاً، وارضَ لله بما رضى به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً، مستسلماً مصدقاً، بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير. أهـ مجموع الفتاوى ٥/ ٦٢ ـ ٦٤.

ولا شك أن التفكر فى ماهية ذات الله وكنه صفاته ممنوع شرعاً وطبعاً، وربما جَرَّ صاحبه إلى متاهات تزل فيها قدمه، لأن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن تحيط به أو تحوم حول كنه صفاته الضمائر، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [١١٠: سورة طه]. قال شيخ الإسلام: ثبت عن الربيع بن سليمان أنه قال: سألت الشافعى عن صفات الله فقال: حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل، إلا ما وصف الله به نفسه أو على لسان رسوله ﷺ أهـ.

وشأن المسلم أن يكون تفكره فى عجائب مخلوقات الله تعالى، بادئاً بنفسه، ذلك هو السبيل الأقوم الذى يهدى إليه القرآن ويدعو إليه، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٢٠ ـ ٢١: سورة الذاريات].

وقــال عــزَّ وجــلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [١٩٠ : سورة آل عمران]. أى لأهل العقول فى ارتفاع السماء واتساعها، وانخفاض الأرض واتضاعها، وفى تعاقب الليل والنهار، وتقارضهما الطول والقصر آياتٌ وعبرٌ.

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقَدَرِهِ، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١٠٥ : سورة يوسف]. قال ابن كثير: يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر فى آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله فى السماوات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات.

ومدح سبحانه عباده المؤمنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [١٩١ : سورة آل عمران].

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: قال «بت عند خالتى ميمونة، فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ، فلما كان ثلث الليل الآخر قام فنظر إلى السماء فقرأ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآيات العشر إلى آخر السورة ثم قام فتوضأ. . .» الحديث متفق عليه(١).

وروى ابن حبان فى صحيحه، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، نحو هذا الحديث عن عائشة وأنه ﷺ قال فى آخره: «**وَيلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**» ساقه ابن كثير عنهم فى تفسيره، ثم قال: وهكذا رواه

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٠١٤) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين.

ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار، ثم ساق سند ابن أبى الدنيا إلى عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعى عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من التفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ قال: يقرؤهن وهو يعقلهن أهـ.

▫ حالات الوسوسة:

١ ـ قد تعرض لقلب المؤمن وساوس فى ذات الله تعالى أو صفاته أو فى بعض العقائد الأخرى، ولكنها تمر عابرة، وهذا النوع من الوسوسة لا خطر فيه ولا عبرة به ما دام يرفضه ولم يفتح له صدره.

٢ ـ وقد تعرض له وساوس يتجاوب معها القلب وتؤثر فيه وتستحكم فتحدث شبهات وشكوكاً ويبقى قلب صاحبها فى دوامة ومتاهات، وهذا النوع خطير ومرير، وتجب معالجته بالقرآن والعلاج النبوى، الآتى.

٣ ـ وقد تحدث لقلب المؤمن وسوسة مضنية فتاكة ـ إن لم يبادر بعلاجها ـ وقد تسببها شبهة من حادثة وربما تؤدى إلى نوع من الشك والتكذيب كما جرى لأبى بن كعب رضى الله عنه كما سيأتى.

٤ ـ وتمر بالمؤمن حالة من ضعف الإيمان يكون قلبه فيها عرضة لوساوس غير منتظمة، وتستعصى نفسه فى الانقياد للعمل الصالح وهذه الحالة تسببها المعاصى التى لم تتبع بتوبة صادقة.

٥ ـ وتمر بالمؤمن أيضاً أوقات يذبل فيها نور إيمانه، وتتثاقل نفسه، ويتعرض له الشيطان بأنواع من التشكيك والتساؤلات ومن أسباب هذه الحالة الغفلة المفرطة وهجران القرآن.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [٣٦: سورة الزخرف].

وما من أحد إلا ومعه قرين من الجن يأمره بالشر ويحثه عليه بالوسوسة وغيرها، ومعه قرين من الملائكة يأمره بالخير ويدله عليه، وحيث كان السلطان لأحدهما كان الأثر والسلوك.

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قالوا: وإياك؟ يا رسول الله، قال: «وَإِيَّاىَ، إلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِى إلاَّ بِخَيْرٍ»** رواه مسلم[(١)].

وفى لفظ «. . . **وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ»**[(١)].

وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: غرت على النبى ﷺ، فقال: **«مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ أَقَدْ جَاءَكِ شَيطَانُكِ؟» قالت: أَوَ مَعِى شَيطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «نَعَمْ، وَلَكِن رَبِّى أَعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»** رواه مسلم[(٢)].

والوسوسة كلها تجاوز الله من فضله لعباده المؤمنين عنها، فلا إثم فيها ولا مؤاخذة بشرطين اثنين:

أولهما: أن لا يعمل بمقتضاها، فلا يعتقدها ويبتعد عنها وينكرها،

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨١٤).

(٢) صحيح مسلم أيضاً رقم (٢٨١٥) كتاب صفات المنافقين، وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه: أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم، من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرنى إلا بخير اهـ.

«تنبيه» قال القاضى عياض: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه، وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا، لنحترز منه أهـ.

ثانيهما: أن لا يتكلم بها بلسانه ولا ينطق بفحواها.

عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِى عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ**». متفق عليه[1].

وفى لفظ للبخارى عنه: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِى عَنْ أُمَّتِى مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ**»[1].

وهذه الوسوسة بهذين الشرطين وصفها النبى ﷺ بأنها محض الإيمان وصريحه، وقد جرت لأولياء الله من الصحابة الذين هم من أكمل الناس إيماناً، وأخبر النبى ﷺ أمته بأن الشيطان لا يزال يترصد بها للمسلم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ فسألوه: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: «**وَقَدْ وَجَدتُّمُوهُ؟**» **قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:** «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**» رواه مسلم[2].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ قال: «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**» رواه مسلم[3].

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد فى نفسه - يعرض بالشىء - لأن يكون

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٢٨٧) كتاب الأيمان والنذور، ورقم (٢٣٩١) كتاب العتق. صحيح مسلم رقم (١٢٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٣٢) كتاب الإيمان. وقوله: «ذاك صريح الإيمان» معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان.

(٣) صحيح مسلم رقم (١٣٣) كتاب الإيمان. وقوله: «محض الإيمان». أى خالصه والمحض كل شيء خَلَص حتى لا يشوبه شيء يخالطه. ومعناه: سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان.

حُمَمَة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال النبى ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**» رواه أبو داود[1]، والإمام أحمد.

وروى البزار عن عمارة[2] بن أبى الحسن عن عمه أن الناس سألوا رسول الله ﷺ عن الوسوسة التى يجدها أحدهم، لأن يسقط من عند الثريا أحب إليه من أن يتكلم به، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِى الْعَبْدَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ، فَإِذَا عُصِمَ مِنْهُ وَقَعَ فِى مَا هُنَالِكَ**» قال فى مجمع الزوائد: رواه البزار ورجاله ثقات أئمة.

■ علاج الوسوسة:

دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهم دواء لداء الوسوسة: الاستعاذة بالله تعالى واللياذ به من الشيطان الوسواس الخناس، وشياطين الإنس والجن هم رواد كل شر، ويتألف علاج الوسوسة مما يلى:

١ ـ رفضها والابتعاد عنها بجميع أنواعها.

٢ ـ الاستعاذة بالله تعالى والاعتصام به.

٣ ـ الانتهاء عن الاسترسال مع الشيطان ومحاجته، لأن ذلك يزيده تمكيناً فى توسيع دائرة الوسوسة وعرض الشبهات، وذلك بالانشغال عنها بما يقطعها.

---

(١) سنن أبى داود رقم (٥١١٢) كتاب الأدب. وقوله: «لأن يكون حممة» أى فحمة. والمعنى: لأن يحرق حتى يصير فحمة أحب إليه من أن ينطق بلسانه بما يجد لاستحالته فى حق الله تعالى.

(٢) عمارة بن أبى الحسن الأنصارى ثقة، قيل: له صحبة. وأبوه أبو حسن: اسمه تميم بن عمرو صحابى عقَبِى بذرى «تهذيب التهذيب». وعم عمارة المذكور: اسمه عبد الله بن زيد بن عاصم. له صحبة مات يوم الحرة. «تهذيب الكمال» «والجرح والتعديل».

٤ ـ تجديد الإيمان بالله عزّ وجلّ.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِى الشَّيطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ» متفق عليه(١).

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَال هَذَا، خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِن ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» متفق عليه(٢).

وقد نظم هذا المعنى بعضهم فقال:

وما به يوسوس الشيطان	والقلب يأباه هو الإيمان
فلا تحاجج عنده اللعينا	لأنه يزيده تمكيناً.أهـ

وعن أبى زُميل(٣) قال: قلت لابن عباس رضى الله عنهما، ما شيء أجده فى صدرى؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به، فقال: أشيء من شك؟ وضحك، قال: ما نجى من ذلك أحد حتى أنزل الله ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ...﴾ [٩٤: سورة يونس]، قال: فقال لى: إذا وجدت فى نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣: سورة الحديد] رواه

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٣٤) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٣١٠٢) كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٨٦٦) كتاب الاعتصام. صحيح مسلم رقم (١٣٤) كتاب الإيمان.

(٣) أبو زميل بالزاى مصغراً: اسمه سماك بن الوليد الحنفى اليمامى، قال أحمد وابن معين والعجلى: ثقة، وقال النسائى: ليس به بأس وتبعه الحافظ فى «تقريب التهذيب» وهو تابعى روى عن ابن عباس وابن عمر، وروى عنه مسلم وأصحاب السنن الأربعة والبخارى فى الأدب المفرد.

أبو داود[١].

وقد أرشد رسول الهدى ﷺ أمته إلى حرز متين وحصن حصين من الشيطان الرجيم:

عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ**» متفق عليه[٢].

أما الوسوسة التى تكون بسبب شبهة فعلاجها العلم الذى يكشف تلك الشبهة ويجلى الحق، وقد حدثت لأبى بن كعب رضى الله عنه حيث كان لا يعلم اختلاف القراءات، ولما علمه النبى ﷺ ونبهه على ذلك زال عنه ما حصل له فى لحظة، ولم تخدش تلك الوسوسة فى إيمانه.

عن أبى بن كعب رضى الله عنه، قال: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّى، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنَا جَمِيعاً عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِن هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسُقِطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقاً، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلّ فَرَقاً، فَقَالَ لِي: «يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ

---

(١) سنن أبى داود، رقم (٥١١٠) كتاب الأدب.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣١١٩) كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم رقم (٢٦٩١) كتاب الدعوات.

إِلَيَّ: أَنِ اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِى، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِى، فَرَدّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى، وَادَّخَرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّىٰ إِبْرَاهِيمُ» رواه مسلم(١).

أما حالة ضعف الإيمان بالمعصية فعلاجها بالتوبة الصادقة، والأخذ فى الأعمال الصالحة، ولا شك أن الإيمان يضعف بالمعصية، بل دلت نصوص على أنه يفارق العاصى حال تلبسه بالمعصية، وستأتى الأحاديث فى ذلك إن شاء الله تعالى.

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة، رضى الله عنه مرفوعاً: «**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ» قيل: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا؟ قال: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**» إسناده جيد.

وحالة خفوت نور الإيمان وتثاقل النفس علاجها: بقراءة القرآن بالتدبر والذكر ومجالسة العلماء والصالحين...

عن حنظلة الأُسَيدى ـ وكان اتهم نفسه بالنفاق لاختلاف حالته فى غيبته عن النبى ﷺ وحضوره ـ فقال له النبى ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لو تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، ...**» رواه مسلم(٢).

وفى لفظ: «... **وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِى الطُّرُقِ**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم رقم (٨٢٠) كتاب صلاة المسافرين. وقوله: «فسقط فى نفسى من التكذيب...» معناه وسوس لى الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت عليه فى الجاهلية. قال القاضى عياض: معنى قوله: سقط فى نفسى، أى اعترته حيرة ودهشة.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

* خارج بركات

مبحث: الإيمان بالملائكة عليهم السلام

من أركان الإيمان الستة، الإيمان بالملائكة، ولأهمية هذا الركن وتأصله فى الغيب قُدم على الكُتُب والرسل فى الآيات القرآنية وحديث جبريل، وعُطِف على الإيمان بالله تعالى مباشرة، والإيمان بالملائكة فرع عن الإيمان بالله عزَّ وجلّ، لأنهم عباده السفراء بينه وبين خلقه، والذين لم نعلم عنهم شيئاً إلا بواسطة خبر الله وخبر رسله، فكان الإيمان بهم إيماناً بالغيب.

والإيمان بالملائكة معناه التصديق الجازم واليقين الذى لا يخالجه شك، بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين، خلقهم الله تعالى، وكلفهم بوظائف من العبادات والأعمال، جند من جنود الله من أكثر وأعظم مخلوقات الله، رسل الله فى خلقه، تتنزل بالأمر من عنده فى أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر، فكل حركة فى العالم العلوى والسفلى ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (١)﴾ [٥ : سورة النازعات].

والقرآن مملوء بذكر الملائكة، وأصنافهم، وأعمالهم، ومراتبهم، بل لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً أو تلويحاً، وقد

---

(١) يلاحظ أنه سبحانه أضاف التدبير فى هذه الآية إلى الملائكة لمباشرتهم لما كلفهم به من تدبير شؤون خلقه، وأضاف التدبير إليه سبحانه فى عدة آيات كقوله: ﴿... يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ...﴾ [٣] ﴿... وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ...﴾ [٣١: يونس] فهو تعالى المدبر أمراً ومشيئة، والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالاً. قاله ابن القيم.

ذكروا كثيراً فى الأحاديث النبوية، حتى قالوا: من نوادر صحيح البخارى أن أطول كتاب فيه وأكثره أحاديث «باب ذكر الملائكة».

ولفظ «الملك» يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس له من الأمر شىء، بل الأمر كله لله تعالى، والملائكة جمع، واحده ملك، أصله: ملأك على وزن مفعل من لأك إليه ملأكة، إذا أرسل إليه رسالة، وقال قوم: أصل ملك مألك، وزن معفل بتقديم الهمزة من ألك، إذا أرسل إليه مألكة وألوكا وهى الرسالة. وحذفت الهمزة من المفرد فى غير الشعر تخفيفاً، وظهرت فى الجمع لأنها أصل ومن الأول:

أَبلِغِ النعمانَ عَنّى مَلأكًا ... أنه قَدْ طَالَ حَبْسِى وانتِظَارى

ومن الثانى قول لبيد بن أبى ربيعة:

وغلامٌ أرسلَتْهُ أُمُّه ... بألوكٍ فبَذَلْنا ما سَأَلْ أهـ

قال ابن جرير: سميت الملائكة ملائكة، بالرسالة لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده أهـ.

ولا بد من الإيمان، بملائكة الله تفصيلاً، فيمن ذكر الله ورسوله باسمه أو صفته، فيجب الإيمان به بعينه، كجبريل، ومالك، وملك الموت وحملة العرش، وإجمالاً فيمن أُجمل.

ووجود الملائكة ـ فضلاً عن أن اعتقاده ركن الإيمان الثانى ـ هو أمر ثابت بالأدلة القطعية، ولذا كان إنكاره كباقى أركان الإيمان إمعاناً فى الكفر والضلال.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [١٣٦ : سورة النساء].

■ **حقيقة الملائكة:**

وحقيقتهم أنهم من علم الغيب الذى استأثر الله تعالى به ولم يطلع عليه أحداً من خلقه إلا ما خص به رسله عليهم السلام. وقال جمهور المتكلمين من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة جعل الله لها قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السماوات.

وعن سعيد بن المسيب قال: الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون. أهـ.

قلت: ولبعض هذه المذكورات أدلة ثابتة معروفة.

■ **خلقهم وصفتهم وكثرتهم:**

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِن نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**» رواه مسلم[(1)]. ورواه ابن مردويه بلفظ: «**خَلَقَ اللَّهُ الْمَلائِكَةَ مِن نُورِ الْعَرْشِ...**» الحديث.

وعن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ: قال: «**أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِن مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ**» رواه أبو داود[(2)] وإسناده صحيح، قاله المناوى وغيره.

وعن مسروق، قال: كنت عند عائشة رضى الله عنها فقالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [٢٣: سورة التكوير]. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣: سورة النجم] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِى خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ**

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٩٦) كتاب الزهد، و«المارج»: اللهب المختلط بسواد النار.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٧٢٧) كتاب السنة.

هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادّاً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ. . .» رواه مسلم[1]. والبخارى نحوه.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١: سورة فاطر].

عن زِرّ بن حُبَيْش، قال: أخبرنا عبد الله بن مسعود: أن محمداً ﷺ **رأى جبريل له ستمائة جناح»** متفق عليه[2]. ولمسلم **«رأى جبريل فى صورته. . .»**.

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عَلَيْهِ سِتُّمائَةِ جَنَاحٍ يَنْثُرُ مِن ريشه التَّهَاوِيلُ، الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»** رواه الإمام أحمد، قال الحافظ ابن كثير: إسناده قوى وجيد.

وفى حديث المعراج قال فيه ﷺ: **«. . . فَرُفِعَ لِى الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ. . .»** متفق عليه[3] من حديث أنس بن مالك.

عن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«. . . أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ. . .»** رواه الترمذى وابن ماجه[4].

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٧٧) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٣٠٦٢) ورقم (٣٠٦٣) كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٥٧٦) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (١٧٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح البخارى رقم (٣٠٣٥) كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم رقم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٤) جامع الترمذى رقم (٢٣١٢) كتاب الزهد. سنن ابن ماجه رقم (٤٢٤٣) أبواب الزهد. وقوله: «أطت» الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل حملها.

وروى ابن جرير والطبرانى عن عائشة، قالت: قال نبى الله ﷺ: «مَا فِى سَمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعُ قَدَم إلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، فَذَلِكَ قَوْلُ الْمَلائِكَةِ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [١٦٤ ـ ١٦٦: سورة الصافات].

▪ أصناف الملائكة وعلاقتهم بالكون:

دلت أحاديث مرفوعة بعضها عند الترمذى وبعضها عند الطبرانى، أن للملائكة رؤساء ثلاثة، هم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل[١].

فجبريل موكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد موتهم.

وكان نبى الهدى ﷺ يتوسل إلى ربه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء السادة الثلاثة.

عن عائشة رضى الله عنها، قالت: كان النبى ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» رواه مسلم[٢].

---

(١) روى البخارى تعليقاً مجزوماً به، والطبرى بسند موصول عن عكرمة قال: جَبْر، وميكَ، وإسرافِ: عبد، إيل الله. وروى عن ابن عباس نحوه وزاد: وكل اسم إيل فهو الله.

(٢) صحيح مسلم رقم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين.

قال ابن القيم: دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرَّحِم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه، وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها ملائكة، ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ومنهم ملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها إلا الله أهـ.

وقد أكثر الله تعالى فى القرآن الكريم من القسم بالملائكة تعبيراً عن صفاتهم فى حالة أعمالهم وعبوديتهم له تعالى بأساليب مختلفة تارة يكون القسم على توحيده وربوبيته، وتارة على أدلة توحيده كالبعث والجزاء.

قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [١ ـ ٤: سورة الصافات].

وقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [١ ـ ٧: سورة المرسلات].

وقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [١ ـ ٥: سورة النازعات].

فسرت الصافات وما بعدها فى السور الثلاث بالملائكة وفى بعضها خلاف انظر تفسير ابن جرير الطبرى للآيات المذكورة.

■ علاقتهم بالله عزَّ وجلَّ:

علاقة الملائكة بالله تعالى، هى علاقة المخلوق بخالقه علاقة

العبودية والطاعة الخالصة، لا ينتسبون إليه تعالى إلا نسبة العبودية والخضوع والمسارعة لتنفيذ أوامره، لا يتوقفون طرفة عين عن ذكره.

قال تعالى - فى حقهم - ﴿... وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [١٩ - ٢٠: سورة الأنبياء] وقال ﴿... بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [٢٦ - ٢٨: سورة الأنبياء].

وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٥٠: سورة النحل]. ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦: سورة التحريم].

فهم من أعلم خلق الله به، ومن أشد خلق الله له خشية، إذ خشية الله تعالى بحسب معرفته والعلم به، كما قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ...﴾ [٢٨: سورة فاطر].

روى الطبرانى والإمام أحمد واللفظ له عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل: **«مَا لِى لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكاً قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ»**.

عن أبى هريرة أن نبى الله ﷺ قال: **«إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِى السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِى قَالَ: الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ...»** رواه البخارى[1].

عن عبد الله بن عباس، قال أخبرنى رجل من أصحاب النبى ﷺ - من

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٥٢٢) كتاب التفسير.

الأنصار - أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ، رُمىَ بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَاذَا كُنتُمْ تَقُولُونَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِىَ بِمِثْلِ هذا؟» قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِين يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، لحمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضاً، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ويُرْمَوْنَ بِهِ. . .» رواه مسلم(١).

وروى الطبرانى وابن أبى حاتم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه مرفوعاً: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءَ رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِذَلِكَ صَعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِن وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ فَيَنْتَهِى بِهِ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ أَهْلُهُ مَاذَا قَالَ رَبُّنَا؟ قَالَ: الْحَقَّ فَيَنْتَهِى بِهِ حَيْثُ أُمِرَ».

■ **علاقتهم بالبشر:**

لعلاقة الملائكة بابن آدم أمر عجيب، من أعظم الأدلة على تمام قدرة الله عزَّ وجلّ وخاصة المسلم، ذلك أن الملائكة الذين خلقهم الله تعالى من النور وأسكنهم السماوات وخصهم بصفات وقوى تضعف أمامها قوى الإنسان - الذى خلقه الله من التراب ويعيده فيها - عن أن يطيق مؤالفتهم ومخالطتهم، ومع أنهم يلازمونه دائماً فقد حجبهم الله عنه وحال بينه وبين رؤيتهم والإحساس بهم.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٢٢٩) كتاب السلام.

وقد كان الرسول الكريم ﷺ مع ما خصه الله به من الكمال والقوى الحسية والمعنوية يلاقى شدة عظيمة من ملاقاة جبريل عليه السلام بالوحى، ولذا كان كثيراً ما يأتيه فى صفة رجل تأنيساً له.

عن عائشة رضى الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل النبى ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أَحْيَاناً يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُو أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّى وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً، فَيُكَلِّمُنِى فَأَعِى مَا يَقُولُ»**.

قالت عائشة: **«ولقد رأيته يَنْزِلُ عليه الْوَحْيُ فى اليوم الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً»** متفق عليه[1]. زاد أبو عوانة - فى صحيحه - بعد قوله: «فأعى ما يقول» «وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ».

والملائكة لا تفارق ابن آدم من حين يقع نطفة فى رحم أمه، إلى نهاية أمره إلا ما ورد من مفارقتهم إياه نادراً.

روى البزار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يَنْهَاكُمْ عَنِ التَّعَرِّى، فَاسْتَحْيُوا مِنَ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ الَّذِينَ مَعَكُمْ - الكرام الكاتبين - الَّذِينَ لاَ يُفَارِقُونَكُمْ إِلاَّ عِنْدَ ثَلاَثٍ: الْغَائِطِ، وَالْجَنَابَةِ، وَالْغُسْلِ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ بِالْعَرَاءِ فَلْيَسْتَتِرْ بِثَوْبِهِ. أَوْ بجُرْم حَائِطٍ، أو بِبَعِيرِهِ».

قال ابن القيم: والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢) كتاب بدء الوحي. صحيح مسلم رقم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل، وقوله: «صلصلة» الصلصلة صوت الحديد إذا حرك، وكل صوت له طنين. «فيفصم» يقلع، وأصل الفصم القطع من غير إبانة «وعَيت» حفظت وفهمت، «ليتفصد» يسيل، من الفصد، وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه الجبين بالعرق المفصود مبالغة فى كثرة العَرَق. وقول عائشة: ولقد رأيته... الخ، اتفق عليه الشيخان: البخارى بسند الحديث، ومسلم مفصولاً بسنده عن الحديث.

آخر أمره لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه فى أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله، و أجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته فى جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه فى حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه فى البرزخ، وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب.

وعن خاصتهم مع المسلم قال:

وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه فى الدنيا والآخرة، وهم الذين يُرُونه فى منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبه ليقْوَى قلبُه ويزداد شكراً، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه.

فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته، ومعلِّمُوه، وناصحوه، والدَّاعُون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام فى طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى فى منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه فى الدنيا. ويرغِّبُونه فى الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسى، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون فى مصالح دنياه وآخرته أهـ. إغاثة اللهفان ٢/ ١٢٥ ـ ١٣٠.

قلت: وغالب ما ذكره أدلته معروفة فى الكتاب والسنة، ولو تتبعناها لطال بنا ذلك والله أعلم.

◘ عصمة الملائكة عليهم السلام:

ومما يجب الإيمان به ما دلت عليه دلائل الشرع القطعية من عصمة

الملائكة وتطهيرهم من المعاصى والكفر والشرك. ويَجُرُّنا ذلك إلى الكلام حول موضوعين اثنين.

أولهما: قصة هاروت وماروت هل هما مَلَكَانِ من الملائكة هبطا إلى الأرض ووقعا فى المعاصى وكانا يعلمان الناس السحر أو هما ليسا ملكين.
ثانيهما: هل إبليس اللعين كان من الملائكة ثم كفر ومسخ أم لا؟

أما قصة هاروت وماروت فوقع فيها خلاف كبير بين علماء الأمة على ضوء آثار وردت عن السلف سنذكر أصلها، وأما القرآن فقد أجملت فيه فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...﴾ [١٠٢: سورة البقرة].

واتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت تكذيباً لليهود فى افترائهم على سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ أنه كان ساحراً ولم يكن نبياً، وفى ذلك أوضح براءة لسليمان، وجبريل، وميكائيل، من أن الله أنزل السحر بواسطتهما على سليمان، ثم اختلفوا فى قصة هاروت وماروت.

فقال كثير منهم: «إنهما ملكان من الملائكة أنزلهما الله إلى الأرض وركب فيهما الشهوة امتحاناً للملائكة لما اشتد إنكارهم فى السماء لعصيان بنى آدم وكفر بعضهم بالله تعالى، وأن الله سبحانه قال للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ففتنتهما، حتى شربا الخمر، فوقعا عليها، وقتلا نفساً ظلماً، فخُيِّرَا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخر، فاختارا عذاب الدنيا» رواه الإمام

أحمد فى المسند وابن حبان. كلاهما عن عبد الله بن عمر مرفوعاً من رواية نافع عنه، وقد انفرد بها موسى بن جبير[1] الحذَّاء.

قال ابن كثير: وهو حديث غريب جداً ورواته ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو مستور الحال ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأقرب ما يكون فى هذا: أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، لا عن النبى ﷺ. فقد رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار فذكره. ورواه ابن جرير من طُرُق، وابن أبى حاتم عن سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن كعب الأحبار فذكره، قال: فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر مما تقدم، وسالم أثبت فى أبيه من مولاه نافع، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بنى إسرائيل والله أعلم. أهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ . . .﴾ اختلف المفسرون فى هذا، فقال بعضهم «ما» نافية أعنى التى فى قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال القرطبى: «ما» نافية، والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك، وفى الكلام تقديم وتأخير، التقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين فى قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾، قال: وهذا أولى ما حملت عليه

(١) موسى بن جبير الأنصارى المدنى الحذاء، مولى بنى سلمة نزيل مصر: مستور، من السادسة «تقريب التهذيب».

الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواه أهـ.

وبعد أن ساق ابن جرير روايات عن ابن عباس وجَمْعٍ من أئمة السلف فى وصم اليهود لسليمان بالسحر، ونفيهم لنبوته قال: قال أبو جعفر: فإذْ كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا، وتأويل قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ . . .﴾ ما ذكرنا، فَبَيِّنٌ أن فى الكلام متروكاً ترك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه، وأن معنى الكلام: واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان، فتضيفه إلى سليمان، وما كفر سليمان، فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر.

ثم روى بإسناده عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ . . .﴾ يقول: لم ينزل الله السحر. وبإسناده عن الربيع بن أنس، فى قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر. ثم قال:

فتأويل الآية على هذا ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ من السحر وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فيكون قوله ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ من المؤخر الذى معناه التقديم. قال:

فإن قال قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت، فيكون مَعْنِياً «بالملكين»: جبريل وميكائيل لأن سحرة اليهود - فيما ذكر - كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذَبهم بذلك، وأخبر نبيه محمداً ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحَلُوه من السحر،

وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تُعلِّمُ الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمانهم ذلك رجلان: اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت، فيكون «هاروت وماروت» على هذا التأويل، ترجمة على «الناس» ورداً عليهم. هذا لفظ ابن جرير رحمه الله.

ورغم هذا كله فقد شرع فى رد هذا القول، وقال إن «ما» التى فى قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ هى بمعنى «الذى» وأطال القول فى ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملَكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما فى تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً بعد أن بين لعباده أن ذلك مما نهى عنه على ألسنة الرسل، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان لله فى تعليم ذلك للناس لأنهما امتثلا ما أمرا به أهـ.

قال ابن كثير: وهذا المسلك الذى سلكه ابن جرير غريب جداً، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن، كما زعمه ابن حزم. أهـ.

قلت: صدق الحافظ ابن كثير فى استغراب مسلك ابن جرير فى هذه القصة فقد فسر الآية بما يتماشى مع قواعد الشرع ومألوف العقل، بأحسن أسلوب وبعناية فائقة، ثم سرعان ما يعكس ذلك بنوع من التعسف الغريب. وهو ـ رحمه الله ـ كغيره من المفسرين الذين يعتنون كل العناية بالآثار المنقولة عن السلف، ولو كانت من الإسرائيليات، وأحرى إذا كثرت طرقها أو رفعت، وهناك من المفسرين من يمحص سند كل وارد ولا يعتنى بما لم يثبت رفعه للمعصوم ﷺ، بل يبعده إذا لم يعتضد بمؤيد من الشرع.

وقصة هاروت وماروت مر بنا سندها المرفوع، الذى يظهر أنه غير مدفوع، بل يتبادر أولاً أنه صالح للاحتجاج، لكن الناقد الحافظ ابن كثير

أبدى من علله ما طرحه به وحكم بأن القصة إسرائيلية، فمُعارَضَةُ رواية نافع عن ابن عمر المرفوعة برواية سالم بن عبد الله عنه، عن كعب الأحبار، وكون سالم أثبت فى أبيه من نافع، وما هو معلوم من شدة نكارة متن القصة من جميع رواياتها كتعليم الملائكة الناس السحر، والسحر كفر، إلى غير ذلك مما يتنافى مع عصمة الملائكة عِلَلٌ حاكمةٌ بما قاله ابن كثير رحمه الله.

ولا يخفى أن من يقول بمضمون الآثار الواردة فى قصة هاروت وماروت يقول: إن الجمع ممكن بينها وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة بأن هذين سبق فى علم الله لهما هذا فيكون تخصيصاً لهما، فلا تعارض حينئذ، كما سبق فى علمه تعالى من أمر إبليس ما سبق، وأحرى من يرى أن إبليس كان من الملائكة أصلاً، كابن جرير الطبرى ومن وافقه.

ونختم القول هنا بما قاله ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقد قال: وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد، والسدى والحسن البصرى، وقتادة، وأبى العالية، والزهرى، وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن، بما ورد فى القرآن على ما أراد الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. أهـ. وما نقلته ها هنا عن ابن جرير وابن كثير والقرطبى فهو من تفاسيرهم.

■ هل أصل إبليس من الملائكة أم لا؟

الخلاف فى إبليس هل هو مَلَك فى الأصل وقد مسخه الله شيطاناً،

أو ليس فى الأصل بملك، وإنما شمله لفظ الملائكة فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ...﴾ [٣٤: سورة البقرة] لدخوله فيهم وتعبده معهم، خلافٌ مشهور بين العلماء، قال بالأول ابن جرير ورجحه، ورواه عن ابن عباس وقتادة، وتبعه بعض المفسرين المتأخرين كابن عطية والقرطبي[١] ـ صاحب التفسير ـ وعزاه هذا للجمهور.

ودليل هؤلاء على أن إبليس كان ملَكاً: أَنَّ الله استثناه من الملائكة فى عدة آيات قالوا: والأصل فى الاستثناء أن يكون متصلاً، وقالوا: لا حجة فى كونه من الجن لأن العرب تطلق اسم الجن على الملائكة لاستتارهم عن الأبصار كما قال الأعشى عن سليمان بن داود عليهما السلام.

وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

وقال بالثانى جماعة منهم الحسن البصرى فقد ثبت عنه قوله: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس أهـ.

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم كذلك قال: إبليس أبو الجن كما آدم أبو الإنس. وأدلة هؤلاء على أن إبليس لم يكن قط من الملائكة كثيرة منها: عصمة الملائكة عن المعصية فضلاً عن الكفر الذى ارتكبه إبليس، قال تعالى عنهم: ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦: التحريم] وقال ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾. [٢٧: الأنبياء] ومنها: أن الله صرح فى سورة الكهف أن إبليس كان من الجن،

---

(١) هذه النسبة أكثر ما تطلق على اثنين من علماء قرطبة ـ الأندلس ـ أولهما: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى صاحب كتاب المفهم شرح صحيح مسلم. والثانى: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى صاحب التفسير، والأول شيخ الثانى.

والجن غير الملائكة، فالملائكة خلقوا من النور كما فى صحيح مسلم، وإبليس خلق من النار، ومنها: أن الملائكة لا يلدون وصرح القرآن بأن لإبليس ذرية. ولا دليل فى الاستثناء لأنه يأتى منفصلا، فلا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، كما هو الحال فى استثناء إبليس من الملائكة، وهناك مرجحات أخرى، منها ما ذكره العلامة الشيخ محمد الأمين فى أضواء البيان عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ . . .﴾ [٥٠: سورة الكهف].

قال رحمه الله: ـ

قوله فى هذه الآية الكريمة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ ظاهر فى أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر فى علم الأصول أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل، كقولهم: سرق فقطعت يده، أى لأجل سرقته، وسها فسجد، أى لأجل سهوه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أى لعلة سرقتهما، وكذلك قوله هنا (كان من الجن ففسق) أى لعلة كينونته من الجن، لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة، لأنهم امتثلوا الأمر وعصا هو. ثم قال: وأظهر الحجج ـ فى المسألة ـ حجة من قال: إنه غير ملك، لأن قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ . . .﴾ الآية، هو أظهر شىء فى الموضوع من نصوص الوحى. والعلم عند الله تعالى. أهـ.

■ **الجن والشياطين:**

من عقائد أهل السنة والجماعة، الإيمان بما تواترت وتكاثرت به نصوص الكتاب والسنة من وجود الجن والشياطين، والجن أمة من خلق الله من ذرية إبليس، سموا جناً لاستتارهم، فمن كفر منهم يسمى شيطاناً وإلا فهو جنى.

وأجمع المسلمون على أنهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام، واختلف فى تكليفهم بالفروع، ولم تكن منهم رسل على القول الصحيح، وإنما يسمعون من رسل الإنس فينذر بعضهم بعضاً، فمنهم نُذُر، كما قص الله ذلك فى مواضع من القرآن قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [٢٩: سورة الأحقاف]. وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [١ ـ ٢: سورة الجن].

وأنكر الفلاسفة ومعظم المعتزلة الجن والشياطين، ومن هؤلاء من يثبت وجودهم وينكر تسلطهم على الإنس، ورد أهل السنة على المعتزلة بالنصوص القطعية فى ثبوت الجن والشياطين من الكتاب والسنة وأن العقل أيضاً لا يحيل وجودهم.

قال ابن العربى: ـ فى أحكام القرآن ـ أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، وقد مهدنا الرد عليهم فى كتب الأصول وبينا جواز وجودهم عقلاً لعموم القدرة الإلهية، وأوضحنا وجوب وجودهم شرعاً بالخبر المتواتر من القرآن والسنة، وأن الله خلق لهم من تَيَسُّرِ التصور فى الهيئات ما خلق لنا من تيسر التصور فى الحركات، فنحن إلى أى جهة شئنا ذهبنا، وهم فى أى صورة شاءوا تيسرت لهم، ووجدوا عليها، ولا نراهم فى هيئاتهم، إنما يتصورون فى خلق الحيوانات أهـ.

وعن أصنافهم وهيئاتهم روى ابن حبان فى صحيحه والحاكم:

عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«الْجِنُّ عَلَى ثَلاَثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِى الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَظْعَنُونَ»**.

وهم مثل الإنس فى أن منهم الكافر ومنهم المؤمن الصالح والمؤمن الذى هو دون ذلك حتى قيل: إن كل نحلة توجد فيهم، فمنهم سنيون وروافض وقدرية ومرجئة. . . قال الله تعالى حاكياً قولهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [١١: سورة الجن].

قال ابن عباس وقتادة: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أهواءً مختلفةً وآراء متفرقة، أى منا المؤمن ومنا الكافر. وقال القرطبى: قال ابن المسيب: كنا مسلمين، ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّى: الجن مثلكم قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية.

ومنهم كفرة مردة همهم إغواء بنى آدم ورأسهم إبليس يبعثهم على الناس ويخطط لهم، وأقربهم منه أشدهم فتنة.

عن جابر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُول: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**» رواه مسلم(١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِى، فَأَمْكَنَنِى اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِن سَوَارِى الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِى سُلَيْمَانَ** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ . . .﴾ [٣٥: سورة ص]. فَرَدَدْتُهُ خَاسِئاً» متفق عليه(٢).

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨١٣) كتاب صفات المنافقين.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٢٤١) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم (٥٤١) كتاب المساجد. وقوله: «إن عفريتاً» العفريت العاتى المتمرد من جان أو إنس. «تفلت» عرض لى فلتة وتوثب فى سرعة «البارحة» أقرب ليلة مضت. «خاسئاً» ذليلاً.

والجن بعدما استمعوا للقرآن وآمن منهم من آمن وكفر منهم من كفر اجتمع بهم النبى ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن أكثر من مرة، واختصموا عنده وحكم بينهم، وجاءوا إليه وفوداً وفوداً.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: كُنّا مَعَ رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ، فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ، فلما أصبحنا إذا هو جَاءٍ من قبل حراءٍ... فقال: **«أَتَانِى دَاعِى الْجِنِّ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيهِمُ الْقُرْآنِ» قَالَ فَانطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ، فَقَالَ: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِى أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحماً، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ»** رواه مسلم[(١)].

بينما يروى الإمام أحمد، والبيهقى، وأبو نعيم، وابن جرير: روايات تثبت حضور ابن مسعود لقصة وفود الجن على النبى ﷺ وتدل على تعدد ذلك وأنهم وفدوا عليه فى المدينة بعد الهجرة. كما دلت هذه النصوص وغيرها على أنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون.

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال له: **«أَبْغِنِى أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلاَ تَأْتِنِى بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ»** فقلتُ: **مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قال: «هُمَا مِن طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِى وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ - وَنِعْمَ الْجِنُّ - فَسَأَلُونِى الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَن لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً»** رواه البخارى[(٢)].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال: **«لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا»**.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٦٤٧) كتاب فضائل الصحابة. «استنفض» أى استبرىء بها واستنجى.

قال: وكان نافع يزيد فيها «**وَلاَ يَأْخُذُ بِهَا وَلاَ يُعْطِي بِهَا**». رواه مسلم[١].

وعن أمية بن مخشى[٢]، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره. فضحك النبى ﷺ، ثم قال: «**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ اسْتَقَاءَ مَا فِى بَطْنِهِ**» رواه أبو داود[٣] والنسائى فى السنن الكبرى.

واستدل لتناسل الجن، بصريح القرآن بأنهم من ذرية إبليس، وبقول الله تعالى عن نساء الجنة ﴿. . .لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٥٦: سورة الرحمن]. وهذه الآية ونحوها يستدل بها على كثير من الأحكام فى شأن الجن.

قال القرطبى: ـ عند تفسيرها ـ فى هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة، ويكون لهم فيها جنيات. قال ضمرة بن حبيب: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس والجنيات للجن. وقال القرطبى أيضاً: فى تفسير سورة «الرحمن» ـ هذه السورة و«الأحقاف» و«قل أوحى» دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم فى شىء من ذلك.

قلت: هذا الإطناب منه سببه أنه:

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة.

(٢) أمية بن مخشى: خزاعى صحابى، يكنى أبا عبد الله، له حديث واحد فى التسمية على الأكل. قاله: ابن عبد البر فى «الاستيعاب».

(٣) سنن أبى داود رقم (٣٧٦٨) كتاب الأطعمة.

قد اختلف العلماء فى ثوابهم وهل يدخل مؤمنهم الجنة أم جزاء المطيع منهم أن يجار من النار يوم القيامة؟ روى ابن أبى حاتم عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال: لا يدخل مؤمنوا الجن الجنة لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة أهـ.

واستدل قائلوا ذلك بقول الله تعالى عن نُذُرهم ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣١: سورة الأحقاف]. قالوا: فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لذكروه، وذكرت فيهم أقوال غريبة منها ما روى عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أن الجن لا يدخلون بحبوحة الجنة، وإنما يكونون فى ربضها وحولها وفى أرجائها، وقيل: إن ثوابهم هو النجاة من النار، ثم يكونون تراباً، وهذه أقوال لا دليل عليها كما يتضح ذلك من أقوال العلماء بأدلتها.

قال الشيخ تقى الدين: والدلائل الدالة على أن الجن يحجون ويصلون ويجاهدون، وأنهم يعاقبون على الذنب كثيرة جداً. مجموع الفتاوى ٤/ ٢٣٧.

وقال القرطبى: - عند تفسير الآية المذكورة - مسألة: هذه الآيات تدل على أن الجن كالإنس فى الأمر والنهى والثواب والعقاب، وقال الحسن: ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وبه قال أبو حنيفة قال: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وقال آخرون: إنهم كما يعاقبون فى الإساءة يجازَوْن فى الإحسان مثل الإنس، وإليه ذهب مالك والشافعى وابن أبى ليلى، وقال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. أهـ.

وقال الحافظ ابن كثير: استَدَل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، والحق أن مؤمنهم كمؤمنى الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عزَّ وجلّ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ وأحسن منه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٦ ـ ٤٧: سورة الرحمن] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولى أبلغ من الإنس، فقالوا: «**وَلاَ بِشَىْءٍ مِنْ آلاَئِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ**»[1] فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى، ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [١٠٧: سورة الكهف]،وما أشبه ذلك من الآيات قال: وقد أفردت هذه المسألة فى جزء على حدة ولله الحمد، وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشىء الله تعالى لها خلقاً[2]، أفلا يسكنها من آمن به وعمل صالحاً، وما ذكروه هنا

---

(١) يشير إلى ما رواه الترمذى عن جابر رضى الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: «لقد قرأتُها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيءٍ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» وقال: هذا حديث غريب. جامع الترمذى رقم (٣٢٩١) كتاب تفسير القرآن. ورواه البزار وابن جرير بسند آخر عن ابن عمر مرفوعاً. قال الهيثمى: ـ فى مجمع الزوائد ـ رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبى وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) هذا ثابت من حديث أنس بن مالك المتفق عليه، وسيأتى بلفظه فى ذكر الإيمان بالجنة والنار إن شاء الله تعالى.

من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة، لأنه ليس فى الآخرة إلا الجنة أو النار، فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة، ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر، عن الشارع أن مؤمنى الجن لا يدخلون الجنة، وإن أُجيروا من النار ولو صح لقلنا به، والله أعلم أهـ. انظر تفسير عماد الدين الحافظ ابن كثير لسورة الأحقاف.

*الشرح

مبحث: الإيمان بالكتب

من أركان الإيمان الإيمانُ بالكتب التى أنزلها الله على رسُله وأنبيائه، ومعناه: التصديق الجازم والإقرار بأن الله أنزل كتُباً على أنبيائه كما أخبر عنها، أنزلها بالحق والهدى ببيان توحيده فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، هى كلامه وشرعه، فيجب الإيمان بما تضمنته من التوحيد وغيره، وأن بعضها يصدق بعضاً، وما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر لها.

وهذه الكتب منها ما سماه الله لنا فيجب الإيمان به بعينه على التفصيل، ومنها ما لم يعينه فيجب الإيمان به إجمالاً، ولا يجوز بحال أن ننسب إليه تعالى كتاباً من غير دليل من الوحى، دلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [١٣٦ : سورة البقرة].

فقد أمر هذه الأمة بعد الإيمان به سبحانه أن تؤمن: بما أنزل عليها وهو القرآن أوّلاً، وتؤمن بما أنزل على الأنبياء ثانياً، ثم إنه من الأنبياء من بين لنا بالتفصيل ما نزل عليه، ومنهم من لم يبين بالتفصيل ما نزل عليه مع الأمر بالإيمان بكل ما أوتيه الجميع.

ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت عندما قال اليهود والنصارى للمؤمنين بمحمد ﷺ ﴿... كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ...﴾ [١٣٥ : سورة البقرة]. فأمرهم الله تعالى بأن يصدَعوا بهذه العقيدة ويعلنوا هذا الإيمان بالله وكتبه.

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ...﴾ [١٥: سورة الشورى]. والأمر له ﷺ أمر لأمته ما لم يدل دليل على تخصيصه.

هذا ومن الكتب التى ذكرت فى القرآن بأسمائها:

١ ـ «**التوراة**» أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم الكليم موسى عليه السلام، وهى أكثر الكتب السماوية ذكراً فى القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟...﴾ [٤٤: سورة المائدة].

٢ ـ «**الإنجيل**» أنزله الله تعالى على رسوله الكريم عيسى ابن مريم عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٦: سورة المائدة].

٣ ـ «**الزبور**» أنزله الله تعالى على رسوله الكريم داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [٥٥: سورة الإسراء].

٤ ـ «**الصحف**» أنزلها الله تعالى على الرسولين الكريمين إبراهيم وموسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ * إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [١٦ ـ ١٩: سورة الأعلى].

ويجب أن يعلم أن الإيمان بهذه الكتب مشروط بما كان منها منزلاً، لا مبدلاً ولا مؤولاً، لأن يد التحريف وصلت إليها، كما أنها نزلت بشرائع خاصة على رسل أرسلوا لأمم مخصوصة وأزمنة محدودة، فما كان فيها

من توحيد الله وخبره لا يتطرق إليه نسخ، وما كان فيها من أحكام وشرائع فقد نسخ بشريعة القرآن، فالإيمان بما نزل من عند الله منها فقط، مع أننا لا نكذب بما لا نعلم حقيقته هل هو من عند الله أو هو من المحرف وكذلك لا نصدقه، دلنا على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [٤٦ : سورة العنكبوت].

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا...﴾ الآية» رواه البخارى[1].

■ **الإيمان بالقرآن الكريم:**

ويجب الإيمان بالقرآن الكريم إيماناً مفصلاً، إيماناً أتم وأكمل من الإيمان بالكتب السابقة فنؤمن بأنه كلام الله حقيقة لفظه ومعناه، كتاب الله الذى ختم به كتبه، وأنزله على نبى ختم به رسله، كله حق ونور وهدى ورحمة، شرع الله الخالد ما دامت الدنيا، تولى الله تعالى حفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من أنكر حرفاً منه غير جاهل كفر، ومن زاد فيه حرفاً كذلك كفر، مصدق للكتب السابقة ومهيمن عليها، كما قال تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ

(١) صحيح البخارى رقم (٤٢١٥) كتاب التفسير، وهذا النهى مشروط بأن يكون خبر أهل الكتاب محتملاً للصدق والكذب ولم يرد النهى عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، ولا عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، نبه عليه الشافعى رحمه الله.

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴾ [٤٨ : سورة المائدة].

قال ابن جرير: يقول تعالى أنزلنا إليك الكتاب الذى أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً لِلكُتُبِ قبله، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله، أميناً عليها، حافظاً لها، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن، وروى عن ابن عباس أنه كان يقول الكتاب أكثر من الكُتُب أهـ. يعنى أنه اسم جنس فيعم الكتب المنزلة كلها.

تعريف القرآن عند فقهاء أهل السنة:

هو الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

شرح التعريف: المعجز صفة خاصة بالقرآن، وخرج بالمنزل على محمد: ما لم ينزل كالحديث النبوى، وما نزل على غير محمد. وبالمكتوب فى المصاحف، ما خالف خط المصاحف العثمانية. وبالمنقول بالتواتر: القراءات الآحادية الشاذة. وبالمتعبد بتلاوته: الحديث القدسى إذا تواتر سنده، فالخارج عن التعريف لا يسمى قرآناً.

■ **عقيدة أهل السنة فى القرآن الكريم:**

عقيدة أهل السنة بأجمعهم أن القرآن كلام الله تعالى، تكلم الله به بلفظه ومعناه حقيقة ـ بلا كيف ـ وأنزله على محمد ﷺ بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ سمعه جبريل من الله عزّ وجلّ، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، هو المكتوب فى المصاحف، المحفوظ فى الصدور، المتلو بالألسنة، قرآن واحد، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن آخر، غير مخلوق

بل هو صفة من صفات الله تعالى.

ومن اعتقد غير هذا فهو عندهم ضال مبتدع مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة.

وعقيدتهم فى اللفظ بالقرآن والكتابة والصوت والحروف: أن هناك فرقاً بين المقروء، والمتلو، والمكتوب، وبين القراءة والتلاوة والكتابة. فالمقروء والمتلو والمكتوب غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى هو القرآن الكريم، وأما القراءة والتلاوة والكتابة فهى من أفعال المخلوقين، وهى مخلوقة لله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦: سورة الصافات].

قال ابن القيم:

وتلاوة القرآن أفعال لنا ... وكذا الكتابة فهى خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب وال ... محفوظ قول الواحد المنان أهـ

قال الشيخ تقى الدين: سبب نزاع المتأخرين فى الحروف الموجودة فى كلام الآدميين، أنهم لم يفرقوا بين الكلام الذى يتكلم الله به فيسمع منه، وبين ما إذا بلغه عنه مبلغ فسمع من ذلك المبلغ.

فإن القرآن كلام الله تكلم به بلفظه ومعناه بصوت نفسه، فإذا قرأه القُرّاء قرأوه بأصوات أنفسهم فإذا قال القارىء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. [٢ـ٣: سورة الفاتحة] كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله تعالى، فالكلام كلام البارىء، والصوت صوت القارىء. كما قال ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[1]

---

(١) سنن أبى داود رقم (١٤٦٨) كتاب الصلاة. سنن النسائى رقم (١٠١٥) كتاب الافتتاح. سنن ابن ماجه رقم (١٣٣٦) أبواب إقامة الصلاة. كلهم عن البراء بن عازب رضى الله عنهما.

وقال ﷺ: «لَيسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»[1] قال أحمد والشافعى وغيرهما: معناه يحسنه بالصوت أهـ.

قلت: وإيضاح ذلك أن كلام المبلغ عن غيره هو كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من بلغه عنه مؤدياً، فإذا قال أحدنا: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى. . .»[2] كان معلوماً أن هذا كلام رسول الله ﷺ تكلم به بلفظه ومعناه، وإنما تكلم به أحدنا، فالصوت صوت المتكلم الذى تحدث به والكلام كلام رسول الله ﷺ لا كلام المبلغ عنه.

فمن قال إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ كان كاذباً، ومن قال إن الصوت المسموع صوت النبى كان كاذباً، وكذلك من قال إن الرسول لم يتكلم به وإنما أحدثه فى غيره أو أن الرسول لم يتكلم وإنما عَلِمَ غيرُه ما فى نفسه فنظم هذه الألفاظ ليعبر عما فى نفس النبى، كان مفترياً.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٠٨٩) كتاب التوحيد من حديث أبى هريرة.

(٢) صحيح البخارى رقم (١) كتاب بدء الوحي. صحيح مسلم رقم (١٩٠٧) كتاب الامارة، من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

مبحث: الإيمان برسل الله عليهم السلام

من أركان الإيمان وأسس التوحيد، الإيمان برسل الله تعالى الذين أرسلهم إلى خلقه يبلغونهم وحيه ويدعونهم إلى توحيده وعبادته وحده.

والرسل زمرة من عباد الله اصطفاهم الله بوحيه، واختارهم من بين خلقه، وخصهم بفضائل لم يلحقهم فيها أحد، فهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وهم أعلم الخلق بالله، وأشد الخلق خشية لله، ولا سبيل إلى نيل مناصبهم إلا باختيار الله تعالى، فلا تنال درجة النبوة بعلم ولا عمل، ولا برياضة نفس ولا غير ذلك.

قال تعالى: ﴿... ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ...﴾ [١٢٤: سورة الأنعام]. ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ...﴾ [٧٥: سورة الحج]. فيجب الإيمان بأنهم رسل الله وأنهم بلغوا رسالاته لأممهم كما أمرهم، وبأنهم صادقون فى كلما يبلغونه عن الله تعالى، وبأنهم معصومون من التحريف والتبديل فى أقوالهم وأفعالهم، ومن كبائر الذنوب، وصغائر الخسة، معصومون من ذلك من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم، ولا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا تصرف لهم فى الكون، ولا يملكون النفع ولا الضر لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا تأثير لهم فى إرادة الله تعالى، ولا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله.

قال تعالى - آمراً إمامهم محمداً ﷺ - ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٨٨: سورة الأعراف].

والرسل بشر ليسوا ملائكة، ورجال ليسوا إناثاً، بعثهم الله من أهل الأمصار لا من أهل البوادى، مهمتهم البشارة بالفوز لمن أطاع الله، والنذارة بالخزى لمن كفر بالله، حجة الله على خلقه. لئلا يبقى لمعتذر عذر.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ . . .﴾ [١٠٩: سورة يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .﴾ [٤٨: سورة الأنعام].

وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . .﴾ [١٦٥: سورة النساء].

وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . **وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**» رواه مسلم(١).

ويجب الإيمان على التفصيل بمن عين الله منهم بعينه، ويجب على الإجمال فيمن لم يعينه.

والمذكورون بأسمائهم على التعيين فى القرآن خمسة وعشرون.

هم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وهود، وإبراهيم، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإلياس،

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٧٦٠) كتاب التوبة، قال القاضى عياض: يحتمل أن المراد بالعذر الاعتذار، أى اعتذار العباد إليه من تقصيرهم، وتوبتهم من معاصيهم، فيغفر لهم.

وزكريا، ويحيى، وعيسى، وخاتمهم إمامهم محمد ﷺ وعليهم جميعاً.

وذكر الله تعالى ثمانية عشر منهم فى سورة الأنعام من آية (٨٣ - ٨٦) وباقيهم ذكر فى آيات متفرقة، ونظمه بعضهم فقال:

حتم على كل ذى التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا

فى (تلك حجتنا) منهم ثمانية ... من بعد عشر، ويبقى سبعة وهُمُ

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا أهـ

■ **الرسول والنبى والفرق بينهما:**

عرف بعض العلماء الرسول والنبى بأن الأول: هو الذى أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته إياه شفاهاً، والثانى: هو الذى تكون نبوته إلهاماً أو مناماً أهـ.

قال مجاهد: النبى هو الذى يكلم وينزل عليه ولا يرسل، والرسول هو الذى يرسل أهـ. وقال بعضهم: النبى فى العرف هو المنبأ من جهة الله بأمر يقتضى تكليفاً، وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول، والفرق بينهما: أن الرسول هو المأمور بتبليغ ما أنبىء وأخبر به، والنبى هو المخبر ولم يؤمر بالتبليغ، ويشترك الرسول والنبى فى أمر عام: هو النبوة، ويفترقان فى أمر خاص: هو الرسالة، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً، مع أنه قد يوصف النبى بالإرسال المقيد كما فى مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ...﴾ [٥٢ : سورة الحج].

وكان أول ما نزل على النبى ﷺ سورة اقرأ، فأمر بأن يقرأ، ثم أنزل عليه بعدها سورة المدثر لأجل التبليغ، فقيل له (قم فأنذر) فبالأولى صار نبياً، وبالثانية صار رسولاً قاله غير واحد من العلماء.

وأجمع أهل السنة سلفاً وخلفاً على الفرق المذكور بين الرسول

والنبى، وخالف المعتزلة، وقالوا: لا فرق بين الرسول والنبى فكل نبى رسول، وبطلان مذهبهم معروف كتاباً وسنة، أما القرآن فمن أوضحه فى ذلك آية الحج الآنفة الذكر، فقد فرقت بين الرسول والنبى بالعطف المقتضى للمغايرة بينهما. وأما السنة:

فعن البراء بن عازب، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا أَتَيتَ مَضجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ. . . وَقُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِى إِلَيْكَ إِلى** قوله: **آمَنتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ»** قال البراء فقلت أَستَذْكِرُهُنَّ: وبرسولك الذى أرسلتَ، قال: **«لا، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ»** متفق عليه[١].

وعن أبى ذر، رضى الله عنه، قال: **قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَم الأَنْبِيَاءُ؟ قال: «مَائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلفاً» قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثَلاثَمَائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمّاً غَفِيراً. . .»** رواه ابن حبان فى صحيحه، والإمام أحمد، وله شواهد قوية منها ما رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ورواه الحاكم والطبرانى فى الأوسط، والبزار مختصراً.

هذا ولا بد من الإيمان بجميع الرسل، عليهم الصلاة والسلام، فقد صرح القرآن بأن من كذب برسالة واحد منهم كان ذلك كفراً بالجميع، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ـ ١٠٥ ـ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ـ ١٢٣ ـ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ـ ١٤١ ـ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [١٦٠: سورة الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ . . .﴾ [٣٧:

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٩٥٢) كتاب الدعوات. صحيح مسلم رقم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء. وقوله: «فقلت: استذكرهن» وعند مسلم «فرددتهن لأستذكرهن» أى أتحفظهن معناه: أنه ردد تلك الكلمات ليحفظ الحديث فغير فى لفظ منها فنهاه النبى ﷺ عن ذلك.

سورة الفرقان]. وكل من هذه الأمم كذبت رسولها الذى أرسل إليها، لكن بتكذيبها لرسولها كذبت غيره من الرسل، لأن دعوتهم واحدة، لتوحيد الله وعبادته وحده بل يؤكد القرآن بأن الكفر ببعض الرسل هو الكفر الحق، وتوعد الله أهله بالعذاب المهين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [١٥٠ ـ ١٥١ : سورة النساء].

ثم قال عن المؤمنين بجميع رسله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [١٥٢ : سورة النساء].

ويجب الإيمان بعيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ إيماناً أخص، فيجب الإيمان: بأنه عبد الله ورسوله، وابن أمته مريم، وكلمة الله ألقاها إليها، وروح من الله خلقها فى مريم من غير أب، بل بقوله سبحانه «كن» فكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٥٩ : سورة آل عمران].

وقال عنه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [٥٩ : سورة الزخرف].

وعن عبادة بن الصامت. رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ شَهِدَ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ،**

وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» متفق عليه(١). وعند مسلم «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ. . . أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»(١).

قال النووى: هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد.

وكذلك يجب الإيمان بأنه ينزل فى آخر الزمان ويقتل الدَّجّال ويحكم بشريعة محمد ﷺ دل على ذلك ما تواتر من السنة.

والرسل عليهم السلام دعوتهم واحدة، هى توحيد الله تعالى، وشرائعهم مختلفة فى الفروع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .﴾ [٣٦: سورة النحل].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿. . . لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . . .﴾ [٤٨: سورة المائدة].

وقد مثل النبى ﷺ ذلك بأبلغ مثال، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(٢).

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٢٥٢) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (٢٨) كتاب الإيمان. وقوله «على ما كان من العمل» معناه: أن دخوله الجنة على حسب أعماله، إن لم تكن له ذنوب تدخله النار كان من السابقين، وإلا كان أمره إلى الله يعفو عنه أو يعذبه، ثم عاقبته الخلود فى الجنة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٢٥٩) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (٢٣٦٥) كتاب الفضائل. قوله: «الأنبياء إخوة لعلات» إخوة العلات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى، والعلات بفتح العين الضرائر.

وأفضل الرسل خمسة هم: أولو العزم[1] على القول الصحيح، نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى وإمامهم محمد ﷺ وهو أفضل الخلق على الإطلاق، ويليه فى الفضل إبراهيم الخليل، دل على ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»[2] أى خير الناس بعد محمد ﷺ، إبراهيم، كما قال الربيع بن خيثم: لا أفضل على نبينا أحداً، ولا أفضل على إبراهيم بعد نبينا أحداً.

■ **الإيمان بمحمد ﷺ:**

إذا كان الإيمان بالرسل عليهم السلام ركناً من أركان الإيمان، فالإيمان بإمامهم وخاتمهم محمد ﷺ هو أساس ذلك الركن، فالإيمان به يجب أن يكون أكمل وأشمل لأن الإيمان بمحمد بن عبد الله ﷺ هو مضمون عقيدة «محمد رسول الله» التى هى عديلة «لا إله إلا الله» وجزؤها الذى لا ينفك عنها، ولا شك أن «لا إله إلا الله» لا تنفع أحداً إلا إذا ضُمَّ إليها «محمد رسول الله» قولاً واعتقاداً وعملاً، هما قرينتان فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والعقيدة الواحدة التى لا تتجزأ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ . . .﴾ [١٥: سورة الحجرات].

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ [١٣٦: سورة النساء].

---

(١) خص الله هؤلاء الخمسة بالذكر فى الميثاق الذى أخذه على الرسل، وفى تقرير الشرع وإقامة الدين فى آية (٧) من سورة الأحزاب وفى آية (١٣) من سورة الشورى.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.

وقال جل وعلا: ﴿... فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ...﴾ [١٥٨: سورة الأعراف].

ومحمد ﷺ: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، المكى القُرشى، يرجع نسبه الشريف: إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهمُ الصلاة والسلام.

وأسماؤه ﷺ كثيرة من أشهرها وأخصها به خمسة: محمد، أحمد، الماحى، الحاشر، العاقب.

عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِى خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِى الَّذِى يَمْحُو اللَّه بِىَ الكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِى، وَأَنَا الْعَاقِبُ**» متفق عليه[١].

فيجب الإيمان بأنه الرسول الذى بعثه الله تعالى إلى كافة الخلق بشرع نسخ جميع الشرائع السابقة فلا دين منذ أن بعثه الله إلا ما جاء به، ولا شرع إلا ما شرعه الله على لسانه، ولا متبع على هدى من الله إلا هداه وسنته. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...﴾ [٢٨: سورة سبأ].

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٣٣٩) كتاب المناقب. صحيح مسلم رقم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل. «محمد» من باب التفعيل للمبالغة، أى الذى حُمد مرة بعد مرة، أو الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة و«أحمد» منقول من باب التفضيل، معناه: أحمد الحامدين، أو هو أحمد الأنبياء. قاله فى فتح الباري.

قال القاضى عياض: كان اسمه «أحمد» قبل أن يكون «محمداً» لأن تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة، وتسميته «محمداً» وقعت فى القرآن، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك فى الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناسُ، وقد خص بسورة الحمد ولواء الحمد، وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب، فجمعت له معانى الحمد وأنواعه ﷺ أهـ. وقوله: «وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى» أى على أثرى أى أنه يحشر قبل الناس، وهو موافق للرواية الأخرى «... الذى يحشر الناس على عَقِبى».

وقـــال: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . .﴾ [١٥٨: سورة الأعراف].

وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رواه مسلم[١].

وروى الإمام أحمد، وابن أبى شيبة والبزار بسند حسن من حديث جابر: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فغضب وقال: «**لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَىْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَياً مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَن يَتَّبِعَنِى**».

وروى الطبرى بسنده عن على وابن عباس رضى الله عنهما قالا: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليُؤمننَّ به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه أهـ. وبذلك فسر الصحابة والتابعون قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ . . .﴾ [٨١: سورة آل عمران].

ويجب الإيمان بأن كُلَّ ما يصدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، كله صدق وشرع، يجب اتباع واجبه ويسن اتباع مسنونه، وأن كل ما نهى عنه ممنوع منه شرعاً، فهو إما حرام أو مكروه، حسب صوارف الأمر والنهى فى ذلك المقررة فى الشريعة.

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٥٣) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [٣ ـ ٤ : سورة النجم]. أى لا يقول قولاً عن هوى وغرض، وإنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُهُ وَحياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه(١).

عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنتُ أكتُبُ كلَّ شىء أَسْمَعُه من رسول الله ﷺ، أُرِيدُ حفظه، فنهتنى قريش وقالوا: أتكتب كل شىء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم فى الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فَأَوْمَأَ بِأَصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فقال: «**اكْتُبْ، فَوَالَّذِى نَفسِى بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنه إِلاَّ حَقٌّ**» رواه أبو داود(٢) والإمام أحمد بسند صحيح، وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقاً» قال بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**إِنِّى لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقّاً**».

ويجب الإيمان بأنه خاتم الأنبياء، فلا نبى بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا كان الله ختم به الأنبياء فمن باب أولى أن يكون خاتم المرسلين، لأن مقام النبوة دون مقام الرسالة، ولعل ذلك هو السر فى تعبير القرآن والأحاديث بختمه ﷺ النبوة دون الرسالة. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ

(١) صحيح البخارى رقم (٤٦٩٦) كتاب فضائل القرآن. صحيح مسلم رقم (١٥٢) كتاب الإيمان.

(٢) سنن أبى داود رقم (٣٦٤٦) كتاب العلم.

ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ [٤٠: سورة الأحزاب].

وقرأ عاصم ـ الكوفى ـ بفتح التاء من (خاتم النبيين) بمعنى أنه آخر النبيين، أى أنهم ختموا به ﷺ، فهو لهم كالخاتم والطابع الذى يتختمون به ويتزينون، ومنه قراءة الكسائى: قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ...﴾ (خاتمه مسك...) [٢٦: سورة المطففين] بفتح الخاء وألف بعدها وبدون ألف بعد التاء. ومعناه: آخره مسك. وقرأ باقى القراء العشرة (خاتم النبيين) بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم، فختم النبوة وطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده. وقد مثل ﷺ ذلك بمثال فى غاية البلاغة.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مَثَلى ومَثَلَ الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتاً فأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» متفق عليه(١).

«تنبيه» قال ابن عطية: ـ عند تفسير الآية السابقة ـ علماء الأمة سلفاً وخلفاً على مقتضى نص هذه الآية أنه لا نبى بعد محمد ﷺ. وما ذكره القاضى ابن الطيب فى كتابه «الهداية» من تجويز الاحتمال فى ألفاظ هذه

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٣٤٢) كتاب المناقب. صحيح مسلم رقم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل. قوله: «مثلى ومثل الأنبياء» أى صفة ختمه الأنبياء من قبله، والمثل مشتق من المثول الذى هو الانتصاب وهو تصوير المعنى المعقول بالأمر المحسوس حتى كأنه ماثلٌ قائمٌ. قال: ابن الأثير: ـ فى النهاية ـ «فأنا اللبنة» اللبنة هى بفتح اللام وكسر الباء: واحدة اللَّبن، وهى التى يبنى بها الجدار. ويقال بكسر اللام وسكون الباء. وفى رواية لمسلم «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء».

الآية ضعيف، وما ذكره الغزالى فى هذه الآية وهذا المعنى فى كتابه «الاقتصاد» إلحاد عندى، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين فى ختم محمد ﷺ النبوة. فالحذر الحذر منه[١].

قلت: كلاهما وقع فى زلة العالِم، وورد التحذير منها فى حديث مشهور. رواه ابن عبد البر وغيره.

(١) المحرر الوجيز ـ تفسير سورة الأحزاب ـ ١٢/٧٦ ـ ٧٧. ط: قطر.

مبحث: توحيد الاتباع (أو تجريد اتباع محمد ﷺ)

توحيد الاتباع قسم من أقسام التوحيد لا بد منه للمؤمن الموحد، وقد غفل عنه كثير ممن ألف فى العقائد ونبه عليه البعض منهم، وهو تجريد الاتباع لمحمد ﷺ ظاهراً وباطناً، والمقصود أنه قل من أبرز عقيدة «محمد رسول الله» فى مثل هذا العنوان، وإنما يذكرونها ضمن الإيمان بالرسالة ويجب أن يُعلم أن دين الإسلام قائم على أصلين اثنين:

الأصل الأول: أن يُعبد الله وحده لا يُشرك به شىءٌ، الأصل الثانى: أن يعبد الله بما شرعه على لسان نبيه ﷺ، وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله» ومن وحد فى هذين الأصلين فقد أخلص الدين لله، ومن أشرك فى الأول كان مشركاً فى توحيد الإلهية، ومن أشرك فى الثانى كان مشركاً فى توحيد الاتباع، متقدماً بين يدى الله ورسوله، منازعاً الرسول فى رسالته، مسجلاً فى ديوان أهل الضلال.

وتوحيد الاتباع هو ثمرة عقيدة «محمد رسول الله» وأساسها، وهو طاعة محمد ﷺ، والاتباع المطلق والانقياد التام له، وتجريد اتباعه بتقديم قوله على قول كل قائل كائناً من كان.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ [١: سورة الحجرات].

قال البخارى: قال مجاهد: (لا تقدموا) لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضى الله على لسانه.أهـ. ومعناه: لا تقطعوا فى أمر، ولا

تتقدموا بحكم أو اقتراح بغير إذن من الله ورسوله، وسبب نزول هذه الآيات يرهب المؤمن المتأمل.

عن ابن أبى مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى ﷺ، فقال: أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال: أبو بكر ما أردتَ إلا خلافى، فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل فى ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ حتى انقضت الآية...» رواه البخارى(١).

وفى رواية له بسنده، قال ابن أبى مليكة: كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ، حين قدم عليه ركب بنى تميم الحديث(١). ولا ريب أن الله فرض اتباع محمد ﷺ وأمر بذلك أمراً مطلقاً، وذكر طاعته واتباعه فى نحو من أربعين موضعاً من القرآن مثل: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ ...﴾ [٩٢: سورة المائدة] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ...﴾ [٨٠: سورة النساء] بل إنه تعالى أقسم بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم نبيه ﷺ فى جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطناً وظاهراً والتسليم التام له من غير منازعة ولا ممانعة.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [٦٥: سورة النساء].

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٥٦٦) ورقم (٤٥٦٤) كتاب التفسير. وابن أبى مليكة بالتصغير اسمه: عبد الله بن عبيد الله التيمى المدنى، ثقة فقيه، أدرك ثلاثين من الصحابة مات سنة مائة وسبع عشرة «تقريب التهذيب».

وعن عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير، عند رسول الله ﷺ، فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال رسول الله ﷺ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**» فغضب الأنصارى فقال: يا رسول الله آن كان ابن عمتك؟

فَتَلَوَّنَ وجْهُ نبى الله، ثم قال: «**يَا زُبَيْرُ اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**» فقال الزبير: والله إنى لا أحسب هذه الآية نزلت فى ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . . .﴾ متفق عليه[1].

وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَىٰ**» **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قال**: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَىٰ**» رواه البخارى[2].

ومن الآيات التى جاءت بالأمر بطاعة النبى ﷺ، وزادت الأمر بطاعة أولى الأمر: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ . . .﴾ [٥٩: سورة النساء]. وأولوا الأمر على الصحيح صنفان: العلماء والأمراء.

أما طاعة الرسول ﷺ فقد أُطلقت ولم تقيد لأنه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه،

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٣٥٧) كتاب الفضائل. صحيح البخارى رقم (٤٣٠٩) كتاب التفسير. وقوله: «شراج الحرة» جمع شرج وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل، و«الحرة» الأرض الملسة ذات الحجارة السود، والمدينة النبوية بين حرتين، و«الجدر» بفتح الجيم وكسرها هو الجدار والمراد به: أصل الحائط. قال ابن شهاب قدر الأنصار والناس ذلك بأن يصل الماء إلى الكعبين.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٨٥١) كتاب الاعتصام.

وكل من سوى الرسول من العلماء والأمراء وغيرهم ممن أوجب الله ورسوله طاعته إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعة لله، إذ قد يأمرون بخلاف ذلك، والأمر بطاعتهم داخل فى طاعة رسول الله ﷺ. ولذلك فإن الله أعاد الفعل (أطيعوا) **فى طاعة الرسول دون طاعة أولى الأمر، ولم يقل وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر منكم، فتلازمت الطاعة واتحدت لله وحده.**

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ يَعْصِنِى فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَن يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِى وَمَن يَعْصِى الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِى**» متفق عليه[1].

قال الشيخ تقى الدين: ليس لأحد إذا أمره الرسول بأمر أن ينظر هل أمر الله به أم لا، بخلاف أولى الأمر فإنهم قد يأمرون بمعصية الله فليس كل من أطاعهم مطيعاً لله، بل لا بد فيما يأمرون به أن يعلم أنه ليس معصية لله، وينظر هل أمر الله به أم لا، سواء كان أولوا الأمر من العلماء أو الأمراء، ويدخل فى هذا تقليد العلماء، وطاعة أمراء السرايا وغير ذلك، وبهذا يكون الدين كله لله.

ثم إن كثيراً من الناس يحب خليفة أو عالماً أو شيخاً أو أميراً فيجعله نداً لله، فمن جعل غير الرسول تجب طاعته فى كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه، ويقيمه مقام الله ورسوله، فهذا من الشرك الذى يدخل أصحابه فى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ . . .﴾ [١٦٥: سورة البقرة]. فالتوحيد والإشراك يكون فى أقوال القلب ويكون فى أعمال القلب أهـ. مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٦٦.

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٨٣٥) كتاب الإمارة. صحيح البخارى رقم (٢٧٩٧) كتاب الجهاد والسير.

فكل من اتبع أحداً فى غير هديه ﷺ فقد أشركه معه فى الرسالة والتشريع، وبذلك فسر عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس قوله تعالى: ﴿. . . فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . . .﴾ [٢٢: سورة البقرة] قالا: أكفاء من الرجال تطيعونهم فى معصية الله. رواه ابن جرير الطبرى بسنده من طريق السُّدى عنهما وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ.

قال شيخ الإسلام: فبمحمد ﷺ تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، إلى أن قال: فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت فى الدنيا، وذاك إذا فات حصل العذاب فى الدنيا والآخرة.

وقال ابن القيم: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا . . .﴾ [١٦٦: سورة البقرة]. ولا بد من تجريد متابعة النبى ﷺ تجريداً محضاً، بريئاً من شوائب الالتفات إلى غيره، فضلاً عن الشرك بينه وبين غيره، فضلاً عن تقديم قول غيره عليه. فهذا هو السبب الذى لا ينقطع بصاحبه، وهذه هى النسبة التى بين العبد وربه، ولا تتحقق إلا بتجريد متابعة الرسل، إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم أهـ.

ومن أجمع آيات القرآن فى توحيد الاتباع قوله تعالى: ﴿. . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . . .﴾ [٧: سورة الحشر].

وكان عبد الله بن مسعود يحدث بقول النبى ﷺ: **«لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ. الحديث. . .» فقالت له امرأة من بنى أسد: بلغنى أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لى لا ألعَنُ من لَعَنَ رسولُ الله ﷺ، ومن هو فى كتاب الله، فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كُنتِ قرأْتِيهِ لقد وجَدتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ:** ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه الحديث. . . متفق عليه[1].

قلت: وما أكثر المشركين فى تطبيق توحيد الاتباع، المتخبطين فى ظلمات الابتداع، فكثير من الناس ممن لهم عبادة وتنسك وتقوى، ولهم تعلم فى بعض فروع فقه أحد المذاهب المدونة، يقدمون قول الفقهاء المتأخرين من غير دليل معهم، وما ينسب من الأقوال لإمام من الأئمة ولو لم يثبت عن ذلك الإمام، أو كان الإمام قال به ولم تبلغه السنة التى تنافى ذلك القول، وتراهم يقدمون كل ذلك على قول الرسول الثابت عنه، مطمئنة بذلك نفوسهم، بل يرون أنهم على جادة الحق، وأن المتمسك بما ثبت عن المعصوم مخطىء، بل يَسِمُونه بالبدعة والضلال، والمتحذلق منهم[2] يُؤول ما ثبت عن الرسول تأويلاً فاسداً، قائلاً: لو كان هذا حديثاً ثابتاً لقال به إمامى، إذ لا يمكن أن يفوته ما صح عن النبى ﷺ، وكفى بسقوط هذه الحجة عقلاً ونقلاً عن ردها. أما عَلِمَ هؤلاء أن أفضل الصحابة وأعلمهم وأكثرهم ملازمة للنبى ﷺ وأقدمهم إسلاماً أبو بكر رضى الله عنه، ولم يسمع فرض الجدة، وأن ميراثها السدس حتى أخبره المغيرة بن شعبة بأن النبى ﷺ فرض لها السدس فأعطاها إياه، وكذلك الخليفة الثانى أعلم الصحابة بعد الصديق: المحدَّثُ عمر الفاروق لم يكن يعرف أن سنة الاستئذان ثلاث مرات حتى أخبره بها أبو موسى الأشعرى، وغير هذا كثير، فما بالك بمن هو دون الصحابة، بل ربما كان لم يبلغ درجة الفقهاء.

ثم إن هؤلاء ربما تمسكوا بخلاف السنة الثابتة عن النبى ﷺ حتى

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٦٠٤) كتاب التفسير، صحيح مسلم رقم (٢١٢٥) كتاب اللباس. قوله: «قرأتيه، وجدتيه» اتفق الشيخان على إثبات الياء فى الكلمتين، وهى لغة، والأفصح حذفها فى خطاب المؤنث فى الماضى، فى فتح البارى.

(٢) المتحذلق: هو الذى يظهر الحذق ويدعى أكثر مما عنده. قاله فى القاموس.

ولو رواها إمام المذهب وتمسك بها إلى أن مات واتفق على العمل بها الصحابة رضى الله عنهم، متمسكين برأى فقيه أو رواية شاذة عن ذلك الإمام وينسبونه لرد تلك السنة وتعطيل العمل بها.

ونذكر على فرض المثال لا الحصر: سنة وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة. والمالكيون المقلدون لمدونة سحنون عن ابن القاسم يرفضونها، بل يسمونها بالكراهة، ومالك ـ رحمه الله ـ رواها بالسند الثابت عن النبى ﷺ، وبأكثر من وجه فى كتابه «الموطأ» ولا معارض لها البتة، وكتاب مالك هذا من أقدم كتب الحديث وفقهه وأصحها، حتى قال عنه الشافعى ـ رحمه الله ـ ما على ظهر الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك أهـ.

وهو أصل لكتب السنة: الصحيحين فما دونهما، ومن المعلوم أن الإمام مالكاً عكف على تدريسه طيلة ثلاثين سنة، وتلقاه الناس عنه فى جميع أقطار الإسلام رواية ودراية، وينفرد ـ باتفاق العلماء ـ عبد الرحمن ابن القاسم من بين أهل الأمصار والأقطار، الذين وفدوا على مالك، من مشارق الأرض ومغاربها: ينفرد وحده برواية عن مالك أن وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة لا يعرفه وأنه إنما يفعل فى النفل من طول القيام. فهل يسوغ عقلاً أو شرعاً لمن يقلد الإمام مالكاً أن يرفض هذه السنة؟ وهل رواية عبد الرحمن بن القاسم هذه إلا رواية عدل خالفت العدول ومن هو أعدل؟ قال الإمام ابن المنذر وغيره: لم يرو أحد عن مالك الإرسال فى الصلاة إلا ابن القاسم أهـ.

وقال إمام المغرب الحافظ ابن عبد البر ـ فى التمهيد: ـ بعد أن ساق جملة من الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ فى سنة وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة ـ لم تختلف الآثار عن النبى ﷺ فى هذا الباب، ولا أعلم عن أحد من الصحابة فى ذلك خلافاً إلا شىء روى عن ابن الزبير أنه كان يرسل يديه إذا صلى، وقد روى عنه خلافه مما قدمنا ذكره عنه، وذلك

قوله ﷺ: وضع اليمين على الشمال من السنة[1]، وعلى هذا جمهور التابعين وأكثر فقهاء المسلمين من أهل الرأى والأثر. ورواية ابن القاسم عن مالك أن وضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة إنما يفعل فى النوافل من طول القيام، قال: وتركه أحب إلىَّ أهـ. قال أبو عمر: وروى عن الحسن وإبراهيم أنهما كانا يرسلان أيديهما فى الصلاة، وليس هذا بخلاف، وقد يُرسل العالم يديه ليرى الناس أن ذلك ليس بحتم واجب. ولا يثبت عن واحد منهم كراهية وضع اليد اليمنى على اليسرى، ولو ثبت ذلك ما كانت فيه حجة لأن الحجة **فى السنة لمن اتبعها**، ومن خالفها **فهو محجوج بها، ولا سيما** سنة لم يثبت عن واحد من الصحابة خلافها، ثم قال: ولا وجه لتفرقة من فرق بين النافلة والفريضة، ولو قال قائل: إن الذى ثبت عن النبى ﷺ كان فى الفريضة دون النافلة، لأن أكثر ما كان يتنفل رسول الله ﷺ فى بيته ليلاً ولو فعل ذلك فى بيته لنقله عنه أزواجه ولم يأت عنهن فى ذلك شىء، ومعلوم أن الذين رووا عنه أنه كان يضع يمينه على يساره فى صلاته لم يكونوا ممن يبيت عنده ولا يلج بيته، وإنما حكوا عنه ما رأوا منه فى صلاتهم خلفه فى الفرائض والله أعلم أهـ. ملخصاً. التمهيد ٢٠/ ٧٤ ـ ٧٩.

وليس قصدنا إلا التنبيه على تساهل كثير من الناس فى تطبيق السنن الثابتة وفى تجريد اتباع النبى ﷺ وكونهم ينصبون الخلاف بين قوله وأقوال الرجال.

قلت: وفى قصة عدى بن حاتم ترهيب رهيب لمن أطاع أحداً فيما يخالف ما شرعه الله على ألسنة رسُلِه.

روى الترمذى فى جامعه، والإمام أحمد فى مسنده، وابن جرير فى

---

(١) هذا لفظ أبى عمر، ولكن الذى قدمه عن ابن الزبير من طريق أبى داود عن زرعة بن عبد الرحمن سمعت ابن الزبير يقول: صف القدمين ووضع اليد على اليد من السنة. وهو فى سنن أبى داود بهذا اللفظ رقم (٧٥٤) كتاب الصلاة.

تفسيره، وغيرهم من طرق متعددة عن عدى بن حاتم رضى الله عنه - وكان قد تنصر - أنه دخل على النبى ﷺ، وهو يقرأ قول الله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾ [٣١: سورة التوبة] قال عدى: قلت: يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم، فقال النبى ﷺ «**بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»[١].

وروى الطبرى بسنده عن الربيع بن أنس، قال: قلت لأبى العالية: كيف كانت تلك الربوبية فى بنى إسرائبل؟ قال: إنهم قالوا: لن نسبق أحبارنا بشىء مضى، ما أَمَرونا به ائتمرنا، وما نَهَوْنا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون فى كتاب الله ما أُمِرُوا به وما نُهُوا عنه، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهروهم أهـ.

ويقال لمن قال: هذا وعيد فى الكفار: قد ثبت أن النبى ﷺ تلا وعيداً من القرآن فى الكفار على من هم من خير المؤمنين:

عن عليّ، أن رسول الله ﷺ، طرقه وفاطمة بنت رسول الله ليلة، فقال لهم: «ألا تصلون؟» قال عليٌّ فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله حين قلت ذلك ولم يَرْجِعْ إِليَّ شيئاً، ثم سمعته وهو مُدْبِرٌ، يضرب فَخِذَهُ وهو يقول: ﴿. . . وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾» [٥٤: سورة الكهف] متفق عليه[٢].

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣٠٩٥) كتاب التفسير.

(٢) صحيح البخارى رقم (٧٠٢٧) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٧٧٥) كتاب صلاة المسافرين. «طرقه» الطروق الإتيان بالليل. قال العلماء: كره النبى ﷺ احتجاج على - وإن كان حقاً - لأنه لم ينسب التقصير إلى نفسه، وفى جوابه نوع من الاحتجاج بالقدر، لذلك سكت عنه وضرب فخذه تأسفاً وقرأ الآية.

والإخلال بتوحيد الاتباع عصم الله منه السلف الصالح، وإنما جاء بعدهم نتيجة للتعصب المذهبى الذى بدت نواته من القرن الرابع الهجرى، وما زال ينمو ويزداد كلما بعد عصر الوحى. وليس هذا التعصب للرأى خاصاً بمذهب دون مذهب، ألا ترى أن الأحناف ليس فى مذهبهم لزوم قراءة فاتحة الكتاب فى الصلاة مع ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما برواية غير واحد من الصحابة أن النبى ﷺ قال: «**لاَ صَلاَةَ لِمَن لَّمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»[1] وليس فى مذهبهم لزوم الطمأنينة فى الصلاة مع ثبوت حديث المسىء صلاته وشهرته فى جميع الصحاح والسنن والمسانيد.

قال الحافظ: ـ فى فتح البارى ـ لا ينقضى عجبى ممن يتعمد ترك قراءة الفاتحة منهم وترك الطمأنينة، فيصلى صلاة يريد أن يتقرب بها إلى الله تعالى، وهو يتعمد ارتكاب الإثم فيها مبالغة فى تحقيق مخالفته لمذهب غيره أهـ ٢/ ٢٨٣.

ويحدثنا إمام المغرب: ـ أبو عمر ابن عبد البر ـ عن الأندلس فى مستهل القرن الخامس الهجرى ويحكى لنا شكوى منذر بن ربيعة من هذه الظاهرة فيقول:

عذيرى من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلاً هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا: هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا: قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك[2]
فإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكاً فى ترك ذاك مسالك أهـ

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٢٣) كتاب صفة الصلاة. صحيح مسلم رقم (٣٩٤) كتاب الصلاة من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) مماحك: لجوج كثير الحجج. اهـ.

ونقول: أليس من طاعة الأئمة وتنفيذ وصيتهم مخالفة أقوالهم إذا وجدت سنة تخالفهما؟ بلى، إنه استفاض عن الأربعة أمرهم بذلك، بل تبرؤهم من أقوالهم والحالة هذه، ولا شك أنهم نجوا بأنفسهم وخرجوا من العهدة، وما قصدوا قط مخالفة السنة وكيف وهم الهداة المهتدون.

وإنما كانت تعرض لهم مسائل، وتنزل بهم نوازل، ولنستمع إلى ما اختصره ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» قال: وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة ـ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ـ يتعَمَّدُ مخالفة النبى ﷺ فى شىء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وُجِدَ لواحد منهم قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له من عذر فى تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف.

أحدها: اعتقاده أن النبى ﷺ ما قال ذلك. والثانى: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول. والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ قال: وهذه الأصناف تتفرع إلى أسباب متعددة الخ أهـ.

قلت: موقف السالك لمنهج الحق من جميع أئمة المسلمين ـ الأربعة ومن فوقهم ومن دونهم ـ موالاتهم والترحم عليهم واتباع ما نقلوه ويسروه وصححوه من هدى النبى ﷺ. يقول شيخ الإسلام فى مقدمة «رفع الملام»:

وبعد فيجب على المسلمين ـ بعد موالاة الله تعالى ورسوله ـ موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث نبينا

محمد ﷺ فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول فى أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا أهـ.

ونختم القول هنا بالتنبيه على أمر عظيم وهو أن محمداً ﷺ هو الإمام لرسل الله وأنبيائه، هو الإمام الأعظم الذى لو وُجِد فى أى عصر وُجِد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامَهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع فى المحشر صاحب المقام المحمود والشفاعة التى يتأخر عنها أولوا العزم من الأنبياء المرسلين، وهو الذى كمل الله شرعه، ونسخ به شرائع الرسل قبله، حتى لو وُجِدوا فى زمنه لما وسعهم إلا اتباعه فى كل شىء صلوات الله وسلامه عليه وعلى كافة الأنبياء. قاله الحافظ ابن كثير.

ثم وقفت على كلام لشيخ الإسلام جدير بأن يسطره كل محمدى على جبينه، قال: ومن علم أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بالحق، وأفصح الخلق فى البيان وأنصح الخلق للخلق، علم أنه قد اجتمع فى حقه كمال العلم بالحق، وكمال القدرة على بيانه، وكمال الإرادة له، ومع كمال العلم والقدرة والإرادة يجب وجود المطلوب على أكمل وجه، فيعلم أن كلامه أبلغ ما يكون، وأتم ما يكون، وأعظم ما يكون بياناً لما بَيَّنه فى الدين من أمور الإلهية وغير ذلك، فمن وقر هذا فى قلبه لم يقدر على تحريف النصوص بالتأويلات التى إذا تُدُبِّرَتْ وُجِدَ من أرادها بذلك القول من أبعد الناس عما يجب اتصاف الرسول ﷺ به أهـ. مجموع الفتاوى ١٧/١٢٩.

مبحث: معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء

من عقائد أهل السنة والجماعة الإيمان بمعجزات الأنبياء - عليهم السلام - وكرامات أولياء الله تعالى، وأنها كائنة بقدرة الله عزَّ وجلّ وإرادته. والمعجزة والكرامة يجمعهما لغة: أن كلتيهما أمر خارق للعادة، شأنه عجز البشر عنه عادة، ووردت تسميتهما بالآيات فى الكتاب والسنة، وأُثِرَ عن بعض السلف كذلك إطلاق الآيات على الخوارق.

واصطلح أكثر المتأخرين على التفرقة بين «المعجزة والكرامة» فجعلوا «المعجزة» للنبى و«الكرامة» للولى، وكلتاهما فى عرف الشرع حدث خارق يجريه الله على يد أحد أنبيائه، أو أوليائه، وبالنسبة للنبى فهى تصديق لما بعث به من الشرع. وليس من شرط المعجزة التحدى، بل تكون بدونه وتارة بعده.

ودل حديث أبى هريرة الآتى على أنه ما من نبى إلا وأُعطِى معجزة آمن عليها من آمن من أمته.

الفرق بين «المعجزة» و«الكرامة»:

تفترق المعجزة عن الكرامة فى أمور: أولها: المعجزة للرسول والنبى، ومن شأنه أن يظهرها لأنها آية على صدقه فهى من صلب دعوته فيؤمن عليها من آمن به، ويتحدى بها ويقطع عذر من كفر به، والولى الأمثل يخفى كرامته.

ثانيها: المعجزة أرفع بكثير من الكرامة، فبينهما فى الرتبة كما بين النبى والولى، فلا يحق للولى أن تكون كرامته مثل القرآن، ولا مثل ناقة صالح، ولا عصا موسى ونحو ذلك.

ثالثها: أن صاحب المعجزة معصوم من التبديل والكفر وكبائر الذنوب، وصاحب الكرامة بعكس ذلك دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [١٧٥: سورة الأعراف].

وصح عن جمع من المفسرين من السلف أنه بلعم بن باعوراء، أوتى من الآيات ما قص الله تعالى فبَدَّل وغيَّرَ فهلك.

قال شيخ الإسلام: قد تكون الكرامة كالمعجزة فيوقعها الله لحجة فى الدين يؤمن بسببها الكافر ويزداد بها المؤمن إيماناً، أو لجلب منفعة يحتاج إليها المسلمون، كتكثير الطعام والماء، وقد تنفرد الكرامة فتأتى لتقوية إيمان صاحبها، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج إليها أعطاه الله منها ما يقوى إيمانَه، ويسد حاجته، وربما لا ينالها من هو أكمل ولاية لله لعلو درجته وكمال إيمانه. أهـ.

ومراتب الخوارق ثلاث: آيات الأنبياء ـ المعجزات ـ ثم كرامات الأولياء، ثم خوارق يستدرج الله بها الكفار والفجار: كالسحرة والكهان وإخوان الشياطين، وتسمى الأخيرة: الأحوال الشيطانية.

وللناس فى الكرامة ثلاثة مذاهب أحدها ـ وهو الصحيح ـ جواز وقوعها على أيدى عباد الله الصالحين، وليس لهم من أمرها شيء، وإنما هى من أمر الله تعالى.

الثانى: جواز وقوعها بلا حد فما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى، الأول للجمهور، والثانى للأشعرية.

والثالث: أنه لا تخرق العادة إلا لنبى، وكذبوا بما يذكر من كرامات الأولياء وخوارق السحرة وغيرهم، وهو مذهب المعتزلة والحافظ ابن حزم الظاهرى، ويذكر عن أبى إسحاق الإسفرائينى.

من معجزات الرسل: سفينة نوح ـ عليه السلام ـ التى صنعها من

الخشب بأمر الله ونجا بسببها هو ومن آمن معه من موج الطوفان الذى استأصل أهل الأرض. ومنها عصا موسى ـ عليه السلام ـ التى تكون حية تسعى. ومنها النار التى كانت برداً وسلاماً على إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومنها معجزة صالح ـ عليه السلام ـ وهى الناقة العظيمة التى أخرجها الله له من صخرة فى الأرض حين تحداه قومه بذلك، إلى غير ذلك.

أما معجزات نبينا محمد ﷺ فهى أعظم وأكثر وأشهر، وقد قال بعض العلماء: إنها تجاوزت ألف معجزة، ولا شك أن الله تعالى جمع له أنواع المعجزات والخوارق الباهرة، وخصه بمعجزات عظيمة لم تكن لنبى قط، من ذلك القرآن الكريم، فهو أعظم المعجزات وأبهر الآيات، لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذى تحدى الله به الإنس والجن بأن يأتوا بمثله فعجزوا، مع أنه نزل بلسان عربى مبين، وكانت قريش أفصح أهل الأرض، وقد تنازل القرآن فى التحدى إلى أن يأتوا بأقصر سورة مثله فعجزوا واعترفوا بعجزهم، ثم جاءهم ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٨٨: سورة الإسراء].

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْآمَنَ، عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيامَة**» متفق عليه(١).

(١) صحيح البخارى رقم (٦٨٤٦) كتاب الاعتصام. صحيح مسلم رقم (١٥٢) كتاب الإيمان. وقوله: «أومن، أو آمن عليه البشر»: أو، شَكٌّ من الراوى، والكلمة الأولى بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الميم من الأمن، والثانية بالمد وفتح الميم من الإيمان. ومعنى الحصر فى قوله: «وإنما كان الذى أوتيته» أن القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به. فتح الباري.

ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما تواترت به الأخبار: مثل حنين الجذع، وانشقاق القمر، ونبع الماء الكثير من بين أصابعه، وتكثير الطعام، إلى غير ذلك، وأنا ذاكر - إن شاء الله - دليلاً واحداً من الأحاديث المتواترة لكل من هذه المعجزات.

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، قال: «**كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النبى ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. وفى رواية أخرى عنه قال: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمْعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِى صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِى كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ أَن تَنشَقَّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِى يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قال: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**» رواه البخارى[1].

وأما انشقاق القمر له فكان حين تحدته قريش بذلك وقال لهم «إن فعلت تؤمنوا»، قالوا نعم.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**» متفق عليه[2] وفى لفظ لمسلم «**بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى إِذَا انفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ...**»[2].

وعن أنس. رضى الله عنه «**أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَن يُرِيَهُمْ**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٨٧٦) كتاب الجمعة ورقم (١٩٨٩) كتاب البيوع. وقوله «بكت...» هو من قول النبى ﷺ نبه على ذلك الأئمة الحفاظ.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٥٨٣) كتاب التفسير، صحيح مسلم رقم (٢٨٠٠) كتاب صفات المنافقين.

آيةً، فَأَرَاهُمْ انشِقَاقَ الْقَمَرِ، مَرَّتَيْنِ» متفق عليه[1].

قال ابن كثير: ـ في تاريخه ـ كان انشقاق القمر حين أشار إليه النبي ﷺ، فانشق عن إشارته، فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء جبل حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك، وما يذكره بعض القصاص ـ من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل فى كُمّ النبى ﷺ وخرج من الكم الآخر ـ لا أصل له، بل هو كذب مفترى، والقمر حين انشق لم يزايل السماء أهـ ٣/ ١٢٢.

عن سالم عن جابر رضى الله عنه، قال: عَطِشَ الناس يوم الحُدَيْبِيَةِ، ورسولُ الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ منها، ثم أقبل الناس نَحْوَهُ، فقال: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فِى ركوتك، قال: فوضع النبى ﷺ يَدَهُ فِى الرَّكْوةِ، فَجَعَلَ الماءُ يَفُورُ من بين أصابعه كأمثال العُيُونِ، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لَوْ كُنّا مائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنّا خَمْسَ عَشْرَةَ مائَةً» رواه البخارى[2] هكذا. ومسلم مختصراً.

عن أنس بن مالك: أن أم سُلَيْم عمدت إلى مُدٍّ من شعير جشته، وجعلت منه خطيفة، وعصرت عُكَّةً عندها، ثم بعثتنى إلى النبى ﷺ فأتيته وهو فى أصحابه فدعوتُه قال: «وَمَنْ مَعِيَ». . فخرج إليه أبو طلحة، قال: يا رسول الله، إنما هو شىء صنعته أم سليم، فدخل فجيء به، وقال: «أَدْخِلْ

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨٠٢) كتاب صفات المنافقين. صحيح البخارى رقم (٤٥٨٦) كتاب التفسير.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٩٢١) كتاب المغازي. صحيح مسلم رقم (١٨٥٦) كتاب الإمارة «الركوة» إناء صغير من جلد يجعل فيه الماء. وسالم الراوى عن جابر هو ابن أبى الجعد الغطفاني.

عَلَيَّ عَشَرَةً» فدخلوا فأكلوا حتى شَبِعُوا، ثم قال: «أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشَرَةً» فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشَرَةً» حتى عد أربعين، ثم أكل النبى ﷺ، ثم قام، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ، هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ. متفق عليه[1]. ولهما: «وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً»[1].

أما الكرامات فقد كانت فى القرون الخَيّرة أكثر، وفيمن بعدهم أظهر، لأن الصحابة والتابعين لهم بإحسان كانوا يخفونها، ويخافون على أنفسهم من ظهورها للناس، وليست الكرامة إلا امتداداً للمعجزة، فما نالها الولى إلا بإيمانه واتباعه للرسول.

روى البخارى فى مواضع من الصحيح عن أنس بن مالك، قال: كان أُسَيْد بن حضير وعبَّاد بن بِشر ـ رضى الله عنهما ـ عند النبى ﷺ، فخرجا فى ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد، حتى أتى أهله[2].

والبراء بن مالك رضى الله عنه: كان إذا أقسم على الله أَبَرَّ قسَمَه، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين فى الجهاد قالوا: يا براء أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية أقسم على ربه وسأل الشهادة فانهزم العدو وقتل البراء شهيداً».

قصة مشهورة رواها اللالكائى، وصححها الحاكم، وأقره الذهبى. وروى الأولان أيضاً، والترمذى مرفوعاً: «كَمْ مِن ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذُو

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥١٣٥) كتاب الأطعمة. وصحيح البخارى رقم (٣٣٨٥) كتاب المناقب. صحيح مسلم رقم (٢٠٤٠) كتاب الأشربة. «جشته» أى جعلته جشيشاً وهو الدقيق غير الناعم، و«الخطيفة» لبن يُذَرُّ عليه الدقيق ثم يطبخ. ولهما: أى البخارى ومسلم.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٤٤٠) كتاب المناقب ورقم (٣٥٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بن مالك» كلهم عن أنس أخى البراء، وقال الترمذى حديث صحيح حسن[(١)].

والعلاء بن الحضرمى: كان أميراً على البحرين فسار بجيشه حتى وصل «دارين»[(٢)] فحال البحر بينه وبين العدو، فقال: يا عليّ يا حكيم.. اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، قال: الراوى: فدخلنا البحر ومشينا على متن الماء، ولم يبتل لنا شىء، ثم لقينا العدو، فقتلنا، وغنمنا، ثم دعا عند قفولهم بتلك الدعوات، فأجزنا البحر ما يبل الماء حوافر دوابنا، ثم توفى العلاء فدفنوه فى مكان لا يقبل الموتى، فأرادوا نقله فلم يجدوه فى القبر، ورأوا مكانه يتلألؤ نوراً، وكان دعا الله أن لا يروا جسده إذا مات. وهذه القصة مشهورة، قال ابن كثير: رواها البخارى فى التاريخ والبيهقى، وابن أبى الدنيا: عن أبى هريرة وأنس بن مالك، وابن منجاب[(٣)]، وكل منهم شاهدها وكان فى الجيش أهـ. البداية والنهاية ٦/٣٢٩ وانظر أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى ٩/١٥٩ ـ ١٦٢.

وسعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ عَبَرَ بجيش عظيم نهر دجلة، وفتح المدائن مستقر كسرى ملك الفرس سنة ١٦ هجرية، ولما عزم على خوض هذا البحر خطب الناس وأخبرهم بذلك، وأمرهم بالاستعانة بالله ـ

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣٨٥٤) كتاب المناقب. ولفظه «كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه لَهُ...» الحديث. و«ذو طمرين» أى صاحب ثوبين خلقين «لا يؤبه له» لا يبالى به ولا يلتفت إليه.

(٢) قال ابن الأثير: ـ فى النهاية ـ مادة «دور» دارين: موضع فى البحر يؤتى منه بالطيب. وإليها ينسب الدارى أى العطار فى حديث «مثل الجليس الصالح مثل الدارى» أهـ. بتصرف يسير.

(٣) اسمه سهم بن منجاب بن راشد الضبى، أو السعدى، تابعى ثقة، روى عن أبيه والعلاء بن الحضرمى «تهذيب التهذيب».

وكان مجاب الدعوة معروفاً بذلك ـ ثم تقدم رجل من المسلمين، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا . . .﴾ [١٤٥: سورة آل عمران].

ثم أقحم فرسه فى البحر وتبعه الناس، فلما رآهم الفرس يَطْفون بخيولهم على وجه الماء، قالوا: ديوانا ديوانا، أى مجانين مجانين، فاقتحم سعد بفرسه واقتحم الناس بعده لم يتخلف عنه أحد، فساروا فى البحر كأنما يسيرون على وجه الأرض، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، ولم يفقد المسلمون رجلاً واحداً ولم يفقدوا شيئاً من متاعهم غير قدح من خشب لرجل أخذه الموج فقال صاحبه: اللهم لا تجعلنى من بينهم يذهب متاعى، فرده الموج إلى وجهتهم فأخذه صاحبه. أهـ.

قال ابن كثير: وكان يوماً عظيماً، وخارقاً باهراً، لم يُر مثله إلا قضية العلاء الماضية، وهذه أعظم، لأن هذا الجيش أضعاف ذلك الجيش أهـ. انظر البداية والنهاية ٧/ ٦٤ ـ ٦٥.

وقد جرى للتابعين أمثال هذه الكرامات الخوارق: روى البهيقى بسند صحيح: أن أبا مسلم الخولانى: أتى على دجلة، وهى ترمى بالخشب من مدها، فوقف عليها وحمد الله ثم ذكر مسير بنى إسرائيل فى البحر، ثم قال: اعبروا باسم الله، فعبروا البحر، فما يبلغ الماء من الدواب إلا الركب أو قريباً من ذلك حتى قطعوا البحر، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فأدعو الله أن يرده إلى؟ فقال: رجل: مخلاتى وقعت فى النهر، فقال اتبعنى، فتبعه فإذا المخلاة تعلقت بشىء فأخذها. ورواه الحافظ ابن عساكر.

وكان من باهر كرامات أبى مسلم هذا: أنه ألقى فى نار عظيمة فلم تؤثر فيه، بل وجد فيها قائماً يصلى.

روى ابن عساكر وغيره، قال: بينما الأسود العنسى باليمن - وهو الذى ادعى النبوة - فأرسل إلى أبى مسلم الخولانى فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: ما أسمع، فأعاد إليه فقال: ما أسمع، فأمر بنار عظيمة فأججت، فطرح فيها أبو مسلم، فلم تضره، بل وجد قائماً يصلى فيها قد صارت عليه برداً وسلاماً، فقيل للأسود: لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك، فطرده فقدم أبو مسلم المدينة بعد وفاة النبى ﷺ بقليل، فعرفه عمر بن الخطاب، فقبل بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق، ثم قال: الحمد لله الذى لم يُمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام أهـ.

والحسن البصرى: أرسل له الحجاج بن يوسف رسُلَه ليأتوه به فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عزَّ وجلّ فلم يروه، وكان أحد الخوارج يؤذيه فدعا عليه فخر ميتاً لحينه.

وأويس القرنى: لما مات وجدوا فى ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد فى صخرة فدفنوه فيه وكفنوه فى تلك الأثواب.

ومن الكرامات التى تقع من باب «الكشف والعلم» ما حصل لعمر ابن الخطاب فى قصته مع سارية، فقد اشتهر عن عبد الله بن عمر، وغيره: أن عمر بن الخطاب وجه جيشاً غازياً، وأَمَّرَ عليه رجلاً يدعى سارية بن زنيم. قال: فبينما عمر ذات يوم يخطب على المنبر، فجعل ينادى: يا سارية الجبل ثلاثاً، ثم قدم الجيش، فقالوا: هزمنا العدو،

وبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً: يا سارية الجبل ثلاثاً، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله تعالى.

قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد وحسن. أهـ. البداية والنهاية ٧/ ١٣١ ورواه اللالكائى، شرح اعتقاد أهل السنة ٩/ ١٢٧.

ومنها إخبار أبى بكر الصديق رضى الله عنه بأن ببطن زوجته أنثى أخبر بذلك بنته عائشة رضى الله عنها، وهى قصة صحيح سندها ومشهورة، روى الإمام مالك، واللالكائى: أن أبا بكر الصديق قال لعائشة: كنت نحلتك **جادً** عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك... قالت عائشة: إنما هى أسماء فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية أهـ. كان هذا فى مرض وفاته وكانت زوجه حبيبة بنت خارجة حبلى وبعد وفاته ولدت بنتاً وسميت أم كلثوم(١).

«**تنبيه**» لا بد للكرامات والخوارق أن يكون لها أصل فى معجزات النبى ﷺ ولينظر لهذا كلام أبى إسحاق الشاطبى فى كتابه الموافقات فقد أجاد وأفاد وبث من نفيس العلم ما لا يوجد فى غيره، والذى بدأه بالمسألة العاشرة من النوع الرابع من كتاب المقاصد ٢/ ٢٤٩ - ٢٧٩.

هذا وما يقع من هذه الكرامات التى تكون من باب الكشف والعلم فالناس فيه طرفان وواسطة: طرف يرى أنها هى ميزة الولى والخصيصة التى يعرف بها، فمن لم يؤيد بها ليس له حظ فى ولاية الله. والواسطة -

---

(١) خرج مالك هذا الأثر فى الموطإ «كتاب الأقضية» وقوله: «جاد عشرين وسقا» قال القاضى عياض: أى ما يجد منه هذا القدر، والجاد هنا بمعنى المجدود، وجدٌّ أى قطع، يريد نخلاً يقطع منها عشرون وسقاً، «جددتيه» قطعتيه. و«احتزتيه» أى حزتيه وقبضتيه، «ذو بطن بنت خارجة» أى صاحب بطنها، يريد الحمل الذى فيه. وإثبات الياء فى هاتين الكلمتين لغة لبعض العرب، وقد تقدم ذلك.

وهى عقيدة أهل السنة - أنها كرامات يُخرق الله بها العادة ويُكرم بها بعض أوليائه وليست دليلاً على ولاية الله لصاحبها دون غيره ممن لم تحصل له بل ربما لا تقع أصلاً لمن هو أعظم ولاية وأعلى عند الله درجة ويعطاها من دونه بكثير. والطرف الآخر يمنعها ويرى أنها توجب الاطلاع على الغيب. والغيب لا يعلمه إلا الله. ولأجل هذا استطردت الكلام الآتى فى الغيب من حيث الإيمان به، ومن حيث الاطلاع عليه وعدم الاطلاع، وهو تقسيم عزيز ولله الحمد، والله تعالى أعلم.

▫ الغيب وأقسامه:

الغيب فى اللغة: كل ما غاب عنك من شىء، وهو من قولك غاب فلان يغيب غيباً. قال ابن العربى: - فى الأحكام - حقيقة الغيب ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر أهـ.

والغيب من حيث الإيمان به: هو كل ما أخبر الله ورسوله عنه من الأمور الغائبة عن الخلق كالبعث ونحوه، وقد اختلفت عبارات السلف فى تفسير الغيب الذى يؤمن به المتقون المهتدون بالقرآن الكريم فى قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ...﴾ [١ - ٣: سورة البقرة].

والمتفق عليه عند أهل السنة أن الله وصفهم بأنهم يصدقون بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً، ثم قيل: الغيب هنا ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، وما ذكر الله تعالى فى القرآن. وقيل: آمنوا بالجنة والنار، والبعث بعد الموت، وبيوم القيامة. وقيل: آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت، فهذا كله غيب، ولا بد من الإيمان به، وقيل: المراد بالغيب هنا: الإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق، أى أنه الإيمان بما أخبر الله به عن صدق وإخلاص، فهو ضد النفاق.

والغيب من حيث العلم والإطلاع: دلت النصوص على أنه لا يعلمه إلا الله، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ...﴾ [٥٩: سورة الأنعام]. وقوله عزَّ وجلّ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [٦٥: سورة النمل]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ...﴾ [٣٤: سورة لقمان]. وذكر سبحانه استثناء فيه فقال: ﴿...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ...﴾ [٢٥٥: سورة البقرة]. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ...﴾ [٢٦ ـ ٢٧: سورة الجن]. وقد ثبت عن النبى ﷺ تفسير أمهات الغيب الذى لا يعلمه إلا الله بآية سورة لقمان كما مر بنا فى حديث جبريل عليه السلام، وبما ورد فى الصحيح من تفسيره لآية الأنعام بآية لقمان.

عن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِى غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِى الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ»** رواه البخارى[1] ورواه أبو داود الطيالسى بلفظ **«أُوتِىَ نَبِيُّكُمْ مَفَاتِحَ الْغَيْبِ إِلاَّ الْخَمْسَ»** ثم تلا النبى ﷺ الآية.

ومن هذه النصوص عُلِم انقسام الغيب إلى ثلاثة أقسام: الأول هو **«الغيب المطلق»** وهو الذى لا يعلمه إلا الله تعالى، لم يُطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ومنه الخمس المذكورة فى آية لقمان وفى هذا

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٤٢٠) كتاب التفسير.

الحديث، وما ماثلها مما لا يعلمه إلا الله تعالى ككنه ذاته، وكيفية اتصافه بصفات الجلال والجمال والعظمة. وبه يكون تفسير آية سورة النمل.

القسم الثانى «**الغيب المقيد**»، وهو الغيب الذى يطلع الله تعالى عليه من شاء من خلقه كعلم الملك الموكل بالرحم برزق المولود، وأجله، وكونه شقياً أو سعيداً، وكعلم الملائكة بالحسنات والسيئات وكيفية كتابتها وعلى هذا يتنزل تفسير آية البقرة وآيتى سورة الجن، وما ذكره الله سبحانه عن عيسى ـ عليه السلام ـ من قوله لقومه: ﴿. . . وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ . . .﴾ [٤٩: سورة آل عمران]. وقول يوسف ـ عليه السلام ـ لصاحبى السّجن ﴿. . . لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ . . .﴾ [٣٧: سورة يوسف]. فهذا ونحوه مما أطلع الله عليه رسله من المغيبات، وكذلك ما أظهره على أيديهم من الخوارق المعجزات، وأكرم به متبعيهم من الكرامات والله أعلم. ثم وقفت على ما يلى:

قال الحافظ: عند شرح قوله: «فى خمس لا يعلمهن إلا الله. . .» يمكن أن يستفاد ذلك من الآية الأخرى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ . . .﴾ فالمراد بالغيب المنفى فيها هو المذكور فى هذه الآية التى فى لقمان. وأما قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ . . .﴾ فيمكن أن يفسر بما فى حديث الطيالسى، وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام، قال: إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف ـ عليه السلام قال: إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتى، إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ . . .﴾، فإنه يقتضى اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولى

التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم، والفرق بينهما: أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحى كلها، والولى لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام أهـ. فتح البارى: ٨/ ٣٧٤.

والنوع الثالث هو من الغيب المقيد: الذى يعلمه بعض المخلوقات ويغيب عن آخرين فتشهده الملائكة أو الجن أو الإنس، فهو غيب عمن غاب عنه، ليس غيباً عمن شهده، والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده ويحضره هذا.

قال الحافظ: أخرج حميد بن زنجويه عن بعض الصحابة: أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأُنكِر عليه، فقال: إنما الغيب خمس - وتلا هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾ - وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم أهـ.

◘ الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان:

قد التبس على كثير من الناس أولياء الرحمن بأولياء الشيطان، والكرامات الرحمانية بالأحوال الشيطانية، حتى ظن الكثير أن كل من جرى على يده خارق من الخوارق أو حصلت له مكاشفة أو فراسة لشىء غائب عنه أنه من أولياء الله تعالى، وجهلوا أو تجاهلوا أن الخوارق تحصل لأولياء الله، ولأعدائه من سحرة وأولياء للشيطان.

قد بين الله الفرق بين هؤلاء وهؤلاء: فعن أوليائه تعالى قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [٦٢ - ٦٣: سورة يونس] ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ...﴾ [٢٥٧: سورة البقرة].

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِى وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...**» رواه البخارى[1].

وقال تعالى: عن أولياء الشيطان ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢٧: سورة الأعراف]. وقال: ﴿... وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [١١٩: سورة النساء]. وقال: ﴿... وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [١٢١: سورة الأنعام]. فتحصل من نصوص الوحى أن لله أولياء من خلقه، وللشيطان أولياء منهم، ويجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المتقون المتبعون لمحمد ﷺ ظاهراً وباطناً، المقتدون به فيما سن لهم، المنتهون عما نهى عنه، فيؤيدهم الله بملائكته، ويقذف فى قلوبهم من أنواره، وإنما يتفاضلون فى ذلك بحسب تقواهم واتباعهم. وأولياء الشيطان هم أعداء الله من كفرة ومشركين، وسحرة وفسقة ومبتدعين، فيقيض الله لهم الشياطين كما قال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [٣٦: سورة الزخرف].

وهناك فروق بين كرامات الأولياء المؤمنين المتقين وبين ما يشبهها من أحوال إخوان الشياطين، فكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى لله، تولى أصحابُها ربهم بطاعته بما أمرهم به وتركهم ما نهاهم عنه، فتولاهم الله بكرامته وتأييده.

وسبب الخوارق الشيطانية معصية الله بارتكاب معاصيه: من شرك بالله وظلم لعباده، وابتداع فى شرعه، ودَجَل لإضلال خلقه، فتولى هؤلاء

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١٣٧) كتاب الرقاق.

الجن والشياطين فيضلونهم ويمكرون بهم ﴿... أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [١٩ : سورة المجادلة].

وكان من أول من ظهر فى الإسلام من هؤلاء: المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى اتفق العلماء والمؤرخون على أنه كذاب كاهن عُرف بحديث أسماء رضى الله عنها قالت للحجاج بن يوسف: «**إن رسول الله ﷺ حدثنا «أَنَّ فِى ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وأما المُبِيرُ فَمَا إِخَالُكَ إلاَّ إِيَّاهُ**» رواه مسلم(١).

والكذاب: هو المختار، والمبير: الحجاج بن يوسف. كان المختار يدعى أن جبريل يأتيه بالوحى، وإنما الشياطين تأتيه، وكان يخبر قومه بأشياء غائبة فإذا لم تقع وخشى فضيحة كذبه قال معتذراً لهم: إن ربى وعدنى بذلك ثم بداله أن لا يفعل، وهذه عقيدة البداء الظالمة التى لم يقل بها إلا اليهود والرافضة، والمختار إمام الرافضة فيها. كان المختار تأتيه الشياطين بوحيها لتضله فيزعم أنه وحى من الله، قيل لابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم: إن المختار يزعم أنه ينزل عليه الوحى، فقال الأول ﴿... وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ...﴾ وقال الثانى: صدق: قال الله تعالى ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٢١ ـ ٢٢٢ : سورة الشعراء].

والأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى اليمن كانت له شياطين تخبره ببعض الأمور، ولما أراد المسلمون قتله، كانت شياطينه تخبره بما دبره المسلمون، حتى كان يجمعهم ويقول: أنت يا فلان قلت كذا وأنت قلت كذا وكذا.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) كتاب فضائل الصحابة. «مبيراً» أى مهلكاً يسرف فى إهلاك الناس. «إخالك» معناه: أظنك.

والحارث الدمشقى الذى خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان، وادعى النبوة، وكان من أحواله أن الشياطين يخرجون رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه وتُسَبِّحُ الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل فى الهواء ويقول: هى الملائكة، وإنما كانوا جِنّاً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله فطعنه فقتله.

قال شيخ الإسلام: ومثل هؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم، وتتمثل لهم، وهى جن وشياطين، فيظنونها ملائكة ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت فيأتى الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضى الديون، ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل على زوجته ويذهب، ومن هؤلاء من يرى فى منامه أن بعض الأكابر: إما الصديق ـ رضى الله عنه ـ أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته أو ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه. وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، وهم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطىء، فإن كان الإنسى كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه فى الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر: مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسى أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة، فَيُغَوِّرون له الماء،

وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبى إما فى الهواء وإما مدفوعاً ملجأ إليه. قال:

وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول معه فى ذلك، وقد يوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم أحوال عند القبور والمشاهد يظنونها كرامات، وهى من الشياطين مثل: أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان، أو يوضع مصروع عند القبر، فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلهم. إلى أن قال: وهذا باب واسع، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه، فإنى أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذى دخل فيها، وأعرف من تخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئاً لك يا ولى الله، فيقرأ آية الكرسى فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذنى حتى يأكلنى الفقراء، وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول: أنا من أمر الله ويعده بأنه المهدى الذى بشر به رسول الله ﷺ ويظهر له الخوارق، ويأتيه بأشخاص فى صورة جميلة ويقول له: هذه الملائكة أرادوا زيارتك، ويقول له: علامة أنك أنت المهدى، أنك تنبت فى جسدك شامة، فتنبت ويراها، وغير ذلك من مكر الشيطان قال:

وكثير من الناس قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات، وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان، ومعرفة القرآن، ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية، وبين التلبيسات الشيطانية.

وقد حدث لكثير من الناس أن الشياطين تحمله وتطير به إلى مكة، أو بيت المقدس، أو غيرها، ومنهم من تحمله عشية عرفة إلى عرفة فيقف

مع الناس، ثم تحمله فترده إلى مدينته تلك الليلة، ويظن هذا الجاهل أن هذا من كرامات أولياء الله.

وهذا ليس بحج لأنه لم يُحرِمْ من الميقات ولم يَطُف بالبيت ولم يَسْع بين الصفا والمروة، وهذا لا يجوز باتفاق المسلمين، ومن ظن أن هذا عبادة وكرامة لأولياء الله فهو ضال جاهل، ولهذا لم يكن أحد من الأنبياء والصحابة يفعل بهم مثل هذا، قال: وقد جرت هذه القضية لبعض من حمل هو وطائفة معه من الإسكندرية إلى عرفة، فرأى ملائكة تنزل وتكتب أسماء الحجاج، فقال: هل كتبتمونى؟ قالوا: أنت لم تحج كما حج الناس. قال:

ومن الناس من يأتى إلى قبر الشيخ الذى يستغيث به فينزل عليه من الهواء طعام، أو نفقة أو سلاح، أو غير ذلك مما يطلبه، فيظن ذلك كرامة لشيخه، وإنما ذلك كله من الشيطان. ولهذا فقد كان أئمة الإسلام يقولون: لو رأيتم الرجل يطير فى الهواء أو يمشى على الماء فلا تغتروا به، حتى تنظروا وقوفه عند أمر الله ونهيه. أهـ. مجموع الفتاوى ١/ ٨٢ ـ ٨٥ ـ ١٦٨ ـ ١٧٩ و١١/ ٢٨٤ ـ ٢٩٠.

قلت: وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

إذا رأيت رجلاً يطير وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرعِ فإنه مستدرج أو بدعى.أهـ

مبحث: الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان لأنه غيب بحت، والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان، وحقيقته الإيمان الجازم بكل ما جاء من الخبر الثابت عن الله ورسوله من القيامة الصغرى والقيامة الكبرى وما يكون فيهما، والقيامةُ الصغرى موت ابن آدم، وما يكون فى البرزخ إلى البعث، والقيامة الكبرى من قيام الناس من قبورهم وما هو كائن إلى نهاية مصير الخلائق، وكثيراً ما يذكر الله سبحانه هاتين القيامتين فى السورة الواحدة من القرآن كسورة الواقعة، والقيامة، وق، وغيرهن.

وقد قرن الله تعالى ـ فى القرآن الكريم ـ الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به تعالى فى اثنين وعشرين موضعاً، فى سورة البقرة وحدها سبعة مواضع، وكثر ذلك فى السنة.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»** متفق عليه[1].

بل إن القرآن الكريم اعتنى بذكر اليوم الآخر عناية لا مثيل لها فى غيره من أمور الغيب، فإنك لا تكاد تمر بصفحة من المصحف إلا وتجد فيها ذكراً لهذا اليوم وأهواله، قد قرره القرآن فى كل موضع، ونبه إليه فى كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى الأساليب، ومن مظاهر ذلك كثرة ما سمى

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١١٠) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٤٧) كتاب الإيمان. ولفظ البخارى: «فلا يؤذ جاره».

به هذا اليوم مثل: يوم القيامة، يوم البعث، يوم الدين، يوم الفصل، يوم الحساب، اليوم الموعود، يوم الجمع، إلى غير ذلك كالطامة، والقارعة.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقسم بربه - جل وعلا - على وقوع اليوم الآخر فى ثلاث آيات من القرآن قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [٥٣: سورة يونس]. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ . . .﴾ [٣: سورة سبأ]. ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ . . .﴾ [٧: سورة التغابن].

واليوم الآخر أنكره المشركون واستعظموا وقوعه، وشبهتهم استغراب العودة إلى الحياة بعد تحول الأجسام إلى رفات وعظام وتراب، وقد أكثر القرآن من الأدلة والأمثلة على وقوع هذا اليوم والبعث والجزاء ورد على شبهتهم بشتى الأساليب ولنذكر مثالاً واحداً من ذلك.

قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى: كما رواه الطبرى وغيره - جاء أُبَيُّ بن خَلَف إلى النبى ﷺ بعظم حائل وهو يفته ويذروه فى الهواء، ثم قال: يا محمد من يحيى هذا وهو رميم؟ قال: «يُحْيِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ يُمِيتُكَ ثُمَّ يَبْعَثُكَ ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ» ونزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٧ - ٧٩: سورة يس].

والإيمان باليوم الآخر على درجتين أولاهما: أن يؤمن العبد به إجمالاً، وذلك هو الحد الأدنى لتحصيل الإيمان به، ولا يبعد أن يكون المقتصر على ذلك مقلداً فى إيمانه.

الثانية: وبها يتحقق الإيمان - أن يؤمن العبد بكل ما أتت به نصوص القرآن والسنة الثابتة فى اليوم الآخر تفصيلاً.

■ مقدمات اليوم الآخر:

١ ـ فتنة القبر. ٢ ـ عذاب القبر ونعيمه.

تواترت أحاديث فتنة القبر عن النبى ﷺ من رواية جمع من الصحابة منهم البراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، رضوان الله عليهم. والمراد بفتنة القبر الامتحان والاختبار للميت بالسؤال فى القبر عن ربه ونبيه ودينه، وهو عام للمكلفين سوى الأنبياء فاختلف فى سؤالهم كما اختلف فى غير المكلفين كالمجانين والصبيان، ودلت النصوص على أن الميت تُرد إليه روحه أول وهلة فتأتيه الملائكة فتسأله فيثبت الله من أراد رحمته من المؤمنين.

عن أسماء بنت أبى بكر، رضى الله عنهما، قالت: قال النبى ﷺ «... **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِى الْقُبُورِ مِثْلَ - أَوْ قَرِيباً مِن - فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فأما الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُوقِنُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحاً، فَقَدْ عَلِمْنَا إِن كُنتَ لَمُؤْمِناً، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِى، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ**» متفق عليه(١).

وعن البراء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِى قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ...﴾ [٢٧: سورة

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٨٢) كتاب الوضوء. صحيح مسلم رقم (٩٠٥) كتاب الكسوف. وقولها: «مثل أو قريباً» و«المؤمن أو الموقن» هو شك من فاطمة بنت المنذر راوية الحديث عن جدتها أسماء، وقد صرحت بذلك فى قولها: لا أدرى أيّ ذلك قالت أسماء، وتركته للاختصار.

إبراهيم]» متفق عليه(١).

عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ: مَا كُنتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً»** متفق عليه(٢).

زاد البخارى: **«وأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِى كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»**(٢).

فى هذه الأحاديث وغيرها إثبات فتنة القبر، وهل تختص بهذه الأمة أم وقعت للأمم قبلها؟ ظاهر الأحاديث الأول. وأخذ منها ذم التقليد فى الاعتقادات لعذاب من قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقتله، ودلت على أن روح الميت تعاد إلى جسده فى القبر، وأن السؤال يقع عليهما معاً. وقال ابن جرير وبعض الكرامية السؤال يقع على الجسد فقط، وإنما يخلق الله فيه إدراكاً يسمع ويعلم ويلذ ويألم، وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط، والأول قول جمهور أهل السنة.

وأما عذاب القبر ونعيمه فقد تظاهرت عليهما دلائل الكتاب والسنة

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٣٠٣) كتاب الجنائز. صحيح مسلم رقم (٢٨٧١) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) صحيح البخارى رقم (١٣٠٨) كتاب الجنائز. صحيح مسلم رقم (٢٨٧٠) كتاب الجنة. وقوله: «لا دريت ولا تليت» أصل تليت تلوت، أى لا فهمت ولا قرأت القرآن، والمعنى لا دريت ولا اتبعت من يدري.

المتواترة، والإيمان بهما عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنكرت الخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة عذاب القبر. قال تعالى: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ...﴾ [٩٣: سورة الأنعام]. وقال: ﴿... وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [٤٥ ـ ٤٦: سورة غافر]. وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [٢٧: سورة محمد].

وعذاب القبر لا يختص به الكفار بل عصاة الموحدين يعذب منهم من أراد الله عذابه كما دلت عليه نصوص ثابتة.

عن عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، قال: خرج النبى ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما فقال: **«يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ: كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوِ اثْنَتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِى قَبْرِ هَذَا وَكِسْرَةً فِى قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»** متفق عليه(١).

وهكذا كان النبى ﷺ يسمع عذاب المعذبين فى القبور، ويرى نعيم المنعمين، وقد يطلع الله على ذلك بعض خلقه إلا أن غالب بنى آدم لا

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٧٠٨) كتاب الأدب. صحيح مسلم رقم (٢٩٢) كتاب الصلاة. وقوله فى الحديث: «وما يعذبان فى كبير» أى فى زعمهما، ولذا قال: «وإنه لكبير». وقوله: «لا يستتر» قال النووى فيه ثلاث روايات: بمثناتين كما هنا و«يستنزه» بالزاى والهاء، و«يستبرئ» بالباء الموحدة والهمزة، وكلها ثابتة. ومعناها: لا يتجنبه ويتحرز منه.

يطلعون عليه، بينما البهائم كلها تسمع عذاب القبر كما هو صريح حديث عائشة وزيد الآتيين.

عن عائشة رضى الله عنها، قالت: دخلت على عجوزان من عُجُزِ يهود المدينة، فقالتا لى: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم فكذبتهما، ولم أُنعِمْ أن أصدقهما، فخرجتا فدخل النبى ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين، وذكرت له. فقال: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَاباً تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا**» **فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِى صَلاَةٍ إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَاب القبر**» متفق عليه[(١)].

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه، قال: بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له - ونحن معه - إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أقبُرٌ ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلاَءِ؟**» قال: ماتوا فى الإشراك، فقال: «**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِى قُبُورِهَا، فَلَوْ لاَ أَن لاَّ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ**»، **ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ...**» رواه مسلم[(٢)].

ونقل الشيخ تقى الدين اتفاق أهل السنة على أن العذاب والنعيم على الروح والبدن جميعاً فتنعم الروح وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة به والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن. مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٢.

واختلف فى الروح والنفس هل هما شىء واحدٌ أو متغايرانِ، وكل رجحه طائفة، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٠٠٥) كتاب الدعوات. صحيح مسلم رقم (٥٨٦) كتاب المساجد. وقولها: «ولم أنعم» بضم الهمزة أى لم تطب نفسى أن أصدقهما.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨٦٧) كتاب الجنة. وقوله: «حادت به» أى مالت عن الطريق ونفرت، «تدافنوا» أصله تتدافنوا. أى لولا مخافة أن لا يدفن الحى منكم الميت.

◘ أشراط الساعة:

أشراط الساعة أماراتها: وهى الآيات التى تواترت النصوص بظهورها قبل قيام الساعة. قال الحافظ: قال الطيبى: الآيات أمارات للساعة: إما على قربها، وإما على حصولها، فمن الأول الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثانى الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التى تحشر الناس أهـ.

وكل هذه مما يجب الإيمان به، كما يجب الإيمان بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنه لا يعلم موعدها إلا الله عزَّ وجلّ، ومن ثَمَّ فإنه لا سبيل إلى معرفة ما بقى من الدنيا البتهْ، والمراد بالساعة يوم القيامة، وتطلق الساعة على أشياء، وأصلها قطعة من الزمان، وتعرف فى عرف أهل الميقات أنها جزء من أربعة وعشرين جزءاً من اليوم والليلة، وقد ورد نص بذلك. كما فى حديث جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ، قال: «**يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لاَ يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئاً إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ**» رواه النسائى وأبو داود(١).

وقد أطلق الشارع الساعة على انقراض قرن الصحابة وموت الإنسان الواحد، كما فى حديث عائشة قالت: كان الأعراب يسألون النبى ﷺ عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**» متفق عليه(٢).

---

(١) سنن النسائى رقم (١٣٨٩) كتاب الجمعة. سنن أبى داود رقم (١٠٤٨) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦١٤٦) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٩٥٢) كتاب الفتن. وفى رواية: إن يؤخر هذا. قال عياض: هذه الروايات كلها محمولة على أن المراد موت ذلك القرن والمراد بساعتكم موتكم. وقد فسر هشام بن عروة فى البخارى الساعة فى هذا الحديث بموت المخاطبين.

وللساعة علامات على قربها تسمى الأشراط الصغرى، ومما ورد فيها كمثال من الأحاديث الكثيرة.

عن أنس وسهل، قالا: قال النبى ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّهُمَا. متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أن يُرفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ**» متفق عليه[2].

وعن عوف بن مالك، أن النبى ﷺ قال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيتِ المقدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثم فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيتٌ مِنَ الْعَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً**» رواه البخارى[3].

ومما ورد فى أشراط الساعة المؤذنة بحصولها، وتسمى الكبرى.

عن حذيفة بن أسيدٍ، قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نَتَذَاكَرُ، فقال:

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١٣٨) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٩٥١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٣ ٤٩) كتاب النكاح. صحيح مسلم رقم (٢٦٧١) كتاب العلم. ولعل قلة الرجال بموتهم فى الحروب والفتن. دل عليه ما فى لفظ لمسلم «ويذهب الرجال ويبقى النساء...».

(٣) صحيح البخارى رقم (٣٠٠٥) كتاب الجزية. وقوله فى الحديث «موتان» بضم الميم وسكون الواو، الموت الكثير الوقوع «كقعاص» بقاف ثم عين مهملة: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة و«بنو الأصفر» الروم «غاية» راية، سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

«مَا تَذَاكَرُونَ؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِم» رواه مسلم(١).

◘ طلوع الشمس من المغرب:

طلوع الشمس من مغربها من الآيات التى يجب الإيمان بها، وورد أنها أول الآيات، وهى أولية نسبية كما سيأتى.

عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً. طُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا قَرِيباً**» رواه مسلم(٢).

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾». متفق عليه(٣).

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٠١) كتاب الفتن. وقوله: «الدخان» يؤيد قول حذيفة وابن عمر، بأن الدخان آية باقية، دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويكون على المؤمن كالزكام، يكون قريباً من قيام الساعة ويمكث فى الأرض أربعين يوماً، وأنكر ذلك عبد الله بن مسعود قائلاً: إنه دخان عذبت به قريش بمكة وأنه المذكور فى سورة الدخان. وعنده فى رواية: أن العاشرة «ريح تُلقى الناس فى البحر».

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٩٤١) كتاب الفتن.

(٣) صحيح البخارى رقم (٤٣٦٠) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (١٥٧) كتاب الإيمان.

قال ابن جرير وغيره: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصى لا تنفعه توبته، ومن لم يعمل صالحاً من قبلُ ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التى هو عليها أهـ. قال القاضى عياض: لأنه بمشاهدة ذلك حصل الإيمان الضرورى بالمعاينة وارتفع الإيمان بالغيب.

واستشكل ما فى حديث عبد الله بن عمرو، من أن طلوع الشمس من المغرب أول الآيات مع أن ظهور الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج دلت أدلة على أنها كائنة قبل طلوع الشمس من المغرب، وعيسى يقاتل الناس على الإسلام ولا يبقى بعد نزوله من الْمِلَلِ إلا الإسلام.

وجمع العلماء بين هذه الأدلة.

قال الحافظ: الذى يترجح من مجموع الأخبار، أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة فى معظم الأرض، ينتهى ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى، وينتهى ذلك بقيام الساعة، قال: وقال الحاكم: الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة فى ذلك اليوم أو الذى يقرب منه. فتح البارى ١١/ ٣٦١.

◘ خروج الدابة:

هذه الآية صرح القرآن الكريم بها قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ . . .﴾ [٨٢: سورة النمل]. وهذه الدابة تخرج قبيل قيام الساعة عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى

وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله عليهم دابة من الأرض، قيل من مكة، وقيل من غيرها: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بضم التاء وتشديد اللام المكسورة قراءة العامة ـ القراء العشرة وغيرهم ـ من الكلام، تكلمهم كلاماً أى تخاطبهم خطاباً، قاله: على وابن عباس وقتادة، وروى عن ابن عباس وأبى زرعة أنهما قرآ (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وإسكان الكاف وكسر اللام مخففة من الكَلْم وهو الجرح. وقرأ الحسن: تَسِمُهم، وهما تفسير أو من الشواذ التى لا تجوز القراءة بها ولا يطلق عليها اسم القرآن. ولا مانع من أنها تكلمهم فتخاطبهم، وتكلمهم بالجرح والوسم، كما ورد عن ابن عباس.

قال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس عن هذه الآية: (تُكَلِّمهم أوْ تَكْلِمُهم)؟ فقال: هى والله تُكَلِّمهم وتَكْلِمُهم، تُكلِّم المؤمن وتَكْلِم الكَافر والفاجر، أى تجرحه وفسر أبو حاتم قراءة العامة (تُكَلِّمُهم) بتجرحهم، أى أنها صيغة تكثير من تكْلِمُهم، والله تعالى أعلم.

وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة، فمن الأحاديث حديث حذيفة بن أسيد وعبد الله بن عمرو السابقين.

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: **«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ»** رواه مسلم[(١)].

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: **«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَى مُوسَى فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْتِمُ أَنفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتِمَ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ: هَا هَا يَا مُؤْمِنُ، وَيُقَالُ هَا هَا: يَا كَافِرُ،**

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٤٧) كتاب الفتن، ومعناه: سابقوا ست آيات دالة على قرب القيامة، قبل حلولها، فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يقبل ولا يعتبر.

وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ، وَهَذَا: يَا مُؤْمِنُ» رواه الترمذى وحسنه، وابن ماجه[1]، ورواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسى.

وعن حذيفة بن أسيدٍ الغفارى، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «لها ثلاث خَرجَاتٍ من الدهر: فتخرج فى أقصى البادية، ولا يدخل ذكرُها القرية - يعنى مكة - ثم تكمُن زمناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فَيَعْلُو ذِكرُهَا أهل البادية، ويدخل ذكرُها القرية - يعنى مكة - قال رسول الله ﷺ، ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة - خيرها وأكرمها - المسجد الحرام، لم يَرُعْهُمْ إلا وهى تَرْغُو بين الركن والمقام تَنفضُ عن رأسها التراب، فَارْفَضَّ النَّاسُ مَعَهَا شَتَّى وَمَعاً، وثَبَتَ عِصَابَةٌ من المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يُعْجِزُوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكَوْكَبُ الدرى، وولت فى الأرض لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فَتَأْتِيه من خلفه، فتقول: يا فُلان الآن تصلى؟ فَيُقْبِلُ عليها، فَتَسِمه فى وجهه، ثم تنطلق، وتشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار، يُعرَف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن يقول: يا كافر اقضنى حقى، وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضنى حقى» رواه أبو داود الطيالسى - فى مسنده ومنه نقلته - هكذا مرفوعاً مُجَوَّداً. ورواه ابن جرير من طريقين موقوفاً على حذيفة بن أسيد، ورواه من رواية حذيفة بن اليمان، مرفوعاً. وأن ذلك بعد نزول عيسى وحالة طوافه بالبيت، وضُعِّفَ.

أما مكان خروج الدابة فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: ذهب

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣١٨٧) كتاب تفسير القرآن. سنن ابن ماجه رقم (٤١١٦) أبواب الفتن. «تجلو وجه المؤمن» تصقله وتبيضه.

بى رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الدابة من هذا الموضع» فإذا فتر فى شبر. رواه ابن ماجه(١).

وروى ابن جرير الطبرى، عن ابن عمر، قال: تخرج الدابة من صدع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها، وروى أيضاً عن عطاء، قال: رأيت عبد الله بن عمرو ـ وكان منزله قريباً من الصفا ـ رفع قدمه وهو قائم، وقال: لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذى تخرج منه الدابة. وروى غيره عن ابن عباس أنها تخرج من بعض أودية تهامة. وعن عبد الله بن عمرو، أنها تخرج من صخرة من شعب أجياد.

وما يذكره كثير من المفسرين من أوصاف وأحوال لها فلا ينبغى التشاغل به لأنه لم يصح شىء منه عن المعصوم، بل هو إسرائيليات. والله تعالى أعلم.

◘ المسيح الدجال:

ظهور المسيح الدجال من أشراط الساعة التى أجمع أهل السنة على الإيمان بها لما تواتر من الأحاديث فى ذلك عن الصادق المصدوق ﷺ، والدجال بفتح أوله وتشديد ثانيه من الدّجَل: وهو التغطية، سمى الكذاب دجالاً لأنه يغطى الحق بباطله، ويلقب بالمسيح، وقد لقب به كتاباً وسنة: عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ والمسيح بفتح الميم وتخفيف الحاء

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٤١١٨) أبواب الفتن. وقوله: «فتر فى شبر»، الفتر بكسر الفاء وإسكان التاء ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما. والشبر: بكسر الشين وإسكان الباء ما بين طرفى الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد.

وهذا الحديث قال عنه البوصيرى فى الزوائد: ـ سنده ضعيف، فيه خالد بن عبيد. قال البخارى: فى حديثه نظر.

المهملة، وورد حديث يشير إلى التفرقة بينهما سمى فيه النبى ﷺ الدجال بمسيح الضلالة.

قال الحافظ: رواه البزار من حديث أبى هريرة بسند جيد. ولا ريب أن عيسى ابن مريم مسيح الهدى.

والدجال هو أعظم فتنة يمتحن الله بها أهل الأرض، وله تدرج فى فتنة الناس، فيدعى أولاً أنه نبى، ثم يدعى أنه إله.

عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «. . . **إِنَّهُ لَمْ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ. . . إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ، وَلاَ نَبِيَّ بَعْدِى، ثُمَّ يُثَنِّى فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَلاَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا. . .**» رواه ابن ماجه[1].

وعن هشام بن عامر، رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**» رواه مسلم[2].

لذلك فقد اعتنت السنة بموضوعه عناية لا مثيل لها، فوصفته الأحاديث بجميع صفاته، ووسمته بقبيح سماته، ولم تترك من ذلك شيئاً حتى مكان خروجه وإِبَّانَهُ، وختمت ذلك بموته ذليلاً على يد عيسى عليه السلام. وبعون الله تعالى نذكر طرفاً منها.

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**» رواه مسلم[3]. وخروجه من يهودية

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٤١٢٨) أبواب الفتن.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٩٤٦) كتاب الفتن.

(٣) صحيح مسلم رقم (٢٩٤٤) كتاب الفتن «أصبهان» بفتح الهمزة وكسرها، وبالباء والفاء، مدينة مشهورة «سبعون» بسين وباء، وفى رواية «تسعون ألفاً» بالتاء المثناة قبل السين. «الطيالسة» جمع طيلسان: وهو ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس خَالٍ من التفصيل والخياطة.

أصبهان رواه الإمام أحمد، وسنده صحيح، وخروجه من خراسان رواه الترمذى وابن ماجه: عن أبى بكر الصديق، قال: حَدَّثَنا رسولُ الله ﷺ: «**أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ**»(١).

وعن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما، قال: قام رسول الله ﷺ فى الناس، فأثنى على الله. ثم ذكر الدجال فقال: «**إِنِّى أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِن نَّبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِن سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» متفق عليه(٢).

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَنذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيس بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**» متفق عليه(٣). وزاد مسلم: ثم تَهَجَّاهَا كَ فَ رَ «يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِن بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِن أَنقَابِهَا إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُها، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمدِينَةُ ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ**

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٢٣٧) كتاب الفتن. وسنن ابن ماجه رقم (٤١٢٣) أبواب الفتن. و«يهودية أصبهان» قرية من قراها كان يسكنها اليهود. «المجان المطرقة» التروس الغليظة. والترس صفيحة مستديرة من حديد يُتقى بها السيف في الحرب.

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨٩٢) كتاب الجهاد. صحيح مسلم رقم (١٦٩) كتاب الفتن، قوله «تعلمون» للبخاري. ولمسلم «تعلموا» بفتح التاء وتشديد اللام وبدون نون، اتفق الرواة على ذلك ومعناه اعلموا وتحققوا. النووي.

(٣) صحيح البخارى رقم (٦٩٧٣) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٢٩٣٣) كتاب الفتن.

وَمُنَافِقٍ» متفق عليه[١].

عن حذيفة بن اليمان، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً، فَأَمَّا الَّذِى يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِى يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِى الَّذِى يَرَاهُ نَاراً، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ»** متفق عليه[٢].

عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال: **«يَأْتِى الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أن يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِى تَلِى الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: نَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِى حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِن قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِى الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّى الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَن يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»** متفق عليه[٣].

عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: **«. . . إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنَهُ طَافِئَةٌ. . . فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِيناً وعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللَّهُ فَاثْبُتُوا»** قلنا: يا رسول الله، وما لَبْثُه فِى الأَرْضِ؟ قال: **«أَرْبَعُون**

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٤٣) كتاب الفتن. صحيح البخارى رقم (١٧٨٢) كتاب الفضائل. وقوله: «نقب» واحد الأنقاب وأصله الطريق بين جبلين والمراد طرقها وفجاجها. و«السبخة» بفتح الباء وتسكن: أرض ذات نز وملح.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٩٣٥) كتاب الفتن. صحيح البخارى رقم (٣٢٦٦) كتاب الأنبياء. وعند مسلم فى رواية عن حذيفة وصف الجنة والنار هنا بأنهما نهران يجريان.

(٣) صحيح البخارى رقم (٦٧١٣) كتاب الفتن. صحيح مسلم رقم (٢٩٣٨) كتاب الفتن.

يَوماً، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قلنا: يا رسول الله، فذاك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِى عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ والأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُراً، وَأَسْبَغَه ضُرُوعاً، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِى كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ. . . فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلَهُ. . .**» رواه مسلم(١) وهو حديث طويل والأحاديث فى شأن الدجال يصعب حصرها.

قال القاضى عياض: هذه الأحاديث وغيرها فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وقوله: «قطط» جعد الشعر بشدة «عينه طافئة» بالهمز ذهب نورها «خلة» سمت وقبالة «فعاث» العيث الفساد والإسراع فيه «اقدروا له قدره» معناه: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم، فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر، فصلوا العصر، وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سَنَةٍ، فرائض كلها مؤداة فى وقتها. قال القاضى عياض وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، ولولا هذا الحديث، ووكلنا إلى اجتهادنا لا اقتصرنا فيه على الصلوات الخمس، ويقاس عليه اليومان الآخران «جزلتين» بفتح الجيم وكسرها قطعتين. «باب لد» بلدة قريبة من بيت المقدس.

عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمزه، ويقتله عيسى ـ عليه السلام ـ ويثبت الله الذين آمنوا، قال: هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافاً لمن أنكره، وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافاً للبخارى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود، ولكن الذى يدعى مخارف وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهذا غلط من جميعهم، لأنه لم يَدَّعِ النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعى الإلهية، وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه. . . أهـ بواسطة نقل النووى فى شرح مسلم.

قلت: وقد أنكر وجود الدجال ـ فى عصرنا ولم يبال بما ورد فيه، بل جعله رمزاً للخرافات ـ أستاذ المدرسة العقلية[1] الشيخ محمد عبده، فقد سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له؟ فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها أهـ. تفسير المنار ٣/ ٣١٧.

---

(١) للتعرف على هذه المدرسة ورجالاتها واتجاهاتها انظر الكتب الآتية: منهج المدرسة العقلية فى التفسير. لفهد الرومي. ومقدمة حوار هادىء مع محمد الغزالي. لسلمان فهد العودة. والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية. لأبى الحسن الندوي. وهناك كتب أخرى عنها.

وهكذا دأبت هذه المدرسة على إنكار العقائد الغيبية كلها كالدجال، والمهدى، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونحوها.

وقد بالغ محمد رشيد رضا ـ سامحه الله ـ بدوره فى رد النصوص الواردة فى أشراط الساعة، والتشكيك فى هذه العقائد بوصم الأحاديث المتواترة التى أثبتتها، والأحاديث التى اتفق على تخريجها البخارى ومسلم، فتارة يصفها بالتعارض والاختلاف لأنها عنده تخالف الواقع، وتارة بأن ما فيها يخالف الحكمة، وتارة بأنها تعد شبهة وتخالف هداية القرآن، ويستنتج أخيراً: أنها من الإسرائيليات، ويقول بالحرف: بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم، وقال: إن بطلى الإسرائيليات وينبوعى الخرافات كعب الأحبار ووهب بن منبه أهـ ولا خلاف بين علماء الملة فى عدالة كعب ووهب، رحمهما الله، وعنهما روى الأئمة الأثبات. ولا عجب فقد نقل محمد رشيد رضا عن شيخه محمد عبده: أنه لم يكن يثق إلا بأقل القليل مما روى فى الصحاح من أحاديث الفتن. انظر تفسير المنار ٩/ ٤٨٨ ـ ٥٠٧ تأليف محمد رشيد رضا.

والدجال مع كثرة شره لم يرد له ذكر فى القرآن. وجعل ذلك بعض منكريه دليلاً لهم، وقد خالفوا منهج أهل السنة فإنهم أجمعوا على أن الإيمان بظهور الدجال والمهدى واجب عقائدى لازم، ولم يرد لواحد منهما ذكر فى القرآن الكريم، ثم إن العلماء نبهوا على الحكمة التى يظهر أن الدجال لم يذكر فى القرآن من أجلها: وهى أنه لما كان يدعى الإلهية وأمره مستقبل كان أحقر وأصغر من أن يذكره الله باسمه فى القرآن الكريم، فوكل بيان أمره إلى كل نبى، واكتفى بإخبار الأنبياء عنه، وجاء خاتمهم محمد ﷺ فتواتر عنه من الأحاديث ما جلى به عن أمره وبين من حاله وصفاته ما لم تذكره الرسل قبله.

وأجابوا عن ذكر فرعون فى القرآن: بأن أمره قد انقضى وتبين كذبه لكل عاقل بخلاف الدجال فإنه من أشراط الساعة ومعه من الفتن المضلة والخوارق المدهشة ما جعله الله فتنة واختباراً لمن يكون أنذاك، فترك ذكره فى القرآن احتقاراً له. والله أعلم.

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

من عقائد أهل السنة والجماعة الإيمان بنزول المسيح عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ آخر الزمان لما تواتر من النصوص فى ذلك، وقد جاء فى القرآن أن نزوله من أشراط الساعة قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ...﴾[1] [٦١: سورة الزخرف].

وثبتت أحاديث فى نزوله بلغت تسعة وعشرين حديثاً وفى بعضها أنه ينزل بين جناحى ملكين شرقى دمشق، ثم يقتل الدجال، ويمكث فى الأرض أربعين سنة حاكماً بشريعة محمد ﷺ لأنها نسخت الشرائع وهى لا تنسخ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه، وهذه عقيدة أجمع عليها المسلمون عدا الجهمية وفرقة من المعتزلة ومن وافقهم أنكروا نزول عيسى لشبهة نذكرها قريباً إن شاء الله تعالى.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»** متفق عليه[2].

---

(١) وروى ابن جرير الطبرى بأسانيد عن ابن عباس وجمع من أئمة السلف تفسير الآية بما ذكر. وأن ابن عباس وقتادة والضحاك قرأوا بفتح العين واللام من (لعلم للساعة).

(٢) صحيح البخارى رقم (٢١٠٩) كتاب البيوع. صحيح مسلم رقم (١٥٥) كتاب الإيمان. «ليوشكن» بكسر الشين، أى ليقربن أى ولابد «مقسطاً» المقسط العادل =

وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**كَيفَ أَنتُمْ إِذَا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(١) متفق عليه. ولمسلم «**فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ**»(١).

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**» رواه مسلم(٢).

وعنه، أن النبي ﷺ قال: «**لَيسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - يَعْنِي عِيسَى - نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِن لَّمْ يُصِبْهُ بَلَل، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِسْلاَمَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عليه المسلمون**» رواه أبو داود(٣). والإمام أحمد، قال الحافظ: سنده صحيح.

وروى أبو داود الطيالسي بسند صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**يَمْكُثُ عِيسَى فِي الأَرْضِ بَعْدَمَا يَنزِلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ وَيُصَلِّي عَلَيهِ الْمسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ**».

= وضده القاسط وهو الجائر «فيكسر الصليب» معناه: يكسر الصلبان كلها حقيقة إبطالاً لما يزعمه كفرة النصارى من تعظيمها «ويضع الجزية» أي لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام. ووضع الجزية ليس نسخاً لمشروعيتها من عيسى، بل النبي ﷺ بَيَّن أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى.

(١) صحيح البخاري رقم (٣٢٦٥) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٢٥٢) كتاب الحج. «ليهلن» الإهلال رفع الصوت بالتلبية أي ليحرمن بحج أو عمرة، أو يقرن بينهما بعد نزوله من السماء. و«فج الروحاء» مكان بين مكة والمدينة.

(٣) سنن أبي داود رقم (٤٣٢٤) كتاب الملاحم «ممصرتين» تثنية ممصرة، والممصرة الثياب التي فيها صفرة خفيفة، أي ينزل عيسى بين ثوبين فيهما صفرة خفيفة.

وفى حديث النواس السابق: بعد قتل عيسى للدجال: «... **ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنبِتِى ثَمَرَتِك، وَرُدِّى بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِى الرِّسْلِ، حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ من الإِبِلِ لَتَكْفِى الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِى الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِى الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١).

«تنبيه» شبهة الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم فى إنكار نزول عيسى - عليه السلام - وإنكار النصوص المثبتة لنزوله قالوا: دل القرآن والسنة وإجماع المسلمين على أنه لا نبى بعد محمد ﷺ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة، وعيسى رسول، فإذا نزل يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله.

وأبطل أهل السنة هذه الشبهة بأن هذا الاستدلال فاسد لأنه ليس المراد من نزول عيسى - عليه السلام - أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شريعة محمد ﷺ، كلا، ولا فى الأحاديث شىء من هذا، بل ثبتت الأحاديث بأنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشريعة محمد ﷺ. فهو من أتباع النبى

---

(١) تقدم تخريجه وقوله «العصابة» هى الجماعة. «قحفها» بكسر القاف هو مقر قشرتها «الرسل» هو اللبن. «اللقحة» بكسر اللام وفتحها هى قريبة العهد بالولادة ذات اللبن من النوق. «الفئام» هى الجماعة الكثيرة من الناس. «الفخذ» بإسكان الخاء هنا لا غير. الجماعة من الأقارب وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. «وكل مسلم» هكذا هو فى جميع نسخ مسلم. «يتهارجون تهارج الحمر» أى يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، والهرج بإسكان الراء، الجماع. ويطلق على أشياء أخرى منها القتل، يقال: هرج زوجته، أى جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

الخاتم مقرراً لشريعته ومجدداً لها ومحيياً لما هجره الناس منها.

■ يأجوج ومأجوج:

من عقائد أهل السنة والجماعة الإيمان بوجود يأجوج ومأجوج وخروجهم على أهل الأرض فى آخر الزمان وأن ذلك من أشراط الساعة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۞ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ . . .﴾ (١) [٩٦ ـ ٩٧: سورة الأنبياء]. وقد ذكر الله هاتين الأمتين المفسدتين فى سياق قصة ذى القرنين الذى بنى سداً منيعاً حبسهم الله بسببه عن أهل الأرض، وذكر أنه إذا جاء وعد الله الذى جعله ميقاتاً لظهورهم على الناس جعل الله ذلك السد دكاً، أى سواه بالأرض، وذلك فى آية (٩٣ ـ ٩٩) من سورة الكهف.

وهما قبيلتان من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ دل على ذلك ما فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ عزَّ وجلّ يَا آدَمُ. . . أَخرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قال: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قال: «مِن كُلِّ أَلفٍ تِسْعَمَائِةٍ وَتِسعَةً وَتِسْعِينَ». . . قال: فاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيهِمْ، قالوا: أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فقال: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفاً، وَمِنكُمْ رَجُلٌ. . .»** (٢).

---

(١) ياجوج وماجوج بغير همز عند جمهور القراء، وقرأ عاصم بالهمزة الساكنة فيهما، وهى لغة بنى أسد. وهما اسمان أعجميان عند الأكثر، وقيل فى اشتقاقهما: أنه من أجيج النار، وهو التهابها، وقيل: من الأجة بالتشديد وهو الاختلاط أو من الأج وهو سرعة العدو.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٢٢) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٣١٧٠) كتاب الأنبياء. قال الحافظ: غرض البخارى من ذكر هذا الحديث هنا الإشارة إلى كثرة ياجوج وماجوج وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عُشر عُشر العشرِ، وأنهم من ذرية آدم رداً على من قال خلاف ذلك.

والقول الصحيح فى أصل يأجوج ومأجوج أنهم من ولد يافث بن نوح، رواه الحاكم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بسند جيد.

وأصح ما ورد فى كثرتهم ما رواه ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَقَلُّ مَا يَتْرُكُ أَحَدُهُمْ لِصُلْبِهِ أَلْفاً مِنَ الذُّرِّيَّةِ».(١)

ووردت أحاديث ثابتة برواية جمع من الصحابة عن النبى ﷺ فى إثبات يأجوج ومأجوج وخروجهم على الناس وكثرة فسادهم فى الأرض وحدثنا الرسول ﷺ عن مقدار ما فتح من السد فَزِعاً من الخوف على أمته من الفتن التى تظهر مع هذه الأمة.

ومن أجمع الأحاديث لذلك ما أخرجه مسلم من حديث النواس ابن سمعان، ففيه بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى، قال: «... **ثُمَّ يَأْتِى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللَّهُ مِنْهُ. فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحدثُهم بِدَرَجَاتِهِم فِى الْجنَّةِ، فَبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِى قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِّى لاَيَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ** ٥ **عِبَادِى إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهم عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فيها، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِن مَائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الله، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيهِمُ النَغَفَ فِى رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِىُّ اللَّه عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِى الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهم، فَيَرْغَبُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرسِلُ اللَّهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنهُ بَيتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ، فَيَغسِلُ**

(١) المسند الصحيح رقم (٥٠٠) ط: دار ابن حزم

الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ. . . »[(١)].

وزاد فى رواية له بعد قوله: **«لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ: ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ ـ وهو جبل بيت المقدس ـ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِى الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِى السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَماً»** رواه مسلم[(٢)].

وما يذكره المفسرون من صفات ليأجوج ومأجوج أنهم ثلاثة أصناف: صنف طوال كشجر الأرز، وصنف أربعة أذرع فى أربعة أذرع، وصنف شبر فى شبر، وأطولهم ثلاثة أشبار، ولكل واحد منهم أذنان كبيرتان يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، وأن لهم مخالب فى موضع الأظفار من أيدينا، وأضراساً وأنياباً كأضراس السباع وأنيابها، وما حكاه النووى عن العلماء وأقره أن أصلهم أن آدم ـ عليه السلام ـ احتلم فاختلط منيه بالتراب فتولد منه ولد، ياجوج ومأجوج من نسله، كلها حكايات إسرائيلية لم ترد عن النبى ﷺ فضلا عن أن تصح عنه، وآخرها يكذبه النقل، لما ثبت أنهم من نسل نوح، وهو ابن حواء، وكلها يحيلها العقل، والمسلمون فى غنى عنها فلا ينبغى الإصغاء إليها.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) كتاب الفتن، وقوله: «لا يدان لأحد بقتالهم» يدان تثنية يد: أى لا قدرة ولا طاقة، يقال: مالى بهذا الأمر يدان، كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. «فحرز عبادى إلى الطور» أى ضمهم واجعله لهم حرزاً «من كل حدب ينسلون» من كل موضع مرتفع. يمشون مسرعين «النغف» دود يكون فى أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة «فرسى» قتلى، واحدهم فريس كقتيل وقتلى «زهمهم» دسمهم «البخت» إبل خراسانية طويلة الأعناق «لا يكن منه» لا يمنع نزول مائة «مدر» هو الطين الصلب «كالزلفة» المرآة. أهـ من شرح النووى.

(٢) تقدم تخريجه وقوله: «جبل الخمر» الخمر: هو الشجر الملتف الذى يستر من فيه «بنشابهم» أى سهامهم واحده نشابة.

وعن زينب بنت جحش، رضى الله عنها، أن النبى ﷺ دخل عليها فَزِعاً يقول: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» **وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ والَّتِى تَلِيهَا، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ:** «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**» متفق عليه[1].

وعن أبى هريرة ـ فى السد ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ يَأْجُوجَ ومأجوج يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْم، حَتَّى إِذَا كَادُا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قال الَّذِى عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا سَنَحْفِرُهُ غداً، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَن يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، واسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ. . .**» رواه ابن ماجه ـ واللفظ له ـ والترمذى وحسنه[2] والحاكم وابن حبان وصححاه. قال الحافظ: أخرجه الترمذى والحاكم من رواية أبى عوانة، وابن حبان من رواية سليمان التيمى، وابن ماجه من طريق سعيد بن أبى عروبة كلهم عن قتادة، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن قتادة مدلس، لكن وقع التصريح عند ابن حبان وابن ماجه عن قتادة بأن أبا رافع حدثه عن أبى هريرة. فتح البارى ١١٦/١٣.

قلت: وقد صرح قتادة أيضاً بتحديث أبى رافع له عند أحمد فى

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣١٦٨) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (٢٨٨٠) كتاب الفتن. وقوله: «ردم» الردم: هو السد الذى بناه ذو القرنين. المذكور فى القرآن بهذا اللفظ.

(٢) سنن ابن ماجه رقم (٤١٣١) أبواب الفتن. جامع الترمذى رقم (٣١٥٣) كتاب تفسير القرآن. وهو حديث صحيح.

مسنده، وقد اتضح بذلك أنه حديث ثابت برواية الحفاظ، وغاية ما فيه خشية تدليس قتادة وقد أُمِن تدليسه لتصريحه بالتحديث، وبذلك يرد على الحافظ ابن كثير الذى قال فى تفسيره: بأن متن هذا الحديث منكر، وشكك فى رفعه قائلاً: إنه ينافى قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [٩٧: سورة الكهف]. وحديث زينب السابق، وقال: لعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه. تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٥.

ونقول: بل تلقاه أبو هريرة عن النبى ﷺ، وليس من الصواب تخطئة الحفاظ العدول، ولا منافاة بينه وبين الآية فلم يستطيعوه أولاً، ثم أقدرهم الله على حفره، كما أنه يندك إذا جاء الوعد الحق، وأما حديث أم المؤمنين زينب فيدل له ويقويه، بل إنه نص فى موضوعه والله أعلم.

قال الحافظ: فكأنها ـ أى زينب ـ فهمت من فتح القدر المذكور من الردم ـ السد ـ أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن فى خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم أهـ.

■ **بداية اليوم الآخر:**

من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر كما هو صريح فى آيات عديدة من القرآن وفى حديث جبريل السابق «وتؤمن باليوم الآخر». والمراد بذلك ما أكدته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من كل كائن فى هذا اليوم مما هو مذكور فى سورة التكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق، والحاقة، والقارعة، وغيرها مما ذكر الله تعالى وبينه رسوله من أحوال هذا اليوم وأهواله.

عن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَن يَنظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ، وَإِذَا**

ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ، وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾» رواه الترمذى وحسنه(١). والإمام أحمد.

■ **الصور**

ويجب الإيمان بالنفخ فى الصور فتعود الأرواح إلى أجسادها فتبعث من القبور، وقد ذكر الله تعالى النفخ فى الصور فى أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم، وقد تظاهرت الأحاديث على أن الصور قرن وأن الله وكل به إسرافيل، وأنه ينتظر متى يأمره الله بالنفخ فينفخ فيه، فتعاد روح كل مخلوق إلى جسده. قال الحافظ: صاحب الصور إسرافيل، نقل الحليمى فيه الإجماع.

عن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما، قال: قال أعرابى. يا رسول الله مَا الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**» رواه أبو داود والنسائى، والترمذي(٢) وحسنه، وصححه ابن حبان والحاكم.

عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخَ...**» رواه الترمذى(٣) وقال: حديث حسن. ورواه الإمام أحمد.

وقال البخارى: ـ فى الصحيح ـ «باب: نَفْخِ الصُّورِ. قال مجاهد: الصور كهيئة البوق، وقال ابن عباس: (الناقور) الصور، (الراجفة): النفخة الأولى، و(الرادفة): النفخة الثانية». وصله بالسند إلى ابن عباس: الطبرى، وابن أبى حاتم.

وصريح الكتاب والسنة أن النفخ فى الصور نفختان. النفخة الأولى

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣٣٣٣) كتاب تفسير القرآن.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٧٤٢) كتاب السنة. النسائى رقم (٣٣٢) كتاب التفسير. جامع الترمذى رقم (٢٤٣٠) كتاب صفة يوم القيامة.

(٣) جامع الترمذى رقم (٣٢٤٣) كتاب تفسير القرآن.

لفناء الأحياء، والثانية لبعثهم من القبور.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [٦٨: سورة الزمر].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [٨٧: سورة النمل].

وثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو، أنهما نفختان، ولفظه ـ فى أثناء حديث ـ «. . . **ثُم يُنفَخُ فِى الصور، فَلاَ يَسْمَعُه أَحَدٌ، إلا أَصْغَىٰ لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً، قال وَأَوَّلُ مَن يسمعُه رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبلِهِ، قال فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ الناس، ثم يُرْسِلُ الله أو قال يُنزِلُ اللَّه مَطراً كَأنه الطَّلُّ أَو الظِّلُّ، فَتَنبُتُ منه أَجْسَادُ النَّاسِ، ثم يُنفَخ فِيه أُخرَىٰ فَإِذَا هُم قِيامٌ يَنظُرُونَ**. . .»[١].

عن أبى صالح، سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال: «**بَينَ النَّفْخَتَينِ أَرْبَعُونَ**» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون سنةً؟ قال أَبَيْتُ، قال: أربعون شهراً؟ قال: أَبَيْتُ «**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**» متفق عليه[٢].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٤٠) كتاب الفتن، وقوله: «أصغى ليتاً ورفع ليتا» أصغى أمال. والليت صفحة العنق. «يلوط حوض إبله» أى يطينه ويصلحه، «صعق» مات. و«الطل» هو الرذاذ أى اللين من المطر.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٥٣٦) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (٢٩٥٥) كتاب الفتن. قوله: «أبيت» امتنعت من تحديد الأربعين، فليس عندى علم بذلك «عجب» بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذى فى أسفل صلب الإنسان، ويقال «عجم» بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمى، وهو الذى يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. وعموم هذا الحديث خصص منه من لا تأكل الأرض أجسادهم كالأنبياء.

وقال بعض العلماء: النفخ فى الصور يقع ثلاث مرات: نفخة الفزع كما فى سورة النمل، ونفخة الصعق والثالثة نفخة البعث وهما فى سورة الزمر، ومستندهم فى ذلك حديث الصور الطويل فإن فيه «. . . **ثم ينفخ فى الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. . .**» وهذا الحديث ضعيف جداً، لا تقوم به حجة باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد رواه الطبرى، وعبد بن حميد، والطبرانى فى المطولات، والبيهقى فى البعث والنشور، من حديث أبى هريرة ومداره على إسماعيل بن رافع قال بعضهم: إنه متروك انظر تفسير ابن كثير لسورة الأنعام آية (٧٣) فقد ساقه بطوله وتكلم عليه. والصحيح أن نفخة الفزع هى نفخة الصعق، أى فزعوا فزعاً ماتوا منه.

وبعد النفخة الآخرة يعود كل إنسان حياً بروحه وجسده، ثم يخرجون من قبورهم مسرعين كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [٥١ ـ ٥٣: سورة يس]. الأجداث جمع جَدَث وهى القبور، ينسلون يسرعون المشى: كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [٤٣: سورة المعارج].

■ **الحشر**: ويجب الإيمان بأن الناس يحشرون من قبورهم فيساقون ويجمعون يوم القيامة إلى مكان يقضى الله فيه بينهم وهو الموقف.

والحشر فى لغة العرب: الجمع والحشد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [١٧: سورة النمل].

وحيث أطلق الحشر فإنما يراد به فى عرف الشرع حشر الناس من قبورهم حفاة عراة مشاة للحساب، وقد ورد بهذا المعنى فى ثلاث وثلاثين

موضعاً من القرآن الكريم، ودلت النصوص على أن من الحشر ما هو فى الدنيا وهو من أشراط الساعة.

قال القرطبى: الحشر الجمع، وهو أربعة أنواع: حشران فى الدنيا، وحشران فى الآخرة، فالذى فى الدنيا: أحدهما المذكور فى سورة الحشر. والثانى الحشر المذكور فى أشراط الساعة الذى أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رفعه: «... **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ... وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**». وفى لفظ له «**ونَارٌ تَخرُجُ من قَعْرِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**».

قلت: قد تقدم الحديث فى أول أشراط الساعة وأصرح منه حديث أنس فى مسائل عبد الله بن سلام لما أسلم، وكان أول جوابه ﷺ له: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَاسَ مِنَ المشرِقِ إِلَى المغرِبِ...**» رواه البخارى[(١)]. وقد ورد فى عدة أحاديث وقوع الحشر فى الدنيا إلى جهة الشام.

عن معاوية بن حيدة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم مَحشُورُون - وَنَحا بِيَدِهِ نَحوَ الشَّام - رِجَالاً ورُكبَاناً، وتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائى[(٢)] وسنده حسن.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: **ستَخرُج نَارٌ مِن حَضرَمَوْتَ أَوْ مِن نَحوِ حضرموت قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُر النَّاسَ» قالوا يا رسول الله، فما**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣١٥١) كتاب الأنبياء.

(٢) جامع الترمذى رقم (٢٤٢٤) كتاب صفة القيامة. تفسير النسائى رقم (٤٥١) سورة يس.

تأمُرُنا؟ قال: «عَلَيكُم بِالشَّامِ» رواه الترمذى[١]، وقال: حديث حسن غريب صحيح. ورواه الإمام أحمد فى المسند.

ومن الحشر الذى يكون قبل قيام الساعة - على القول الصحيح - حشر للناس أحياء إلى الشام على طرق متفاوتة، كما ثبت:

عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «**يُحْشَرُ الناسُ على ثَلاثِ طَرَائِقَ: راغِبِينَ راهبين، واثْنَانِ على بَعِيرٍ، وثَلاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَربعةٌ عَلى بَعيرٍ، وعشَرَةٌ على بَعِيرٍ، وَتحشُرُ بَقِيَّتَهُم النَّارُ، تَبِيتُ مَعَهم حَيثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُم حيث قَالُوا، وَتُصْبِحُ معهم حَيثُ أَصْبَحُوا، وتُمْسِي مَعهم حيث أَمْسَوْا**» متفق عليه[٢].

هذه هى النار المذكورة فى حديث حذيفة بن أسيد السابق، وجزم الخطابى والقاضى عياض، وغيرهما بأن هذا الحديث وارد فى الحشر فى الدنيا واستدلوا لذلك بآخر الحديث «تقيل معهم، وتبيت، وتصبح» فإن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا.

والحشر الثالث - فى كلام القرطبى - حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف، والرابع حشرهم إلى الجنة أو النار أهـ.

وتعقبه الحافظ: بأن الأول لا يعد حشراً. فالمراد حشر كل موجود يومئذ، أما هجرة طائفة مخصوصة فلا.

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٢١٧) كتاب الفتن. ورواية أحمد «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت...».

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨٦١) كتاب الجنة. صحيح البخارى رقم (٦١٥٧) كتاب الرقاق. قوله «ثلاث طرائق» أى ثلاث فرق، ومنه قوله تعالى عن الجن: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ و«راغبين راهبين» الفريق الأول. واثنان على بعير - وعشرة على بعير» الفريق الثاني. «وتحشر بقيتهم النار» الفريق الثالث.

ومن الحشر إلى الموقف قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [٤٧: سورة الكهف].

وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [٣٨: سورة الأنعام].

والناس يحشرون عراة، ولكل من أعضاء ابن آدم ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شىء فى الدنيا يرد إليه حتى القلفة.

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ مُلاَقُوا اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلاً**» متفق عليه[1].

ودلت النصوص على أن المقربين يحشرون ركباناً، ومن دونهم من المسلمين يحشرون على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [٨٥ ـ ٨٦: سورة مريم].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٣٤: سورة الفرقان].

وعن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك، أن رجلاً قال: يا نبى الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أَلَيسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِى الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَن يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قال قتادة:

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١٥٩) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٨٦٠) كتاب الجنة. وقوله «حفاة» بضم الأول وتخفيف الثانى جمع حاف، أى بلا خف ولا نعل، «عراة» بلا ثياب تستر أجسادكم. «مشاة» على الأقدام. «غرلا» بضم المعجمة وسكون الراء، جمع أغرل وهو الأقلف من بقيت غرلته، وهى الجلدة التى يقطعها الخاتن من الذكر.

بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا. متفق عليه[1].

ورواه البزار عن أبى هريرة بلفظ «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنفٌ عَلَى الدَّوَابِّ، وَصِنْفٌ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ، فَقِيلَ: فَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟** . . .» الحديث.

▫ **الموقف**: ومما يجب الإيمان به أن الله يجمع عباده يوم القيامة فى صعيد واحد يقومون فيه قياماً طويلاً، تتخلله أهوال عظيمة حتى يأتى الوقت الذى قدر الله سبحانه أن يأتى فيه لفصل القضاء بين خلقه.

عن أبى هريرة، رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى ويُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ ـ فذكر حديث الشفاعة ـ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ** . . .» متفق عليه[2].

وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِى الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**» متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٤٨٢) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (٢٨٠٦) كتاب صفات المنافقين. «الكافر» اسم جنس يشمل جميع الكفار. وقوله: «أليس الذى أمشاه الخ» ظاهر فى أن هذا المشى على الحقيقة، والحكمة فى حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله فى الدنيا بأن يسحب على وجهه يوم القيامة إظهاراً لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله فى التوقى عن المؤذيات.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣١٨٢) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (١٩٤) كتاب الإيمان. «ينفذهم البصر» يحيط بهم بصر الناظر.

(٣) صحيح البخارى رقم (٦١٦٧) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٨٦٣) كتاب الجنة. ورواية مسلم «سبعين باعاً» بدل «ذراعاً» و«الذراع» من الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.. و«الباع» مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً.

وهذا الحديث ظاهره العموم وقد خصصه ما ورد فى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، قال: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِى الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُم مَن يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً» قال: وأشار رسولُ الله ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ**(١).

قال ابن أبى جمرة: ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم فى العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم. وإن هذا لَمِمَّا يبهر العقول، ويدل على عظيم القدرة، ويقتضى الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب أهـ. بواسطة فتح البارى ١١/ ٤٠٢.

▫ العرض والحساب:

ويجب الإيمان بعرض الأعمال يوم القيامة والمحاسبة عليها، فيعرض الناس على ربهم عرضات كما ورد:

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ وَأَمَّا الْعَرْضَةُ الثَّالِثَةُ: فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِى الأَيْدِى، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ»**

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨٦٤) كتاب الجنة. قوله «كمقدار ميل» الميل مسافة من الأرض، والميل أيضاً الملمول وهو ما يجعل به الكحل فى العين. وفى متن هذا الحديث إدراج (قال سُليم بن عامر: فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذى تكتحل به العين). «حقويه» تثنية حقو، وهو معقد الإزار.

رواه الترمذى. ورواه ابن ماجه[1] والإمام أحمد ـ فى المسند ـ كلاهما: عن أبى موسى الأشعرى.

قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٨ ـ ٤٩: سورة الكهف]. ويقع العرض على الله بدون واسطة.

عن عدى بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُه. . .**» متفق عليه[2]. زاد البخارى «. . . **ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُم بَيْنَ يَدَى اللَّهِ، لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ، وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلْيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيكَ رَسُولاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمينه فَلاَ يَرَىٰ إِلاَّ النَّارَ، ثُمَّ يَنظُر عَن شِمَالِهِ فَلاَ يَرَىٰ إِلاَّ النَّارَ. . .**»[2].

ويراد بالحساب عرض الأعمال والتوبيخ عليها، ويراد به موازنة الحسنات بالسيئات، والكفار يحاسبون بالاعتبار الأول، وكيفية حساب المؤمنين بالاعتبار الثانى، فمن زادت حسناته على سيئاته تجاوز الله عنه

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٤٢٥) كتاب صفة القيامة. سنن ابن ماجه رقم (٤٣٣١) أبواب الزهد. وهذا الحديث من رواية الحسن البصرى عنهما، قال البوصيرى فى الزوائد: رجاله ثقات إلا أنه منقطع. وقال الترمذى: لا يصح، لأن الحسن لم يسمع من أبى هريرة ولا من أبى موسى.

(٢) صحيح البخارى رقم (٧٠٠٥) كتاب التوحيد، ورقم (١٣٤٧) كتاب الزكاة. صحيح مسلم رقم (١٠١٦) كتاب الزكاة. «ترجمان» بفتح التاء وضمها هو المعبر عن لسان بلسانٍ آخر.

فلم يناقشه الحساب ويأخذ كتابه بيمينه ويدخل الجنة.

وأما من كثرت ذنوبه وزادت، فذلك الذى يناقش الحساب ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ويعذب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [٧ ـ ١٢: سورة الانشقاق].

عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلاَّ هَلَكَ**»، فقلت: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّما ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلاَّ عُذِّبَ**» متفق عليه(١). ولمسلم «**لَيسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ...**»(١) ومعناه، أن الحساب المذكور فى الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منّةَ الله عليه فى ستره عليه فى الدنيا، وعفوه عنه فى الآخرة، كما فى حديث ابن عمر فى النجوى.

قال رجل لابن عمر: كيف سمعتَ رسول الله ﷺ فى النجوى؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُدْنِى الْمُؤْمِنَ، فَيَضعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قال: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١٧٢) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

الظَّالِمِينَ» متفق عليه[1].

ويأخذ العباد صحائف أعمالهم ويقرؤونها، وهى تحوى ما عمله كل واحد فى حياته من خير وشر، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٣ ـ ١٤: سورة الإسراء].

ويكون فى هذا الحساب شهادة من يستشهدهم الله على عباده، فتشهد الأرض بما عمل على ظهرها، وتشهد الألسنة، والأيدى والأرجل، والجلود.

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [١ ـ ٤: سورة الزلزلة].

عن أبى هريرة، قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: **«أَتدْرُونَ ما أَخْبارُهَا؟» قَالُوا: الله ورسوله أعلمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»** رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائى[2].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٤: سورة النور].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٣٠٩) كتاب المظالم. صحيح مسلم رقم (٢٧٦٨) كتاب التوبة. «النجوى» المكالمة سراً.

(٢) جامع الترمذى رقم (٣٣٥٣) كتاب تفسير القرآن. تفسير النسائى رقم (٧١٣) سورة الزلزلة.

أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢٠ ـ ٢١: سورة فصلت].

عن أنس بن مالك، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ يَقُولُ: بَلَىٰ، فَيَقُولُ: فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِى إِلاَّ شَاهِداً مِنِّى، فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُوداً، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انطِقِى، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، فَيَقُولُ: بُعْداً لَّكُنَّ وَسُحْقاً، فَعَنكُنَّ كُنتُ أُنَاضِلُ**» رواه مسلم(١).

ويستثنى من الحساب قومٌ يدخلون الجنة من غير حساب.

عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ... فَإِذَا سَوادٌ كَثِيرٌ قَالَ جِبْرِيلُ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ. وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، قُلتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ**» **فقام عكاشة بن مِحْصَنٍ فقال: ادعُ الله أن يجعلنى منهم...**» متفق عليه(٢).

وهذا الحديث العظيم اختصرته وله فوائد جديرة بأن ينبه عليها.

منها: ما ثبت فى بعض طرقه أن مع كل ألف منهم سبعين ألفاً.

روى الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه، والطبرانى عن أبى

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٩٦٩) كتاب الزهد والرقاق. وقوله فى الحديث: «أركانه» أى جوارحه. «أناضل» أدافع وأجادل.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦١٧٥) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

أمامة مرفوعاً «**وَعَدَنِى رَبِّى أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعَينَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**»(١).

ومن فوائده: ما أخرجه الطبرانى وابن شبّة فى «أخبار المدينة» عن أم قيس بنت محصن - أخت عكاشة - أنها خرجت مع النبى ﷺ إلى البقيع قال: «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً بغير حساب كأن وجوههم القمر ليلة البدر» فإن صح فالسبعون ألفاً من أهل البقيع، ذكره فى فتح البارى.

ومنها أيضاً ما قاله الحافظ: اتفق معظم الرواة على ذكر هذه الأربع «**لاَ يَكْتَوُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». وفى رواية سعيد بن منصور عند مسلم «. . . **لا يرقون**» بدل «**ولا يكتوون**» وأنكرها الشيخ تقى الدين ابن تيمية وزعم أنها غلط من راويها، واعتل بأن الراقى يحسن إلى الذى يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك؟ وقد رقى النبى ﷺ أصحابه وأذن لهم فى الرقى، وأما المسترقى فإنه يسأل غيره ويرجو نفعه، وتمام التوكل ينافى ذلك قال: وإنما المراد وصف السبعين بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم ولا يتطيرون من شىء. قال الحافظ: وأجاب غيره بأن الزيادة من الثقة مقبولة، وسعيد بن منصور حافظ اعتمده البخارى ومسلم، وبأن تغليط الراوى مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه، والمعنى الذى حمله على التغليط موجود فى المسترقى، فكذا يقال: والذى يرقيه غيره ينبغى أن لا يمكنه من ذلك لأجل تمام التوكل. أهـ ملخصاً. فتح البارى ١١/٤١٦ - ٤١٧.

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة.

◘ الميزان:

الإيمان بالميزان مما أجمع عليه أهل السنة، فيجب الإيمان بأنه ميزان حقيقى توزن به يوم القيامة أعمال العباد الحسنة والسيئة، إظهاراً لكمال عدل الله عزَّ وجلّ، ودليلاً على إحاطة علمه بكل شيء.

والإيمان بالميزان نص حديث جبريل، فقد سبق أنه فى بعض رواياته الثابتة فى جواب سؤال الإيمان قال: «. . . **وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ**» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نعم».

ودل على ثبوت الميزان الكتاب والسنة والإجماع، وأنكره المعتزلة وقالوا: الميزان عبارة عن العدل والقسط فخالفوا النصوص، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [٨ ـ ٩: سورة الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا . . .﴾ [٤٧: سورة الأنبياء].

عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللسانِ، ثَقِيلَتَانِ فِى الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحمن: سبحانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سبحانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**» متفق عليه[1].

والميزان ـ كما عليه أكثر العلماء ـ: له لسان وكفتان تثقل إحداهما فتخف الأخرى، فمن ثقلت كفة حسناته سعد ونجا، ومن خفت خاب وخسر، والصحيح أنه ميزان واحد، وإنما ورد بلفظ الجمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة، ومع أنه لم يصح عن النبى ﷺ شيء فى صفة الميزان

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٠٤٣) كتاب الدعوات. صحيح مسلم رقم (٢٦٩٤) كتاب الذكر.

فقد نقل الحافظ فى فتح البارى عن الزجاج قوله: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال أهـ١٣/ ٥٤٨.

وفى هذا يقول ابن القيم من قصيدته المشهورة فى التوحيد:

أفما تصدق أن أعمال العباد ... تحط يوم العرض فى الميزان
وكذاك تثقل تارة وتخف أخرى ... ذاك فى القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتاه تقيمه ... والكفتان إليه ناظرتان
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو الـ ... ـمحسوس حقاً عند ذى الإيمان أهـ

واختلف أهل السنة فى الذى يوضع للوزن فى الميزان يوم القيامة باعتبار أدلة ثابتة على ثلاثة أقوال:

الأول أن الموزون هو الأعمال ـ وعليه الأكثر ـ وأن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً فتصير أعمال المطيعين فى صورة حسنة، وأعمال المسيئين فى صورة قبيحة، واستدلوا بما ورد فى الحديث «. . . **اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوم القيامة كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. . . تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا. . .**» رواه مسلم[1] وبما جاء فى حديث البراء فى قصة سؤال القبر مرفوعاً. . . فيأتى المؤمن شابٌ حسن اللون طيب الريح فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. . . وذكر عكسه فى شأن «الكافر والمنافق» رواه الإمام أحمد.

وكون الأعمال هى التى توزن هو الصحيح لما رواه الترمذى وصححه، وأبو داود، وابن حبان.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين. من حديث أبى أمامة الباهلى قال النووى: قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتى كغمامتين يوم القيامة.

عن أبى الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا شَىْءٌ أَثْقَلُ فِى مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ. . .**»[١].

الثانى: أن الموزون صحف الأعمال التى كتبت فيها، واستدل أهل هذا القول بحديث البطاقة المشهور.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُم يقولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الْحَافِظُونَ؟ فَيَقولُ: لاَ يا رب، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يا رب، فيقولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِندَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليوم، فَتَخْرُجِ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَن لا إله إلا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضَرْ وَزْنَكَ، فَيقُولُ: يا رب مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجلاَّتِ، فقالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ فِى كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِى كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَىْءٌ**» رواه الترمذى وحسنه، وابن ماجه[٢]، والإمام أحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

الثالث: يوزن صاحب العمل نفسه واستدل لهذا القول بما يأتى.

عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِى الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِندَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ نُقِيمُ**

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٠٠٢) و(٢٠٠٣) كتاب البر والصلة. سنن أبى داود رقم (٤٧٩٩) كتاب الأدب.

(٢) جامع الترمذى رقم (٢٦٣٩) كتاب الإيمان. سنن ابن ماجه رقم (٤٣٥٥) أبواب الزهد. وأوله «يصاح برجل من أمتى. . .» «السجل» بالكسر والتشديد هو الكتاب الكبير. «بطاقة» البطاقة: رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده، وإن كان متاعاً فثمنه. «النهاية» فى غريب الحديث.

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً» متفق عليه[1].

وبما رواه الإمام أحمد وابن عبد البر - فى مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - عن على رضى الله عنه، قال: أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشىء منها، فنظر أصحابه إلى ساقيه فَضَحِكُوا، فقال النبى ﷺ: **«مَا يُضْحِكُكُمْ؟ لَرِجْلاَ عَبْدِ الله، أو لَرَجُلاَ عِنْدَ اللَّهِ، فِى الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ»** قال الحافظ: سنده حسن. وهذا لفظ ابن عبد البر فى «الاستيعاب» وأَوْفيه على الشك. والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير: - فى تفسيره - ويمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة يوزن محالها، وتارة يوزن فاعلها أهـ.

◘ الجنة والنار:

الإيمان بالجنة والنار عقيدة لا بد للمسلم منها، وهو: منطوق حديث جبريل ففى جواب السؤال عن الإيمان قال: «. . . **وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ**. . .» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نعم» وقد سبق ذكر هذه الرواية.

فيجب على العبد الإيمان بهما: بأنهما موجودتان مخلوقتان، خلقهما الله وأعدهما للجزاء، أعد الجنة بفضله لجزاء أوليائه، وأعد النار بعدله لجزاء أعدائه، كما يجب الإيمان بأنهما باقيتان لا تفنيان.

وأنكر بعض المعتزلة وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة. والقرآن

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٤٥٢) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (٢٧٨٥) كتاب صفات المنافقين.

الكريم والسنة الثابتة مملوءان بذكر الجنة والنار وتفصيل أحوالهما، وثبتت السنة برؤية النبى ﷺ لهما واطلاعه على بعض أحوال أهل كل منهما.

قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ . . .﴾ [٢١: سورة الحديد]. وصف سبحانه عرضها وأخبر أنها معدة مهيئة، والعرض لا يكون إلا لمخلوق، والمعدة مخلوقة موجودة، والمعدوم ليس كذلك.

وقال تعالى عن النار ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [٢٤: سورة البقرة]. وهذه صفة المخلوق أيضاً فالنار معدة مهيئة.

ومن أصرح دليل على خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان ما رواه أصحاب السنن.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أحدٌ، قال: فلما خلق الله النار قال: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانظر إِلَيها، فذهب فَنَظر إِليها ثم جَاءَ فقال: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّها بِالشَّهَوَاتِ ثُم قال: يا جبريل اذهب فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أىْ ربِّ وَعِزَّتِكَ لقد خشيتُ أن لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا**» رواه أبو داود والترمذى والنسائى(١).

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٧٤٤) كتاب السنة. جامع الترمذى رقم (٢٥٦٠) كتاب صفة الجنة. سنن النسائى رقم (٣٧٦٣) كتاب الأيمان والنذور.

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**تَحَاجَّتَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فقالت النارُ: أُوثِرْتُ بِالمتَكَبِّرِينَ والْمُتَجَبِّرِينَ، وقالت الجنةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إلاَّ ضُعَفَاءُ** الناس وسَقَطهم، **قال الله تعالى: لِلْجَنَّةِ أَنتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَن أَشَاءُ من عِبَادِي، وقال للنار إِنَّمَا أَنتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ولِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنهُمَا مِلْؤُهَا. . .**» متفق عليه[1]. ولمسلم «**مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**».

ومن فضله ورحمته أن الجنة يدخلها أقوام لم يعملوا عملاً، إذ لا يزال فيها فضل حتى ينشىء الله خلقاً فيسكنهم فضلها، ومن عدله سبحانه أن النار لا يدخلها أحد إلا بعمل، ومن ثم فلا يدخلها إلا أهل الدنيا.

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَزَالُ يُلْقَى في النار وتَقُولُ: هَلْ مِن مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، ثم تَقُولُ: قَدْ قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، ولا تزال الْجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتىٰ يُنْشِىءَ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً فَيُسْكِنهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ**» متفق عليه[2].

وذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما.

قال ابن تيمية: ـ رحمه الله ـ اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة: على أن من المخلوقات من لا يعدم ولا يفنى كالجنة

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٥٦٩) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (٢٨٤٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) صحيح البخاري رقم (٦٩٤٩) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٢٨٤٨) كتاب الجنة. وكل روايات مسلم فتقول: «قط، قط» بالطاء، وكذا البخاري إلا في هذا الموضع فبالدال وكلاهما معناه: حسبي حسبي أي يكفيني هذا، وفي الأول ثلاث لغات: إسكان الطاء فيهما، وبكسرها منونة، وغير منونة. وفي الثاني: إسكان الدال وكسرها.

والنار، والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة، وهو قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها. مجموع الفتاوى ١٨/٣٠٧.

ومن عقائد أهل السنة الإيمان بما تواترت النصوص به من تنعم أهل الجنة بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك من ملاذها، تنعماً دائماً مؤبداً.

وطهارتهم من البول والغائط والحيض، ونحو ذلك، وأبدية حياتهم وبقاء شبابهم وغير ذلك مما ثبت بنصوص الوحى.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّىٍّ فِى السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِى السَّمَاءِ**» متفق عليه(١).

وفى لفظ لهما عنه: «. . . **وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ**» زاد مسلم «**وَمَا فِى الْجَنَّةِ أَعْزَبُ**»(١).

وعن جابر، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةَ يَأْكُلُونَ فِيهَا**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣١٤٩) كتاب الأنبياء. ورقم (٣٠٧٣) كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم رقم (٢٨٣٤) كتاب الجنة. وقوله «الألوة» فسر فى متن البخارى بـ«الألنجوج: عود الطيب» الأول تفسير «الألوة» والعود تفسير التفسير. و«خلق رجل» بفتح الخاء عند البخاري. وقال مسلم: قال ابن أبى شيبة «على خلق» وقال أبو كريب على خلق: الأول بضم الخاء واللام، والثانى بفتح الخاء وإسكان اللام: يرجح الأول: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض» ويرجح الثانى «على صورة أبيهم آدم».

وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ».

قالوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قال: «**جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**» رواه مسلم[(١)].

عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ . . .﴾**» الآية، متفق عليه[(٢)].

وقال تعالى عن أهل الجنة ﴿. . . وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [٢٥: سورة البقرة].

ومن صفات الجنة والنار: أن الجنة درجات والنار دركات، والجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب أطباق.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «. . . **إِنَّ فِى الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. . .**» رواه البخارى[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨٣٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها. قوله: «جشاء» هو تنفس المعدة من الامتلاء.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨٤٩) كتاب الجنة. صحيح البخارى رقم (٤٤٥٣) كتاب التفسير. وقوله: «يشرئبون» أى يمدون أعناقهم لينظروا. و«خلود» الخلود الاستمرار وعدم الفناء.

(٣) صحيح البخارى رقم (٢٦٣٧) كتاب الجهاد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ . . .﴾ [١٤٥ : سورة النساء].

عن سهل بن سعد رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**فِى الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوابٍ، فِيها بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لاَ يَدخُلُه إلاَّ الصَّائِمُونَ**» رواه البخارى[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [٤٢ ـ ٤٤ : سورة الحجر].

وفسر المفسرون أبواب النار بالأطباق، رواه الطبرى عن على رضى الله عنه وغيره. وروى الطبرى أيضاً عن ابن جريج «**لها سبعة أبواب**» أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

◘ الصراط وورود الناس عليه:

ويجب الإيمان بالصراط، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم يوم القيامة لعبور الناس عليه، ودلت أحاديث على أن المرور على الصراط خاص بمن كان يعبد الله من بر وفاجر، أما من كان يعبد غير الله فإنهم يتساقطون فى النار، أما المؤمنون فصرحت الأحاديث بأنهم يمرون على الصراط متفاوتون بحسب أعمالهم كالبرق، وكالطير، وكالريح، ومنهم من ينجو وهو يحبو ومنهم من يسحب سحباً، ومنهم من يكب وجهه فى النار أعاذنا الله منها.

والمرور على الصراط مذكور فى قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٠٨٤) كتاب بدء الخلق.

عن أم مبشر[١] رضى الله عنها، أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ، إِن شَاءَ اللَّهُ، مِن أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» قَالَتْ: بَلى يَا رسول الله، فانْتَهَرَهَا، فقالت حفصة رضى الله عنها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا . . .﴾ فقال النبيُّ ﷺ «**قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [٧١ ـ ٧٢: سورة مريم] رواه مسلم[٢].

فبين ﷺ أن ورود النار المحتم فى القرآن لا يستلزم دخولها.

وورد فى ذكر الصراط وصفته وكيفية مرور الناس عليه أحاديث ثابتة منها ما فى الصحيحين ومنها ما فى غيرهما.

عن أبى هريرة، أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ . . . وفيه «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. . .**» متفق عليه[٣].

وفى حديث أبى سعيد الخدرى الطويل «. . . **ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ» قلنا: يا رسول الله، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَةٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السعْدَان، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى**

---

(١) هى الأنصارية امرأة زيد بن حارثة ويقال لها: أم بشر ـ بنت البراء بن معرور، وكانت من كبار الصحابة. «الاستيعاب» و«الإصابة».

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٤٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح البخارى رقم (٧٠٠٠) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (١٨٢) كتاب الإيمان.

يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً. . .» متفق عليه[1].

قال الحافظ: قال ابن أبى جمرة: يؤخذ من هذا الحديث أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدوش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله: «بقدر أعمالهم» أهـ.

قلت: فى حديث أبى هريرة السابق المتفق عليه فى وصف كلاليب جهنم، «. . . **تَخْطفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ**. . .» قال النووى: يجوز أن يكون معناه تخطفهم على قدر أعمالهم.

◘ رؤية الله تعالى:

أجمع أهل السنة على الإيمان برؤية الله تعالى بالأبصار فى عرصات يوم القيامة وفى الجنة للمؤمنين، وأجمعوا على وجوب اعتقاد ذلك، وكفر جمهورهم من جحد هذه العقيدة، فقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة المتواترة التى رواها عن النبى ﷺ نحوًا من عشرين صحابياً وأجمع عليها الصحابة ومن بعدهم إلى أن ظهرت الخوارج والجهمية والمعتزلة. فذهب هؤلاء إلى أن البارى تعالى لا يراه أحد من خلقه، وزعموا أن رؤيته مستحيلة عقلاً وشرعاً، ومذهبهم باطل، واعتراضاتهم وشبهاتهم مردودة بأجوبة مشهورة مبسوطة فى كتب أهل السنة.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٧٠٠١) كتاب التوحيد، صحيح مسلم رقم (١٨٣) كتاب الإيمان. وقوله فى الحديث: «مد حضة مزلة» المدحضة والمزلة بمعنى واحد: الموضع الذى تزل فيه الأقدام، و«خطاطيف وكلاليب» الخطاطيف جمع خطاف، و«الكلاليب» جمع كلوب، حديدة معطوفة الرأس، وهما بمعنى واحد. و«الحسكة» شوكة صلبة، و«مفلطحة» عريضة. و«عقيفة» منعطفة معوجة. «مخدوش» مخموش ممزق «مكدوس» مصروع أو مدفوع.

أما أهل السنة فحكموا الكتاب والسنة وآمنوا بما فيهما، وقالوا نؤمن برؤية ربنا سبحانه يوم القيامة وفى الجنة وإمكانها فى الدنيا وإن كانت لم تقع، لأدلة آتية، ودلتهم الأدلة على أن رؤيته تعالى هى أعلى مراتب نعيم أهل الجنة، ووجدوا العقل لا يحيل شيئاً من ذلك، ومن أدلتهم: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٢ ـ ٢٣: سورة القيامة]. فقد فسرها قاطبة المفسرين برؤيتها لربها عياناً، كما ثبت ذلك فى الحديث.

عن جرير بن عبد الله، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَاناً**» رواه البخارى[(١)].

وأبطل أهل السنة تأويل المعتزلة للآية بأن «إلى» واحد الالاء. و«ناظرة» أى تنتظر الثواب، بأن العرب لا تعرف فى لغتها النظر المقرون بإلى وذكر الوجه إلا بمعنى الرؤية والعيان.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...﴾ [٢٦: سورة يونس]. الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إليه تعالى. كما رواه ابن جرير وغيره عن جمع من الصحابة والتابعين، بل رواه مرفوعاً إلى النبى ﷺ من طرق، منها ما روى عن أبى بن كعب: أنه سأل النبى ﷺ عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؟ فقال: «**الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، والزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عزَّ وجلّ**» والأحاديث فى إثبات رؤية المؤمنين لربهم وتفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم كثيرة.

عن صهيب رضى الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ،**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٩٩٨) كتاب التوحيد.

فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» رواه مسلم[١] .

ثم قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، وزاد: «ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ . . .﴾[١] .

وهذا الحديث هكذا رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن صهيب، قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة. . . الحديث[١] .

وعن جرير بن عبد الله، قال: كُنَّا جُلُوساً عند رسول الله ﷺ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُونَ فِى رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا**» متفق عليه[٢] .

قال الشيخ تقى الدين: الذى عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله فى الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان جاهلاً عرف ذلك فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر. قال: واختلف فى رؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة، فأمسك عن الكلام فيها قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون بعد مضى ثلاثة قرون، واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال أحدها: أن

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٨١) كتاب الإيمان. جامع الترمذى رقم (٣١٠٥) كتاب تفسير القرآن. سنن ابن ماجه رقم (١٧٥) المقدمة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٩٩٧) كتاب التوحيد. صحيح مسلم رقم (٦٣٣) كتاب المساجد. وقوله فى الحديث: «لا تضامون فى رؤيته» يجوز ضم التاء وفتحها، وهو بتشديد الميم من الضم، أى لا ينضم بعضكم إلى بعض، ولا يقول: أرنيه، بل كل ينفرد برؤيته، وروى بتخفيف الميم، من الضيم، وهو الظلم، يعنى لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض، بل تستوون كلكم فى رؤيته تعالى.

الكفار لا يرون ربهم بحال، وهو قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين.

الثانى: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمنى هذه الأمة ومنافقيها وغُبّراتٌ من أهل الكتاب، وذلك فى عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهو قول ابن خزيمة ومن وافقه.

الثالث: أن الكفار يرونه تعالى رؤية تعريف وتعذيب، ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم.أهـ.

قلت: استدل أهل القول الأول بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥: سورة المطففين].

أما رؤيته تعالى فى دار الدنيا فحكى النووى إجماع أهل السنة على أنها ممكنة غير مستحيلة، وأنهم استدلوا بسؤال موسى عليه السلام إياها، إذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع فى حق ربه، قال: ولكن الجمهور على أنها لا تقع فى الدنيا أهـ.

قلت: استدلوا لعدم وقوع الرؤية فى الحياة الدنيا بأدلة من أصرحها وأصحها ما أُثر عن عبد الله بن عمر، قال: قام رسول الله ﷺ فى الناس وقال: « . . . **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَن يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**» رواه مسلم(١). ويوضح ذلك أن سؤال الصحابة عن الرؤية وقع مقيداً بالآخرة فقد قالوا: «**هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. . . ؟**».

واختلف هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء. فثبت عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين. وثبت عن عائشة أنها أنكرت بشدة

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٦٩) كتاب الفتن. وقوله: «تعلموا» بفتح العين واللام المشددة، ومعناه: اعلموا وتحققوا، يقال: تعلم بفتح مشدد بمعنى: اعلم. قاله النووى.

رؤية النبى لربه[1]، فمن العلماء من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. ولم يثبت عنه لفظ صريح بأن الرؤية بالعين.

وعن أبى ذر رضى الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» وفى لفظ: قال: «**رَأَيْتُ نُوراً**» رواه مسلم[2]. وذهب الإمام محمد بن خزيمة إلى وقوع الرؤية بالبصر له ﷺ، وقد بالغ فى الانتصار لذلك، وتأول قول عائشة واستشكل حديث أبى ذر.

وقد حكى الإمام الدارمى: - فى كتاب الرد - إجماع الصحابة على أن النبى ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس، قال ابن تيمية: ليس ذلك بخلاف فى الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعينى رأسه. وليس فى الأدلة ما يقتضى أن النبى ﷺ رأى الله بعينيه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا فى الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أَدَلُّ، كحديث أبى ذر.

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة، واتفاق سلف الأمة، أنه لا يرى الله أحد فى الدنيا بعينه، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصة أهـ مجموع الفتاوى ٦/ ٥٠٩ - ٥١٠.

▫ شفاعة النبى ﷺ:

ومن عقائد أهل السنة الإيمان بما دل عليه الكتاب وتواترت به السنة من شفاعة النبى ﷺ، من ذلك ما فسر به السلف - بل أجمع عليه أهل

---

(١) قد تقدم فى مبحث الإيمان بالملائكة قولها لمسروق: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وهو حديث متفق على صحته.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٧٨) كتاب الإيمان، وقوله: «نور أنى أراه» معناه: كان ثَم نور، وحال دون رؤيته نور فأنى أراه. وقوله: «رأيت نوراً» معناه: رأيت النور فحسب، ولم أر غيره. هكذا قال العلماء المحققون.

العلم بالتأويل من الصحابة والتابعين ومن بعدهم - قوله تعالى: ﴿... عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [٧٩: سورة الإسراء]. بأن المقام المحمود شفاعته ﷺ الأولى فى فصل القضاء وإراحة الناس من هول الموقف، حكى الواحدى، وابن عبد البر الإجماع على ذلك(١) وهذه إحدى شفاعاته وأعظمها وهى المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون. فبعد أن يموج الناس ويتراجع عنها الرسل يكون هو الشفيع وحده ﷺ.

عن أنس بن مالك قال: حدثنا محمد ﷺ قال: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فيقُولُ: لَسْتُ لها، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنه خَلِيلُ الله، فيأْتُون إبراهيم، فيقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولكِنْ عَليكم بمُوسَىٰ، فإِنَّهُ كَلِيمُ الله، فَيُؤْتَىٰ مُوسىٰ فيقول: لَسْتُ لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه رُوحُ الله وكَلِمَتُه، فَيُؤْتَى عيسى، فيقولُ: لَسْتُ لها، ولكن عَلَيْكم بمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتىٰ، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا. فانطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّى فَيُؤْذَنُ لِى فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآن، يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ لِى: يا محمد ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِى أُمَّتِى...»** متفق عليه(٢). من بين أحاديث كثيرة ثابتة قال الحافظ ابن عبد البر: هذا من أحسنها.

---

(١) قال أبو عمر: الذى عليه العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: أن المقام المحمود هو المقام الذى يشفع فيه النبى ﷺ لأمته، وعن مجاهد قول منكر عندهم، وهو: أن يقعده معه يوم القيامة على العرش. وروى عنه مثل قول الجماعة فصار إجماعاً فى تأويل الآية. التمهيد ١٩/ ٦٤.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٩٣) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٧٠٧٢) كتاب التوحيد. قوله: «ماج الناس» اختلطوا واضطربوا. «لا أقدر عليه الآن» هكذا هو فى الأصول من (صحيح مسلم) لا أقدر عليه، أى بتذكير الضمير. وهو صحيح، ويعود الضمير فى «عليه» إلى الحمد. النووي.

وهذه الشفاعة أقرَّبها المعتزلة، وأنكروا هم والخوارج ما عداها من الشفاعات الخاصة بالنبى ﷺ وما كان غير خاص به مما يشاركه فيه الأنبياء والصالحون، كالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها وفيمن دخلها فيخرج منها.

قال القاضى عياض: له ﷺ خمس شفاعات الأولى: شفاعته السابقة، الثانية: شفاعته فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالثة: شفاعته فى إدخال قوم الجنة وقد حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: شفاعته فى إخراج من أدخل النار من عصاة الموحدين فيدخلون الجنة. والخامسة: فى رفع درجات قوم فى الجنة. وزاد شفاعة سادسة: وهى شفاعته ﷺ فى تخفيف العذاب عن بعض الكفار كما ثبت فى الصحيحين من شفاعته فى عمه أبى طالب الذى قال عنه: إنه أخف أهل النار عذاباً.

عن العباس رضى الله عنه، قال: قلت: **يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟** قال: «**نَعَمْ، هُوَ فِى ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(١)] وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمُّه أبو طالب فقال: «**لَعَلَّهُ تَنفَعُهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبيهِ يَغْلِى مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[(١)].

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبِ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**» رواه مسلم[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٠٩) ورقم (٢١٠) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٣٦٧٠) ورقم (٣٦٧٢) كتاب فضائل الصحابة، وقوله فى الحديث: «يحوطك» يحفظك ويذب عنك، وهى حمية جاهلية لم تشفع له فى النجاة من النار لشركه، و«الضحضاح» مارق من الماء على وجه الأرض إلى الكعبين، واستعير فى النار. و«الدرك الأسفل» قعر جهنم.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢١٢) كتاب الإيمان.

زاد القرطبى: أنه أول شافع فى دخول أمته الجنة قبل الناس، ودليلها صريح فى صحيح مسلم، كما أن غيرها من الشفاعات أدلته صريحة ثابتة فى الصحاح فلا نطيل بها، واستدرك الحافظ: شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناته وسيئاته كأصحاب الأعراف، وقال: إن دليلها أخرجه الطبرانى عن ابن عباس، وشفاعة أخرى، وهى شفاعته فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط، ودليلها فى الصحيحين.

ومن أدلة شفاعته كونه ﷺ ادخر دعوته: المحققة الإجابة وآثر بها أمته لتكون شفاعة للموحدين وأهل الكبائر منهم، فهى عامة وخاصة، ثم هو ﷺ نوه بها، وأرشد أمته إلى الأسباب الموصلة إليها.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيَ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لأُمَّتِى فِى الآخِرَةِ**» متفق عليه[1] وفى رواية مسلم «. . . **فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِىٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِىَ نَائِلَةٌ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ مَن مَاتَ مِنْ أُمَّتِى لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً**»[1].

وعنه، رضى الله عنه، قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَن لا يَسْأَلُنِى عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَن قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصاً مِن قِبَلِ نَفْسِهِ**» رواه البخارى[2].

وعن أنس. رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ**

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٩٤٥) كتاب الدعوات. صحيح مسلم رقم (١٩٨) و(١٩٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٢٠١) كتاب الرقاق.

مِنْ أُمَّتِى» رواه أبو داود والترمذى بسند صحيح[١].

عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِى وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. رواه البخارى[٢] وروى مسلم نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وأول من ظهر من فرق المبتدعة المنكرة للشفاعة الخوارج ثم شايعهم المعتزلة وبعض الزيدية وكان الصحابة رضوان الله عليهم ينكرون على الخوارج ذلك، ويحدثون بما سمعوا من النبى ﷺ فى الشفاعة حتى قال أنس: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها، رواه سعيد بن منصور عنه بسند صحيح. وقال: يخرج قوم من النار، ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء يعنى الخوارج. رواه البيهقى عنه. انظر فتح البارى ١١/ ٤٣٤.

واحتج هؤلاء فى إنكار الشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ...﴾ [٤٨] ﴿... وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ...﴾ [١٢٣] ﴿... مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ...﴾ [٢٥٤: سورة البقرة]. وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [١٨: سورة غافر]، وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [٤٨: سورة المدثر].

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٧٣٩) كتاب السنة. جامع الترمذى رقم (٢٤٣٥) كتاب صفة القيامة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٥٨٩) كتاب الأذان. صحيح مسلم رقم (٣٨٤) كتاب الصلاة. و«حلت» أى وجبت، وقيل نالته.

وجواب أهل السنة عن استدلال غيرهم بهذه الآيات ونحوها يتلخص فى أن المراد بهذه النصوص أمران:

أحدهما: المراد بها الكفار فهم الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وهذا أمر لا خلاف فيه، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وآية المدثر سبقها نعت الكفار فى قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [٤٢] إلى قولهم: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [٤٦ ـ ٤٧: سورة المدثر]. فهؤلاء نفى عنهم شفاعة الشافعين لأنهم كفار ماتوا على الكفر.

والثانى: أنه يراد بها نفى الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة الشافع لحاجته إليه كما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة.

فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم، فيستشفعون بها، ويقولون: هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، فيتوسلون بهم كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذنهم، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة.

فأنكر الله تعالى هذه الشفاعة فقال: ﴿... مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾ [٢٥٥: سورة البقرة] وقال تعالى: عن الملائكة ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [٢٦: سورة النجم].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [٢٨: سورة الأنبياء].

وقـــال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٤٣ ـ ٤٤: ســورة الـزمـر]. وقـــال: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٨٦: ســـــورة الزخرف].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة، ينفى فيها سبحانه ما ادعاه المشركون ويخبر أنه لا شفاعة لأحد إلا بعد إذنه للشافع ورضاه، فالشفاعة الشركية وما فى معناها بغير إذن من الله ورضاه: نفاها الله ورسوله وسد النبى ﷺ ذريعتها حتى لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها عبادة لله، وإن كان المصلى فيها لا يستشفع بهم، ونهى عن الصلاة إلى القبور والجلوس عليها، وأرسل علياً رضى الله عنه وأمره أن لا يدَع قبراً مشرفاً إلا سواهُ، ولا تمثالاً إلا طَمَسَهُ ومَحَاه، ولعن المصورين، كل ذلك حمايةً للتوحيد وسداً لأى سبيل يفضى إلى الشرك. وسيأتى ذكر هذه الأحاديث ومزيد لهذا فى «مبحث الشرك بالله» إن شاء الله تعالى.

◘ حوض النبى ﷺ والكوثر

من عقائد أهل السنة والجماعة الإيمان بحوض النبى ﷺ، أجمع على الإقرار به السلف، وأهل السنة من الخلف، وأجمعوا على أنه حقيقى لما تواتر من النصوص فى ذلك، والحوض لغة: مجمع الماء، وجمعه حياض وأحواض. والكوثر فوعل من الكثرة: سمى بها نهر الحوض لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره. والكوثر المذكور فى القرآن مادته، فهو النهر الذى يصب فى الحوض، وجاء إطلاق الكوثر على الحوض كما ثبت:

عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى

إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عَلَيَّ آنفاً سورة» فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [١ ـ ٣: سورة الكوثر]. ثم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيه أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُه عَدَدُ النُّجُومِ. . .**» رواه مسلم(١).

قال الحافظ: قال القرطبى فى «المفهم» تبعاً للقاضى عياض: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به: أن الله تعالى خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الأحاديث الصحيحة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى، إذ رواها عن النبى ﷺ من الصحابة أكثر من ثلاثين، منهم فى الصحيحين ما يزيد على العشرين، ثم رواه عنهم من التابعين أمثالُهُم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا، وأجمع على إثباته السلف، وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وغلوا فى تأويله، فخَرَق من حرَّفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف أهـ. ملخصاً، قال الحافظ: أنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد. انظر فتح البارى ١١/ ٤٧٥.

قلت: كان عبيد الله بن زياد ـ المعروف أبوه بابن أبيه ـ يقول: لا أصدق بالحوض، حتى قال له أبو برزة الأسلمى، سمعت النبى ﷺ: «يَذْكُرُ الْحَوْضَ لاَ مَرَّةً وَلاَ مَرَّتَيْنِ وَلاَ ثَلاَثاً، وَلاَ أَرْبعاً وَلاَ خَمْساً، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلاَ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ» رواه أبو داود(٢) والإمام أحمد، وروى أحمد

---

(١) صحيح مسلم رقم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٧٤٩) كتاب السنة.

وابن أبى عاصم - فى السنة - عن أبى سبرة الهذلى، قال: كان عبيد الله بن زياد يكذب بالحوض بعدما سأل عنه أبا برزة والبراء بن عازب وعائذ بن عمر أهـ.

وقد اشتهر عند العلماء اختصاص نبينا ﷺ بالحوض، ولكن أخرج الترمذى من طريق الحسن عن سمُرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضاً، وإِنهم يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً...**»[1] ثم قال: حديث غريب، ورُوِىَ عن الحسن عن النبى ﷺ مرسلاً وهو أصح أهـ.

ويتلخص مما ورد فى الحوض من الأحاديث: أنه حوض عظيم يمد من نهر الكوثر، وأنه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأبْرَدُ من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، آنيته عدد نجوم السماء، اتساعه مسيرة شهر طولاً وعرضاً: واختلف هل هو قبل الصراط أو بعده؟ ورجح الحافظ: أنه بعد الصراط لظاهر الأحاديث، ولكونه يمد من الكوثر والكوثر فى الجنة. ولكنه ترجيح لم يُسلّم.

عن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهرٍ، مَاؤُهُ أَبيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَن شَرِبَ مِنهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَداً**» متفق عليه[2].

وأول من يرد الحوض النبى ﷺ ثم أمته، ويطرد عنه الكفار والمنافقون وبعض عصاة الأمة المحمدية.

عن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ،**

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٤٤٣) كتاب صفة القيامة.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٢٠٨) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل. وقوله: «كيزانه» أى آنيته والمراد عددها.

مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» متفق عليه[١].

عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ...» متفق عليه[٢].

بلغ ١١ ليلة الخميس ١١ صفر ١٤٤٢هـ

---

(١) صحيح البخاري رقم (٦٢١٢) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٢٩٠) كتاب الفضائل. «الظمأ» مهموز مقصور هو العطش.

(٢) صحيح البخاري رقم (٦٢١٨) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل. «الفرط» هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء.

مبحث: الإيمان بالقدر

* ابتدأ الشرح

الإيمان بالقدر من أركان الإيمان المصرح بها فى حديث جبريل - عليه السلام - ولخطورة شأنه اعتنى به الحديث وبالغ فى تأكيد الإيمان به، ففيه «وتؤمن بالقدر خيره وشره» «وتؤمن بالقدر كله» «وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره». كما مر فى طرق الحديث.

والقَدَر: اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، وهو من التقدير، يقال: قدرت الشيء بالتشديد والتخفيف، ويأتى مقروناً بالقضاء ويأتى غير مقرون به، والقرون بالقضاء هو ركن الإيمان، وأساس القضاء، وأصل القضاء الفصل والقطع والإتمام للشيء والفراغ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ . . .﴾ [١٢: سورة فصلت].

ويأتى القضاء بمعنى الشرع والأمر والوصية كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ . . .﴾ [٢٣: سورة الإسراء]. والقضاء المقرون بالقدر هو الحكم الكلى الإجمالى فى الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله.

قال الأزهرى: القضاء فى اللغة على وجوه: مرجعها إلى انقطاع الشيء وإتمامه، ومنه القضاء المقرون بالقدر، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والثانى بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه أهـ.

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على إثبات القدر،

ووجوب الإيمان به، وترك المجادلة والخوض فيه، لأنه سر الله، لا يدرك بجدال، ولا يشفى منه مقال، وقد ذكر كثير من العلماء عقيدة السلف فى القدَر فى مصنفاتهم ما بين مسهب وموجز ومن أحسن ذلك ما لخصه الشيخ تقى الدين حيث قال:

وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة «بالقدر خيره وشره» والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عَلِم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، الذى هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال. **ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ** مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف»[(١)].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٧٠: سورة الحج].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٢: سورة الحديد].

وأما الدرجة الثانية: فهى الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة: وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مافى

---

(١) حديث صحيح، رواه أبو داود فى سننه رقم (٤٧٠٠) كتاب السنة. والترمذى فى جامعه رقم (٢١٥٥) كتاب القدر. كلاهما عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن النبى ﷺ ورواه الإمام أحمد، ورواه ابن أبى عاصم فى «السنة» عن ابن عمر وأبى الدرداء.

السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون فى ملكه إلا ما يريد. وأنه على كل شىء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه، لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته أهـ.

فيتلخص مما سبق أن عقيدة السلف فى الإيمان بالقدر ترجع إلى أربعة مسائل:

الأولى: الإيمان بأن الله سبحانه علم بعلمه الأزلى جميع أحوال العباد من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال.

الثانية: الإيمان بأنه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق من كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابعة: الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق لكل شىء والعباد فاعلون حقيقة، ولهم قدرة وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وأعمالهم.

أدلة ثبوت القدر:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٢١ : سورة الحجر].

وقال تعالى: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [٢ : سورة الفرقان] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩ : سورة القمر].

عن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ**

أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» رواه مسلم[(١)].

عن علي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِن نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ، إلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وإلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فقال رجُلٌ: يا رسول الله أَفَلاَ نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرونَ لِعَمَلِ أهْلِ السعادة، وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهلِ الشَّقَاوَةِ» ثم قرأ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ متفق عليه[(٢)].

عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، أن رجلين قالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: **«لاَ، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله عزَّ وجلّ:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٧ ـ ٨: سورة الشمس]» رواه مسلم[(٣)].

عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: **«... إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ»** متفق عليه[(٤)]. زاد البخاري **«وإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»**[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٥٣) كتاب القدر. قال النووي: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير للأشياء فإن ذلك أَزَلِيٌّ، أي لا أول له. وقوله: «وعرشه على الماء» أي قبل خلق السماوات والأرض.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٦٤٧) كتاب القدر. صحيح البخاري رقم (١٢٩٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح مسلم رقم (٢٦٥٠) كتاب القدر. وقوله: «يكدحون» أي يسعون في العمل.

(٤) صحيح البخاري رقم (٢٧٤٢) كتاب الجهاد، ورقم (٦١٢٨) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (١١٢) كتاب الإيمان، وكتاب القدر. وفي هذا الحديث قصة الرجل الذي قتل نفسه بعدما أثخن القتل في المشركين وأعجب الصحابة عمله وقال النبي ﷺ: «إنه من أهل النار».

وعن ابن الديلمى، قال: أتيت أبى بن كعب، فقلت له: قد وقع فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله أن يذهبه من قلبى، فقال: «**لَو أَنَّ الله عذَّبَ أَهْلَ سماواتِهِ وأَهْلَ أرْضِهِ، عذَّبَهُم وهو غَيْرُ ظَالِم لَهُم، ولو رَحِمَهُمْ كانتْ رَحْمَتُه خَيْراً لهم مِنْ أَعْمَالِهِم، ولو أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فِى سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ اللّهُ مِنكَ حَتّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وتَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لم يَكُن لِيُخْطِئَكَ وأن ما أخطَأَكَ لَم يكن لِيُصِيبَكَ، ولو مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذا لَدخَلْتَ النَّارَ، قال: ثم أَتَيتُ ابْنَ مسعودٍ، فقَال مِثْلَ ذَلِكَ، قال: ثم أَتَيتُ حُذَيفَةَ بْنَ اليمَانِ، فقال مثل ذلك. ثم أتيتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِى عَنِ النبى ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ**» رواه أبو داود وابن ماجه[1] بسند صحيح ولفظ ابن ماجه: قال زيد: سمعت النبى ﷺ يقول: «لو أن الله عذب...[1] الحديث».

◘ الفرق بين القضاء والمقضى والقدر والمقدور:

أما القضاء والقدر فهما ركن الإيمان السادس وقد سبق تعريفهما، والمقضى: هو ما قدره الله وقضى به على عباده، فالقضاء والقدر الذى هو علم الله ومشيئته وكلامه غير مخلوق، والمقضى المقدور: من المقدرات كالمصائب والآجال والأرزاق والأعمال كلها مخلوقة لله تعالى. قال الشيخ تقى الدين:

وعلى العبد أن يرضى مما قدره الله عليه من المصائب التى ليست ذنوباً فإن الصبر على المصائب واجب، وأما الرضا بها فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه مستحب لا واجب، إذ ليس فى كتاب الله ولا فى

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٦٩٩) كتاب السنة. سنن ابن ماجه رقم (٦٥) باب فى القدر. وابن الديلمى: اسمه عبد الله بن فيروز الديلمى، ثقة، من كبار التابعين، ومنهم من عده فى الصحابة. قاله فى «تقريب التهذيب».

سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضى مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها، ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به، فليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [٢٨: سورة محمد].

وأما الكفر والفسق والمعاصي فيجب بغضها كما يجب بغض أصحابها قال تعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ...﴾ [٧: سورة الحجرات].

▫ خفاء القدر ومنع الخوض فيه:

سبيل معرفة القدر التوقيف ولا دخل للعقل والقياس فيه، ومن عدَلَ عن ذلك ضَلَّ وتَاهَ لأن القدر سر وغيب اختص الله به وحجَبَه عن خلقه لم يطلع عليه نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً. وقد اشتد غضب النبى ﷺ لما سمع من تكلم فيه:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ على أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِى الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِى وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الغَضَبِ، فَقَالَ: «**أَبِهَذَا أُمِرتُمْ أَو لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ**» رواه ابن ماجه بسند صحيح. والترمذى[(١)] عن أبى هريرة، صحح رواية ابن ماجه البوصيرى قال: ـ فى مجمع الزوائد ـ هذا إسناد صحيح.

وروى الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعاً «**إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**» قال الحافظ: وسنده حسن.

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٧٤) المقدمة. جامع الترمذى رقم (٢١٣٣) كتاب القدر.

وسأل رجل علياً ـ رضى الله عنه ـ عن القدر فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، قال أخبرنى عن القدر. قال: بحر عميق فلا تَلِجه قال: أخبرنى عن القدر قال: سر الله فلا تكلفه. رواه الحافظ اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٦٩٥. ورواه ابن بَطَّةَ فى الإبانة.

وقد يخفى القدر على الناس فى الآجال والأرزاق ونحوها، فيظنون أن ما قدره الله وكتبه منها يزيد أو ينقص.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قالت: أمُ حَبِيبَةَ زوجُ النبى ﷺ «**اللهم أَمْتِعْنِى بِزَوْجِى رسولِ الله ﷺ، وَبِأَبِى، أَبِى سُفْيَانَ، وَبِأَخِى، مُعَاوِيةَ، قال: فقال لها النبى ﷺ «قد سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّام مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقسُومَةٍ، لن يُعَجِّلَ شيئاً قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئاً عَنْ حِلِّهِ، ولو كُنتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أن يُعِيذَكِ من عذَابٍ فِى النار، أَوْ عَذَابٍ فِى القَبْرِ، كَانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ**» رواه مسلم(١).

والقدر لا يجوز الاحتجاج به على الله، فالإيمان به هدى، والاحتجاج به على الله ضلال وغى، بل إن الاحتجاج به هو سبيل المشركين قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ...﴾ [٣٥: سورة النحل]. وكل من احتج بالقدر على الله تعالى فإمامه فى ذلك إبليس اللعين فإنه لما أمره الله بالسجود لآدم، وأبى واستكبر، فلعنه الله وأقصاه، طَفِق يحتج بالقدر. ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٦: سورة

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٦٣) كتاب القدر. وقوله فى الحديث: «حله» بكسر الحاء وفتحها لغتان، ومعناه: وجوبه وحينه يقال: حل الأجل يحل حَلاً وحِلاً. وهذا الحديث صريح فى أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلِمَه فى الأزل.

الأعـــراف]. و﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٣٩: سورة الحجر].

قال علماء الملة: شر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره، يستند إلى القدر فى الذنوب والمعائب، ولا يطمأن إليه فى المصائب، فهو جبرى عند المعصية قدَرى عند الطاعة. قالوا: فلو كان القدر حجة على الذنب لكان حجة لإبليس وفرعون وأبى لهب، ومن احتج بالقدر على المعاصى فحجته داحضة، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول.

ومن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهى والوعد والوعيد كان مشابهاً للمشركين، ومن نظر إلى الأمر والنهى وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهاً للمجوسيين، ومن آمن بهذا وبهذا فإذا أحسن حمد الله تعالى وإذا أساء استغفر الله وعَلِم أن ذلك بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين، فإن آدم لما أذنب تاب فاجتباه الله وهداه، وإبليس أصر واستكبر واحتج بالقدر فلعنه الله، فمن تاب من الذنب كان آدمياً، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسياً.

قال الشيخ تقى الدين: **والعبد له فى المقدور «حالان»: حال** قبل القدر، و«**حال**» بعده، فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به، وإذا كان بفعله وهو نعمة حمد الله تعالى على ذلك، وإن كان ذنباً استغفر وتاب إلى الله سبحانه.

وله فى **المأمور «حالان»: حال** قبل الفعل وهو العزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك، و«حال» بعد الفعل وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله تعالى على ما أنعم به من الخير، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ

ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ . . .﴾ [٥٥: سورة غافر].

أمره أن يصبر على المصائب المقدرة ويستغفر من الذنب. مجموع الفتاوى ٨/ ٧٦ ـ ٧٧.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى الله من المؤمن الضَّعِيفِ وفى كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ واسْتَعِنْ بِاللهِ ولا تَعْجِزْ، وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُل: لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وكَذَا. ولَكِن قُلْ: قَدَرُ اللَّه، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ**» رواه مسلم[(١)].

◘ وعيد من كذب بالقدر:

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: «**جَاءَ مُشْرِكُوا قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ الله ﷺ فى القدر، فنزلت** ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۞ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٨ ـ ٤٩: سورة القمر]» رواه مسلم[(٢)].

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَكُونُ فِى هَذِهِ الأمة، أو فى أُمَّتِى، خَسْفٌ أَوْ مَسْخٌ، أَوْ قَذْفٌ فِى أَهْلِ الْقَدَرِ**» وفى لفظ له: «. . . **وَذَلِكَ فِى الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ**» رواه الترمذى، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن ماجه[(٣)] والإمام أحمد.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٦٤) كتاب القدر: قوله: «المؤمن القوى» المراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة فى أمور الآخرة، فهو أكثر إقداماً فى الجهاد وأشد عزيمة فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى، «وفى كل خير» معناه فى كل منهما أى القوى والضعيف خير، لاشتراكهما فى الإيمان مع ما يأتى به الضعيف من الطاعات «احرص على ما ينفعك» فى أخراك ودنياك من طاعة الله مستعيناً بالله والاستعانة به تتضمن الإيمان بالقدر.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٦٥٦) كتاب القدر.

(٣) جامع الترمذى رقم (٢١٥٢) ورقم (٢١٥٣) كتاب القدر. سنن ابن ماجه رقم (٤١١١) ورقم (٤١١٢) أبواب الفتن.

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِنفَانِ مِنْ أُمَّتِى لَيسَ لَهُمَا فِى الإِسْلاَمِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ**» رواه الترمذى وقال: حديث غريب حسن صحيح، ورواه ابن ماجه[(١)].

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ، وإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ**» رواه أبو داود[(٢)] ورواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله بلفظ: «**إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ المكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّه، إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تعودُوهم، وإِنْ ماتُوا فلا تَشْهدُوهم، وإِنْ لَقِيتُمُوهُم فَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ**»[(٢)] وهذه الأحاديث ضعفها أكثر أئمة الحديث وقالوا لم تسلم طريق منها من علة. وعلة حديث ابن عمر عند أبى داود أن راويه عنه أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع منه، لكن قال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث حسنه الترمذى، وصححه الحاكم، ورجاله من رجال الصحيح، وصحح سنده الحافظ أبو الحسن ابن القطان فقال: إن أبا حازم عاصر ابن عمر وكان معه فى المدينة. فهو صحيح على شرط مسلم.

قال ابن عباس: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تَمَّ توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيده أهـ.

والقدرية نوعان «**غلاة**»: أنكروا علم الله تعالى بالكائنات قبل أن تكون، وأنكروا تقدير الله لها أزلاً، وأنكروا كتابة المقادير. وأول من قال بهذا معبد الجهنى فى آخر عهد الصحابة وأنكروا عليه وتبرؤوا منه، وقد

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢١٤٩) كتاب القدر، سنن ابن ماجه رقم (٥٠) المقدمة باب فى الإيمان.

(٢) سنن أبى داود رقم (٤٦٩١) كتاب السنة. سنن ابن ماجه رقم (٨١) المقدمة باب فى القدر.

تقدم ذلك فى حديث جبريل رواية عمر رضى الله عنه.

«قدرية مقتصدة» أقروا بعلم الله السابق وكذبوا بالقدر، فأنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته، زعموا أن الخير من الله والشر من غيره، أنكروا خلق الله لأفعال العباد وزعموا أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم وهم المعتزلة ومن سلك منهجهم.

هاتان الطائفتان تسميان «القدرية المجوسية» لأنهم وافقوا المجوس فى القول بأن مع الله خالقاً وعليهما حمل أهل السنة الأحاديث السابقة وهناك «طائفة» فى مقابلة هؤلاء غلت فى إثبات القدر حتى قالت: إن العبد لا فعل له وإنما هو مثل الشجرة أمام الريح وعليه فهو مجبور على أعماله ولا دخل له فيها وهؤلاء الجهمية.

مبحث: مسائل من باب القضاء والقدر

*الشيخ

«الإرادة»[1]:

إرادة الله تعالى فى الشرع تأتى على نوعين:

١ ـ **إرادة قدرية أزلية كونية**: وهى ما قدره الله أزلاً وقضى به كوناً.

٢ ـ **إرادة شرعية أمرية**: هى ما أمر الله به خلقه من توحيده وعبادته وطاعته وطاعة رسله.

قال الشيخ تقى الدين: الإرادة فى كتاب الله **على** نوعين «أحدهما» **الإرادة الكونية**، وهى المستلزمة لوقوع المراد، التى يقال فيها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهى إرادة التقدير، وهى شاملة لجميع الكائنات، محيطة بجميع الحادثات، وقد أراد الله تعالى من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا . . .﴾ [١٢٥: سورة الأنعام] وقوله تعالى: ﴿. . .وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [٢٥٣: سورة البقرة]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ . . .﴾ [٣٤: سورة هود].

وأما النوع **«الثانى»** فهو **الإرادة الدينية الشرعية** وهذه إنما تتعلق بالطاعات دون المعاصى سواء وقعت أو لم تقع، وهى: محبة المراد

(١) الإرادة هى المشيئة والاختيار، بغض النظر عمن صدرت منه.

ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسنى، كقوله تعالى: ﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴾ [١٨٥: سورة البقرة] وقوله تعالى: ﴿... مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ...﴾ [٦: سورة المائدة]. فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة الكونية: قال: ولهذا كانت الأقسام أربعة:

«أحدها» ما تعلقت به الإرادتان وهو ما وقع فى الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله تعالى أراده إرادةَ دين وشرع، فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك لما كان.

و«الثانى» ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو: ما أمر الله تعالى به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين، وهو تعالى يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.

و«الثالث» ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو: ما قدره وشاءه من الحوادث التى لم يأمر بها كالمباحات، والمعاصى فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها، إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

و«الرابع» ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصى.

والسعيد من أراد به تقديراً ما أراد به تشريعاً، والعبد الشقى من أراد به تقديراً ما لم يرد به تشريعاً، والحكم يجرى على وفق هاتين الإرادتين.

ومحبة الله تعالى ورضاه مستلزم للإرادة الدينية والأمر الدينى،

وبغضه وغضبه وسخطه مستلزم لعدم هذه الإرادة.

قال: فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيراً ومن نظر إلى القدَر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور، **مثل مشركي** قريش الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [١٤٨: سورة الأنعام].

فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهى ـ الإرادة القدرية ـ فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية، ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا: فيكون قد رضيه وأمر به، قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بالشرائع من الأمر والنهى ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرمتموه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ فى هذا ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو توهمكم أن كل ما قدره الله فقد شرعه ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أى تكذبون وتفترون بإبطال شريعته، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده وشريعته. ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته، لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلاً منه وإحساناً، ويحرم من يشاء، لأن المتفضل له أن يتفضل، وله أن لا يتفضل، فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط، وله فى ذلك حكمة بالغة.

وهو سبحانه يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية، وإن كان ذلك بإرادته القدرية، فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى بعقابها. مجموع الفتاوى ٨/ ١٨٧ ـ ١٩٩.

بلغ ١٣ عصر الجمعة ١٢ صفر ١٤٤١هـ

الشيخ*

وهذا التقسيم الوارد فى اسم الإرادة يرد مثله فى القرآن فى اسم القضاء، والكلمات، والأمر، والإرسال، والبعث ونحو ذلك.

«فالقضاء الكونى» كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ . . .﴾ [٤ : سورة الإسراء].

و«القضاء الدينى الشرعى» كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ . . .﴾ [٢٣ : سورة الإسراء] أى أمر بذلك ووصى.

والكلمات الكونية هى التى لا يخرج عنها بر ولا فاجر، التى استعاذ بها الرسول ﷺ فى قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات اللاتى لا يجاوزهن بر ولا فاجر. . .» هى التى كون بها الكائنات، ومنها قوله: ﴿. . . كُن فَيَكُونُ﴾.

و«الكلمات الدينية» مثل كتب الله المنزلة وكما فى قوله تعالى: ﴿. . . وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ . . .﴾ [١٢ : سورة التحريم].

و«**الأمر الكونى القدرى**» كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٨٢ : سورة يس].

و«الأمر الدينى الشرعى» مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ . . .﴾ [٩٠ : سورة النحل].

و«الإرسال الكونى القدرى» كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [٨٣ : سورة مريم].

و«الإرسال الدينى الشرعى» كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ . . .﴾ [٢٨ : سورة الفتح].

و«البعث الكونى» كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ . . .﴾ [٥ : سورة الإسراء].

و«البعث الديني» كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [٣٦: سورة النحل]. مجموع الفتاوى ١١/ ٢٦٥ ـ ٢٧١ و٨/ ٥٨ ـ ٦١.

▫ الفرق بين الإرادة والمحبة والرضا:

عقيدة أهل السنة والجماعة: ما هو صريح نصوص الكتاب والسنة من أن الله تعالى يحب طاعته ويحب المؤمنين ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويرضى عن عباده الصالحين، ويرضى لشكر الشاكرين، وقد رضي عن المبايعين لرسوله ﷺ تحت الشجرة. وقد قال النبي ﷺ «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...**» وهو علي رضي الله عنه ـ متفق عليه[(١)].

وأن الله تعالى لا يرضى ما نهى عنه ولا يحبه، فلا يحب الكفر ولا يرضاه، وقد صرح القرآن بذلك، ففيه أنه تعالى لا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد في الأرض، ولا يحب الظالمين وأهل السنة متفقون على أن هناك فرقاً بين الإرادة وبين المحبة والرضا.

قال الشيخ تقي الدين: وأنكر طائفة من المتأخرين محبة الله لبعض الموجودات دون بعض، وقالوا: المحبة والرضا هو من معنى الإرادة، والله مريد لكل ما خلقه فهو راض بذلك محب له، وزعموا أن ما في القرآن من نفي حبه ورضاه بالكفر والمعاصي كقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ محمول على عباده الذين لم يقع ذلك منهم أي أنهم تأولوا ذلك على أن المراد ممن لم يقع منه الكفر

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٩٧٢) كتاب المغازي. صحيح مسلم رقم (١٨٠٧) كتاب الجهاد. وهو من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

والفساد من العباد. أو أنه لم يرده ديناً يثيبهم عليه، وزعموا أن الله لا يحب ولا يرضى ما أمر به من العبادات إلا إذا وقع، فيريده كما يريد حينئذ ما وقع من الكفر والمعاصى.

قال: وكثير من المتأخرين يظن، أن هذا قول أهل السنة، وهذا مما لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل جميع مثبتة القدر المتقدمين كانوا يفرقون بين المحبة والرضا، وبين الإرادة، وإنما هو قول لأبى الحسن الأشعرى قال: قال أبو المعالى الجوينى: ومما اختلف أهل الحق فى إطلاقه وعدم إطلاقه المحبة والرضا، فصار المتقدمون إلى أنه سبحانه لا يحب الكفر ولا يرضاه، وكذلك كل معصية، وقال شيخنا أبو الحسن: المحبة هى الإرادة نفسُها، وكذلك الرضا والاصطفاء، وهو سبحانه يريد الكفر ويرضاه كفراً قبيحاً معاقباً عليه.

قال تقى الدين: وهو كما قال أبو المعالى: فإن المتقدمين من جميع أهل السنة على ما دل عليه الكتاب والسنة من أنه سبحانه لا يرضى ما نهى عنه ولا يحبه، وعلى ذلك قدماء أصحاب الأئمة الأربعة: أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم ولكن من المتأخرين من سوى بين الجميع كما قاله أبو الحسن. وهو فى الأصل قول لجهم، فهو الذى قال فى القدر بالجبر أهـ. مجموع الفتاوى: ١٧/ ١٠١ ـ ١٠٢.

وقال أيضاً: مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن العبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله، منهى عن معصية الله ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته، لكنه تعالى يحب الطاعة ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم،

ويبغض المعصية وينهى عنها، ويعاقب أهلها ويهينهم. أهـ. ملخصاً مجموع الفتاوى ٨/ ٦٣.

■ **حكمة الله تعالى:**

تطلق الحكمة على أمور، منها العلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والسنة، وحكمة التشريع وعلته. والمراد بها هنا حكمة الله فى خلقه وأمره ونهيه، وقد اختلف فى ذلك هل لله حكمة فى ذلك أو أنه بمحض المشيئة. وعقيدة سلف الأمة وأئمتها أن الله تعالى خلق المخلوقات لحكمة، فله سبحانه فى كل ما يخلقه وفى كل ما يأمر به وينهى عنه حكمة يحبها ويرضاها، وأنه كما قال: ﴿... أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ...﴾ [٧: سورة السجدة]. ﴿... صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ...﴾ [٨٨: سورة النمل]. وما وقع من الشر الموجود فى بعض المخلوقات، فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية، فهو من الله تعالى حسن جميل، فالذى يفعله سبحانه لأجل حكمة اقتضت ذلك، كما أن الذى لم يفعله لحكمة تقتضى تنزيهه عن فعله.

وأنكرت الجهمية الجبرية حكمة الله، وقالوا لم يخلق لحكمة ولم يأمر بحكمة، وإنما يفعل ذلك بمشيئة فقط.

واستدل أهل السنة بأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [٣٢: سورة الإسراء]. فقد بين الله تعالى حكمته حيث علل التحريم بأنه فاحشة بدون النهى، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [٨٥: سورة الحجر]. ونحوها فى مواضع من القرآن، قالوا ومعنى (بالحق) فى سائر الآيات خلقه لحكمة، وقد ذم الله تعالى من ظن أنه خلق المخلوقات باطلاً أو عبثاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ [٢٧:

سورة ص]. وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥ : سورة المؤمنون].

قال شيخ الإسلام: والناس فى مقام حكمة الله فى الأمر والنهى على ثلاثة أصناف:

فالمعتزلة القدرية يقولون: إن ما أمر الله به ونهى عنه كان حسناً وقبيحاً قبل الأمر والنهى، والأمر والنهى كاشف عن صفته التى كان عليها لا يكسبه حسناً ولا قبحاً، ولا يجوز عندهم أن يأمر الله وينهى لحكمة تنشأ من الأمر نفسه، ولهذا فقد أنكروا جواز النسخ قبل التمكن من فعل العبادة كما فى قصة الذبيح، ونسخ الخمسين صلاة التى أمر بها ليلة المعراج. والجهمية الجبرية يقولون: ليس للأمر حكمة تنشأ، لا من نفس الأمر، ولا من نفس المأمور به، ولا يخلق الله شيئاً لحكمة ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوع ما وقع، وليست الحسنات سبباً للثواب ولا السيئات سبباً للعقاب.

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الإسلام كالفقهاء المشهورين وغيرهم، ومن سلك سبيلهم من أهل الفقه والحديث والمتكلمين فى أصول الدين وأصول الفقه فيقرون بالقدر، ويقرون بالشرع، ويقرون بالحكمة لله فى خلقه وأمره ـ لكن قد يعرف أحدهم الحكمة وقد لا يعرفها ـ ويقرون بما جعله من الأسباب، وما فى خلقه وأمره من المصالح التى جعلها رحمة بعباده. مع أنه خالق كل شىء، وربه ومليكه: أفعال العباد، وغير أفعال العباد، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وأن كل ما وقع من خلقه وأمره فعدل وحكمة سواء عرف العبد وجه ذلك أو لم يعرفه. قال: والحكمة الناشئة من الأمر ثلاثة أنواع:

أحدها: أن تكون فى نفس الفعل، كما فى الصدق والعدل ونحوهما من المصالح الحاصلة لمن فعل ذلك، وإن لم يؤمر به، والله يأمر بالصلاح وينهى عن الفساد.

النوع الثاني: أن ما أمر به ونهى عنه صار متصفاً بحسن اكتسبه من الأمر، وقبح اكتسبه من النهى، كالخمر التى كانت لم تحرم، ثم حرمت فصارت خبيثة، والصلاة إلى الصخرة التى كانت حسنة، فلما نهى عنها صارت قبيحة.

والنوع الثالث: أن تكون الحكمة ناشئة من نفس الأمر، وليس فى الفعل البتة مصلحة، لكن المقصود ابتلاء العبد هل يطيع أو يعصى، فإذا اعتقد الوجوب وعزم على الفعل حصل المقصود بالأمر فينسح حينئذ كما جرى للخليل فى قصة ذبح إسماعيل، فإنه لم يكن الذبح مصلحة ولا كان هو مطلوب الرب فى نفس الأمر، بل كان مراد الرب ابتلاء إبراهيم ليقدم طاعة ربه ومحبته على محبة الولد، فإنه كان يحبه محبة شديدة، وكان سأل الله أن يهبه إياه.

قال: وإنما نبهنا على هذا الأصل لأن كثيراً من الناس لا يعرف ذلك، ولا يظن قول أهل السنة فى القدر إلا القول الذى هو عند أهل السنة قول جهم وأتباعه المجبرة، وهذا يعرفه من يعرف أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المشهورين فى هذه الأصول، وذلك موجود فى كتبهم المصنفة التى فيها أقوال جمهور الأئمة. ثم قال:

وينبغى للعاقل أن يعرف أن مثل هذه المسائل العظيمة ـ التى هى من أعظم مسائل الدين ـ لم يكن السلف جاهلين بها ولا معرضين عنها، بل من لم يعرف ما قالوه فهو الجاهل بالحق فيها، وبأقوال السلف، وبما دل عليه الكتاب والسنة. والصواب فى جميع مسائل النزاع ما كان عليه

السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. مجموع الفتاوى ١٧/١٩٨ - ٢٠٥.

وقال: فى موضع آخر - ويكفى العاقل أن يعلم أن الله عزَّ وجلّ عليم حكيم رحيم، بهرت الألباب حكمته ووسعت كل شىء رحمته وأحاط بكل شىء علمه، وأحصاه لوحه وقلمه، وأن لله تعالى فى قدره سراً مصوناً، وعلماً مخزوناً احترز به دون جميع خلقه، واستأثر به عن جميع بريته. فالمخلوق باعتبار الحكمة التى خلق لأجلها خير، وإن كان فيه شر من جهة أخرى فذلك أمر عارض جزئى ليس شراً محضاً بل إنه تعالى لم يخلق شراً محضاً ولذلك فإنه سبحانه مع أنه خالق كل شىء، فإن الشر لا يضاف إليه. قال ﷺ: «. . . **وَالْخَيرُ كُلُّهُ فِى يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ**. . .»[1]. ومع وقوع بعض الشرور خلقاً وقدَراً فإنه لم يضف الشر إلى الله تعالى فى القرآن إلا على أحد وجوه ثلاثة: إما على طريق العموم كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ . . .﴾ [٦٢: سورة الزمر]. وإما أن يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [٢: سورة الفلق]. وإما أن يحذف الفاعل كقوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ . . .﴾ [١٠: سورة الجن].

وقد جمعت فاتحة الكتاب الأصناف الثلاثة. انظر مجموع الفتاوى ٨/٤٤٧ و٥١١.

■ الأسباب والقدر:

عقيدة سلف الأمة وأئمة أهل السنة: على إثبات الأسباب إيماناً بما

(١) رواه مسلم رقم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين، وهو قطعة من حديث على بن أبى طالب فى دعاء النبى ﷺ فى افتتاح صلاة التهجد.

دل عليه الكتاب والسنة بل حكى الشيخ تقى الدين: الإجماع على أن جميع ما يخلقه الله ويقدره بأسباب، فليس فى الدنيا والآخرة شىء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات، وما قدره الله وعلمه من أحوال خلقه إنما قدره بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، بل إن كل سبب له شريك وضد، فإن لم يعاونه شريكه ولم يصرف عنه ضده لم يحصل سببه، فالمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتربة وغير ذلك، ولا بد من زوال الموانع، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء فى الفرج، بل لا بد من سائر الشروط التى يتم بها خلقه، ولا بد من زوال الموانع، ولا بد من أن الله تعالى شاء خلقه فتحمل الأنثى، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، فليس فى المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شىء البتة قال:

وكذلك أمر الآخرة فليس بمجرد الأعمال ينال الإنسان السعادة، بل هى سبب، ولهذا قال ﷺ: «**لَن يُدْخِلَ أَحداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ. . .»** متفق عليه(١).

وقد قال تعالى: ﴿. . . ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٣٢: سورة النحل]. فهذه باء السبب أى بسبب أعمالكم، والذى نفاه النبى ﷺ فى الحديث باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا. أى ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً فى دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه تمحى السيئات وبرحمته يأتى بالخيرات. مجموع الفتاوى ٨/ ٧٠ ـ ٧١.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٣٤٩) كتاب المرضى. صحيح مسلم رقم (٢٨١٦) كتاب صفات المنافقين. من حديث أبى هريرة.

والأدلة على ثبوت الأسباب كثيرة قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [٩: سورة ق].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا . . .﴾ [٢٧: سورة فاطر].

وقال: ﴿. . . قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ . . .﴾ [١٥ ـ ١٦: سورة المائدة].

قال شيخ الإسلام: ومن الناس من ينكر الأسباب والقوى والطبائع ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها، وأن الله لا يشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء، وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف مع مخالفتهم لصريح العقل والحس. وذكر أدلة ذلك ثم قال: والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض، كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعَدِّ، وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان. ومن قال: إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التى خلق الله بها المخلوقات ليست أسباباً، أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد اقتران عادى فقد جحد ما فى خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم، ولم يجعل فى العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها، ولا فى النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها، وقد قال بعض الفضلاء: تكلم قوم فى إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم.

ولهذا قال من قال من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع. مجموع الفتاوى ٨/١٣٦ ـ ١٣٩.

■ **مشيئة العبد وإرادته:**

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن العبد فاعل على الحقيقة، وله مشيئة ثابتة، وله إرادة جازمة، وقوة صالحة، له مشيئة للخير والشر، وله قدرة على هذا وهذا، وهو العامل لهذا وهذا، والله تعالى خالق ذلك كله وربه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه.

وقد أثبت الله فى القرآن مشيئة العبد وبين أنها تابعة لمشيئة الرب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [٢٩ ـ ٣٠: سورة الإنسان].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٧ ـ ٢٩: سورة التكوير].

وقد نطق القرآن فى مواضع كثيرة بإثبات أفعال العباد فأخبر أنهم يؤمنون ويكفرون ويعملون ويكسبون ويطيعون ويعصون إلى غير ذلك.

قال شيخ الإسلام: ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شىء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، إلى أن قال: فلم يكن من السلف والأئمة من يقول إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد، ولا قال أحد منهم إنه فاعل مجازاً، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة، وأن الله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله، فمن قال إن العبد لا مشيئة له فى الخير ولا فى الشر فقد كذب.

ومن قال: إنه يشاء شيئاً من الخير أو الشر بدون مشيئة الله فقد كذب على الله وكذب بما أنزل الله، ومن قال: إن العبد له مشيئة لكل ما يفعله باختياره من خير وشر، وكل ذلك إنما يكون بمشيئة الله وقدرته فقد آمن،

فلا بد من الإيمان بهذا وهذا ليحصل الإيمان بالأمر والنهى والوعد والوعيد، والإيمان بالقدر خيره وشره. مجموع الفتاوى ٨/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

■ «المعصية» من خلق الله وقدره:

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن المعصية مما شاءه الله وخلقه فهو خالق العباد وأفعالهم، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون فى الوجود إلا ما شاء، فهى مما قدره كوناً وقدراً، وليست المعصية مما أراده الله شرعاً وديناً بمعنى الأمر والمحبة والرضى، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر. صرح بذلك القرآن.

وسئل الإمام تقى الدين هل أراد الله المعصية من خلقه أم لا؟ فأجاب: لفظ الإرادة، له معنيان: فيقصد به المشيئة لما خلقه ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به، فإن كان مقصود السائل أن الله أحب المعاصى ورضيها وأمر بها، فلم يردها بهذا المعنى، فإنه لا يأمر بالفحشاء، بل قال لما نهى عنه ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [٣٨: سورة الإسراء]. وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله خالق كل شيء، ولا يكون فى الوجود إلا ما شاء.

وقد ذكر الله فى مواضع من القرآن ـ أنه يريدها، وفى مواضع أنه لا يريدها، والمراد بالأول أنه شاءها وخلقها، والمراد بالثانى أنه لا يحبها ولا يرضاها أمراً أهـ. مجموع الفتاوى ٨/ ١٥٩.

مبحث: توحيد المحبة

محبة العبد لله تعالى: هى أساس التوحيد وركنه الأكبر وغايته، لأن الله سبحانه هو المحبوب لذاته لما له من الكمال والجلال، ولما له من الإنعام على خلقه والإفضال، وحب العبد لربه يستلزم حب ما يحبه من طاعته وجميع محبوباته كرسله وأوليائه، وبغض ما يكرهه من معاصيه وأعدائه.

قال الشيخ تقى الدين: محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هى أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، وأصل العمل الدينى هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده، فالشىء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، لكن أكثر ما جاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ونحوها، والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذى لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبوداً والمعظم الذى لا يُحَب لا يكون معبوداً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ...﴾ [١٦٥: سورة البقرة].

وقد أثبت القرآن والسنة وإجماع الأمة هذه المحبة: أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هى أكمل محبة فإنها كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ...﴾ [٥٤: سورة المائدة].

وأنكرت الجهمية والمعتزلة حقيقة المحبة من العباد لله، ومن الله لعباده، وقالوا: لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وكان أول من ابتدع هذا فى الإسلام هو الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثانية أهـ.

ومن المعلوم أن الله توعد بالوعيد الشديد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله وجهاد فى سبيله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ...﴾ [٢٤: سورة التوبة].

وخالص حب العبد لربه هو الذى ينال به لذة الإيمان وحلاوته، فلا يذوق عبد حلاوة الإيمان إلا به.

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ لِلَّهِ، وَأَن يَكْرَهَ أَن يَعُودَ فِى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ فِى النَّارِ**» متفق عليه[١] وللبخارى: «**لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...**» الحديث[١]، فدل على أنه لا يجد أحد حلاوة الإيمان إلا بهذه المحبات الثلاث.

أحدها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذا من

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٦) كتاب الإيمان. ورقم (٥٦٩٤) كتاب الأدب. صحيح مسلم رقم (٤٣) كتاب الإيمان.

أصول الإيمان المفروضة التى لا يكون العبد مؤمناً بدونها.

الثانى: أن يحب العبد لا يحبه إلا لله، وهذا الحب من لوازم الحب لله.

الثالث: أن يكون إلقاؤه فى النار أحب إليه من الرجوع إلى الكفر.

قال البيضاوى: المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه، وإنما جعل هذه الثلاث عنواناً لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع فى الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذى يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقيناً. أهـ. باختصار. فتح البارى ١/ ٧٨.

وقد تأول قوم محبة العباد لله بمجرد محبتهم لطاعته أو التقرب إليه. قال المحققون: وهذا جهل عظيم، فإن محبة المتقرب إلى المتقرب إليه تابع لمحبته وفرع عليه، فمن لا يحب الشىء لا يمكن أن يحب التقرب إليه، إذ التقرب وسيلة، ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود، فيمتنع أن تكون الوسيلة إلى الشىء المحبوب هى المحبوب دون الشىء المقصود بالوسيلة. وقد فرق الله تعالى بين محبته ومحبة العبد له فى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ كما فرق بين محبته ومحبة رسوله فى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قالوا: ومما ينبغى التفطن له أن الله تعالى قال فى كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾.

واشتهر عن الحسن البصرى وغيره من السلف أنهم قالوا: ادعى قوم

على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية، امتحاناً لهم.

فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فليحذر من ادعائها فإنه يكثر، ولا بد من أن تصحبها الخشية.

وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد أهـ.

وقد يوجد فى مدعى المحبة من مخالفة الشرع ما لا يوجد فى أهل الخشية.

قال ابن القيم: محبة الله تعالى من أعظم واجبات الدين، ومن أحب معه مخلوقاً مثل ما يحبه، فهو من الشرك الذى لا يغفر لصاحبه، ولا يُقبل معه عمل، وإذا كان العبد لا يكون من أهل الإيمان حتى يكون عبد الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين - ومحبته تبع لمحبة الله - فما الظن بمحبته تعالى؟ وما من مؤمن إلا وفى قلبه محبة لله تعالى وطمأنينة بذكره، ولذة وسرور بمعرفته، وإن لم يُحسَّ بذلك لاشتغال قلبه بغيره، وقوة ذلك وضعفه هو بحسب قوة الإيمان وضعفه أهـ.

وقال الشيخ تقى الدين: أصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ولها أصلان «أحدهما» - وهو الذى يقال له محبة العامة - لأجل إحسانه إلى عباده، وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة، ولكن هذه المحبة فى الحقيقة إذا لم تجذب القلب إلى محبة الله

نفسه، فما أحب العبد فى الحقيقة إلا نفسه، وهذا ليس بمذموم، بل محمود، قال: وهذه المحبة هى المشار إليها بقوله ﷺ:

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِّن نِّعَمِهِ، وَأَحِبُّونِى بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبِّى**». رواه الترمذى وحسنه[1].

والأصل الثانى: هو محبته تعالى لما هو له أهل، وهذا حب من عرف من الله تعالى ما يستحق أن يحب لأجله، وما من وجه من الوجوه التى يعرف الله تعالى بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته، إذ كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ولهذا استحق أن يكون محموداً على كل حال.

قال: فكلما ازداد القلب حباً لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حباً وحرية عما سواه، والقلب فقير بالذات إلى الله من «وجهين»: من جهة العبادة، وهى العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل، وهى العلة الفاعلية، ولا يحصل له مطلوب إلا بإعانة الله له، لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه لو أعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادته لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكلما سواه إنما يحبه لأجله لا يحَب شيئاً لذاته إلا الله، فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**» ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة.

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣٧٨٩) كتاب المناقب.

وحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله سبحانه وذلك بثلاثة أمور: أ ـ تكميل هذه المحبة ب ـ وتفريعها جـ ـ ودفع ضدها.

«فتكميلها»: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما تقدم فى الحديث. و«تفريعها»: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. «ودفع ضدها»: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء فى النار.

وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخاً فى «الزهد والعبادة» وقعوا فى بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع خلاف شريعته، وترك المجاهدة فى سبيله ونحو ذلك، ويتمسكون فى الدين الذى يتقربون به إلى الله بالكلام المتشابه، والحكايات التى لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم ديناً كما جعل النصارى قسيسيهم، قال: وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان فى القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون لله فهى باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله، إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع، ولا يكون لله إلا ما جمع الوصفين: أن يكون لله، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله، وهو الواجب والمستحب، وكثيراً ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها

حقيقة محبتها لله وعبوديتها له، وإخلاص دينها له أهـ. انظر مجموع الفتاوى ١٠/٤٨ ـ ٢١٤.

وإذا كانت المحبة أصل كل عمل دينى، فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها، فإن الراجى الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه. والخائف يفر من المخوف لينال المحبوب، وإذا كانت المحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب فمن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم.

ويقع الشرك فى محبة الله تعالى، وهو الشرك الخفى، قالوا: وهو الذى لا يكاد أحد أن يسلم منه، مثل أن يحب مع الله غيره، فإن كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين، والأعمال الصالحة، فليست من هذا الباب بل هذه تدل على حقيقة المحبة، لأن حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه، ويكره ما يكرهه.

■ **حب الرسول محمد ﷺ من الإيمان:**

محبة نبينا محمد ﷺ من عقائد الإيمان وواجباته، وإنما كانت كذلك لأنها تبع لمحبة الله فهو رأس المحبوبين من الخلق عند الله تعالى، وقد نفى الصادق المصدوق الإيمان عمن لم يتصف بهذه الأحبية الخاصة به ﷺ، وإن كان حب جميع الرسل من الإيمان، وقد بين أنها لا بد أن تكون فوق محبة كل محبوب من المخلوقين وأكد ذلك بالقسم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**» رواه البخارى[1].

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٤) كتاب الإيمان. قوله: «فوالذى نفسى بيده» أقسم به لتوكيد الأمر، وهى أكثر صيغة فى قسمه ﷺ.

وعن أنس رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» متفق عليه[1]. وفى رواية لمسلم «**لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

وعن عبد الله بن هشام، رضى الله عنه، قال: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ** آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى، فقال النبى ﷺ، «**لاَ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحبُّ إلى من نفسى، فقال النبى ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**» رواه البخارى[2].

المراد نفى كمال الإيمان، قال الخطابى: المراد بالحب حب الاختيار لا حب الطبع، لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، قال: معناه: لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك، وتؤثر رضاى على هواك وإن كان فيه هلاكك أهـ.

قال القاضى عياض وغيره: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام: كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة: كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان: كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته. أهـ.

وقال ابن بطال: ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبى ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استُنقذنا من النار، وهدينا من الضلال أهـ.

---

(١) صحيح البخارى رقم (١٥) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٤٤) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٦٢٥٧) كتاب الأيمان والنذور.

قال القاضى عياض: ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته وتمنى حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه، قال: ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن. أهـ بنقل النووى فى شرح مسلم.

قلت: ومن مظاهر محبته ﷺ طاعته، والتفانى فى اتباعه، ولو خالف ذلك الهوى، ومحبة ما جاء به، وتوقيره وتعظيمه، وكثرة الصلاة عليه ولا سيما عند ذكره، والتزام الأدب التام عند الوقوف على قبره بخفض الصوت وغض البصر، كل ذلك فى حدود الشرع وعلى ميزانه، فلا إفراط، ولا تفريط، وكذلك تجب محبة المؤمنين من أهل بيته، وحب صحابته من محبته، وليعلم أن أساس محبته ﷺ وقطب رحاها: اتباعه وتحكيمه فى جميع الأمور طاعة لله ورسوله.

وقد يوجد كثير ممن يدعى محبة النبى ﷺ وهم مجانبون لسنته لا يقيمون لها وزناً، ولا يبالون بطاعته، بل هم عاكفون على أنواع البدع المضلة، بل والشركيات المهلكة، ومنهم دعاة مخلصون لذلك، فلا يغتر بمحبة هؤلاء، لأن من صدق فى حب النبى ﷺ أطاعه، بل إن المحب يطيع محبوبه حتماً، وقد يكون ما يدعيه هؤلاء حب هوى لا حب شرع، فإن حبه ﷺ قد يكون لغير الله، ومما يوضح ذلك: أن أبا بكر رضى الله عنه كان يحب النبى ﷺ مخلصاً لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبى بكر، ولم يقبل عمل أبى طالب، بل أدخله النار، لأن أبا بكر اتبعه، وأبا طالب عصاه، فلو كانت محبته مع عدم اتباعه نافعة لأحد لكان أبو طالب أحق الناس بذلك النفع وأولاهم به.

■ **محبة المؤمنين والحب فى الله تعالى:**

من الإيمان محبة العبد للمؤمنين لإيمانهم بالله واستسلامهم له، ومن لوازمها البغض فى الله تعالى، والمراد: المحبة الاختيارية لا الطبيعية، وكذلك البغض، ويتفاوت الناس فى ذلك بحسب مراتبهم فالصديقون والمؤمنون يُحبون من كل وجه، والمسلم العاصى يُحب من وجه ويبغض من وجه، والكافر يبغض من كل وجه، وقد تقدم فى حديث أنس المتفق عليه «. . . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار». والآيات كثيرة فى موالاة المؤمنين والبغض والعداء للكافرين.

وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**» رواه أبو داود. ورواه الترمذي[١] عن معاذ بن أنس الجهنى، وقال: هذا حديث حسن.

وعن عمرو بن الجموح مرفوعاً «**لاَ يَجِدُ الْعَبْدُ صَرِيحَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ وَيُبْغِضَ لِلَّهِ**» رواه الإمام أحمد.

وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**» متفق عليه[٢].

وقال البخارى، فى صحيحه «باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ثم روى بسنده.

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٦٨١) كتاب السنة. جامع الترمذى رقم (٢٥٢١) كتاب صفة القيامة، قوله: «من أحب لله وأبغض لله» أى لأجله ولوجهه مخلصاً، لا لهواه. «وأعطى لله» أى لثوابه ورضاه لا لنحو رياء.

(٢) صحيح البخارى رقم (١٧) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٧٤) كتاب الإيمان. قوله: «آية الإيمان حب الأنصار» الآية العلامة. ومعناه: أن من عرف نصرة الأنصار لدين الله ورسوله فأحبهم لذلك فحبه دليل على صحة إيمانه، ومن أبغضهم كان بضد ذلك.

عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»** متفق عليه[1] وعند مسلم من طريقين على الشك فيهما «. . . حتى يحب لأخيه ـ أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ ـ ما يحب لنفسه».

ورواه الإسماعيلى فى مستخرجه على صحيح البخارى بلفظ «. . . **حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ**».

وهذه الرواية بينت المراد بالأخوة: أنها أخوة الإسلام، وعينت المحبوب بأنه الخير.

وزاد مسلم فى أوله «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ**. . .» الحديث، والمراد بنفى الإيمان، نفى حقيقته وكماله دل على ذلك رواية ابن حبان لهذا الحديث من الوجه الذى رواه منه البخارى.

بلفظ: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان. . .» الحديث. ومعنى الحقيقة هنا الكمال.

والخير كلمة جامعة، تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية. وتخرج المنهيات لأن اسم الخير لا يتناولها. والمحبة إرادة ما يعتقده خيراً، وقيل: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب. والمراد هنا بالميل الاختيارى دون الطبيعى والقسرى، والمراد أيضاً: أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه. قال الحافظ: ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والحقد والغش.

«فائدة» قال الكرمانى: ومن الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره ـ أى الحديث ـ لأن حب الشىء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء أهـ. ملخصاً من فتح البارى.

---

(1) صحيح البخارى رقم (١٣) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٤٥) كتاب الإيمان.

بلغ ١٤٠ ليلة السبت ١٢ صفر ١٤٤١هـ

الباب الثاني

ويحوى المباحث التالية

مبحث: عقيدة أهل السنة والجماعة فى نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر من أهل الملة.
مبحث: الكفر لغة وشرعاً ومتى يحكم به وأنواع الكفر.
مبحث: النفاق: أنواعه وخصاله.
مبحث: الشرك بالله وأقسامه.
خاتمة الكتاب

خالد
رصاحات

مبحث: عقيدة أهل السنة والجماعة في نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر من أهل الملة.

وردت أحاديث كثيرة صحيحة عن النبى ﷺ: فى بعضها إطلاق دخول الجنة لمن وحد الله تعالى، وفى بعضها تقييد دخول الجنة بالموت على الشهادتين، وفى بعضها تحريم من أخلص فى التوحيد على النار، وفى أخرى نفى دخول من شهد بالشهادتين النار، وفى بعضها دخول من مات لا يشرك بالله الجنة وإن ارتكب الكبائر.

ووردت أيضاً أحاديث ثابتة: فى بعضها نفى الإيمان عن مرتكب بعض المعاصى، وأخرى فيها التصريح بأن نوعاً من المعاصى يكفر مرتكبه، وأخرى فيها براءة النبى ﷺ من مرتكب بعض المعاصى، ووردت آيات قرآنية فى بعضها التصريح بأن بعض الكبائر جزاء مرتكبه النار.

طرف من أحاديث الوعد والترغيب:

ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن قَالَ أَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَن محمّداً عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ الله ورَسُولُهُ وابنُ أَمَتِهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ، وأَنَّ الجنَّةَ حَقٌّ وأن النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»** وفى رواية **«أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ»** متفق عليه[1].

٢ ـ عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ دعا بالبركة على طعام قليل فَكَثُرَ. فقال: **«أَشْهَدُ أَن لاَّ إِله إِلا اللَّه وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيرَ**

(١) صحيح مسلم رقم (٢٨) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٣٢٥٢) كتاب الأنبياء.

شَاكٌ فَيُحْجَبَ عَنِ الجنة» رواه مسلم[1].

عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«يا مُعاذُ» قال: لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسعْدَيْكَ، قال: «مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أن لا إله إلاّ اللّهُ وأَنّ مُحمّداً رَسولُ اللّهِ، صِدْقاً من قَلْبِهِ، إلاّ حَرّمَهُ الله عَلَى النَّارِ» قال: يَا رسولَ الله، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: «إِذاً يتَّكِلُوا»** متفق عليه[2].

عن عتبان بن مالك، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قَدْ حرَّمَ عَلَى النَارِ من قال لا إله إلا الله يَبْتَغِى بذَلِكَ وَجْهَ اللّهِ»** متفق عليه[3]، ولفظ مسلم: **«لاَ يَشْهَدُ أَحَدٌ أن لا إله إلا اللّهُ وأَنِّى رَسُولُ اللّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ، أوْ تَطْعَمَهُ»**[3].

عن أبى ذر، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«أَتَانِى جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِى أَنَّهُ مَن مَاتَ مِن أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بالله شيئاً دَخَلَ الجنةَ، قُلْتُ: وإِن زَنَىٰ وإِن سَرَقَ؟ قال: وإِن زَنَى وإِنْ سَرَقَ»** متفق عليه[4].

■ **طرف من أحاديث الوعيد والترهيب:**

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، والتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»** متفق عليه[5]. وفى بعض رواياته زيادة القتل والنهبة.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (١٢٨) كتاب العلم، صحيح مسلم رقم (٣٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح البخارى رقم (٤١٥) كتاب الصلاة. صحيح مسلم رقم (٣٣) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح مسلم رقم (٩٤) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٧٠٤٩) كتاب التوحيد.

(٥) صحيح مسلم رقم (٥٧) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٦٤٢٥) كتاب المحاربين.

عن أبى شريح، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، واللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، والله لاَ يؤمنُ**» قيل: **وَمَنْ يَا رَسولَ اللَّهِ؟** قال: «**الَّذِى لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» رواه البخارى[١].

وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» متفق عليه[٢].

عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **اثْنَتَانِ فِى الناس هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ، الطَّعْنُ فِى النَّسَبِ والنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» رواه مسلم[٣].

عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا من ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**» متفق عليه[٤].

عن ابن عمر وأبى موسى رضى الله عنهم، عن النبى ﷺ قال: «**مَن حَمَلَ علَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**» متفق عليه[٥]. زاد مسلم «**ومن غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[٥] من رواية أبى هريرة.

هذه الأحاديث شأنها شأن آيات من كتاب الله نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٦٧٠) كتاب الأدب. ولمسلم بلفظ «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» من حديث أبى هريرة رقم (٤٦) كتاب الإيمان. وقوله «بوائقه» البوائق جمع بائقة، وهى الغائلة والداهية والفتك. وأبو شريح هو الخزاعى صحابى اسمه خويلد بن عمرو وقيل هانىء.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٨) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٦٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح مسلم رقم (٦٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح البخارى رقم (١٢٣٥) كتاب الجنائز. صحيح مسلم رقم (١٠٣) كتاب الإيمان. «دعوى الجاهلية» هى النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل وشبهه.

(٥) صحيح البخارى رقم (٦٤٨٠) كتاب الديات. صحيح مسلم رقم (١٠١) كتاب الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [١٠ : سورة النساء].

وقال: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [٩٣ : سورة النساء].

واختلف الناس فى فهم هذه النصوص: فالوعيدية من «الخوارج والمعتزلة» ذهبوا إلى نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد فقالوا: يخلد أصحاب الكبائر فى النار، وكفرهم الخوارج وأنزلتهم المعتزلة بين المنزلتين - بين الكفر والإيمان - وقابل هؤلاء غلاة المرجئة فذهبوا إلى نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد، فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب مهماً كان، سواء كان مكتسباً بالمعاصى، أو بترك الأوامر فأرجئوا الأعمال، وظنوا أن الإيمان المعروف عندهم ينجيهم وحده عند الله.

قال شيخ الإسلام: الذى عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، أنه لا يخلد فى النار من معه شىء من الإيمان، بل يخرج منها من معه مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان.

وأما «**الخوارج**» ومن وافقهم من «المعتزلة» فيوجبون العذاب فى حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم وتجعل «المعتزلة» إنفاذ الوعيد أحد «الأصول الخمسة» التى يكفرون من خالفها، ويخالفون أهل السنة والجماعة فى وجوب نفوذ الوعيد فى مرتكبى الكبائر، وفى تخليدهم فى النار، ولهذا منعت المعتزلة والخوارج أن يكون لنبينا ﷺ شفاعة فى إخراجهم من النار، وهذا مردود بما تواتر عنه من إخراجه من النار من قد دخلها من أصحاب الكبائر أهـ.

قلت: وهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، فجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد وآمنوا بها كلها وقالوا: كل من

عند ربنا، ودلتهم النصوص المتواترة وإجماع أهل الحق من الأمة على أن المسلم لا يكفر بارتكاب كبيرة لم يستحلها سوى الشرك الأكبر، فأجمعوا على أن العاصى الموحد مؤمن بإيمانه فاسق بعصيانه، فإن مات من غير توبة فأمره إلى الله إن شاء عفى عنه، وإن شاء عذبه بقدر ما أراد من ذنبه ثم يدخله الجنة.

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه، قال: كنا عند النبى ﷺ فقال: **«بَايِعُونِى عَلَى أَن لاَّ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ تَسْرِقُوا وَلاَ تَزْنُوا، فَمَن وَفَى مِنكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شيئاً فَعُوقِبَ به فَهوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِن ذَلِكَ شيئاً فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، فهو إِلَى اللَّهِ إِن شَاءَ غَفَرَ لهِ وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»** متفق عليه(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلاَثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَن مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ، وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الْإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَنِى اللَّهُ إِلى أَن يُقَاتِلَ آخِرُ أُمتِى الدَّجَّالَ لاَ يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»** رواه أبو داود(٢) حديث لا بأس به سكت عنه المنذرى.

قال النووى تبعاً للقاضى عياض:

مذهب أهل السنة من السلف والخلف بأجمعهم: أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصى:

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٤٠٢) كتاب الحدود. صحيح مسلم رقم (١٧٠٩) كتاب الحدود.

(٢) سنن أبى داود رقم (٢٥٣٢) كتاب الجهاد. قوله: «ثلاث من أصل الإيمان» أى ثلاث خصال. من أسس الإيمان أولها: «الكف عن من قال لا إله إلا الله...» ثانيها: مضى الجهاد ونفوذه. وثالثها: «الإيمان بالأقدار».

كالصغير والمجنون والتائب توبة صادقة إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذى لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً.

وأما من كانت معصيته كبيرة ومات من غير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفى عنه وأدخله الجنة أولاً، وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة، فلا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصى ما عمل، قال:

وهذا مختصر جامع لمذهب أهل السنة فى هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة بنصوص متواترة تحصل العلم القطعى، وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة أهـ.

وقال القاضى عياض: بعد تقريره ما ذكرناه من عقيدة أهل السنة فى أصحاب الكبائر وإجماعهم على ذلك والكلام حول الأحاديث السابقة - قال: ويمكن أن تستقل هذه الأحاديث بنفسها ويجمع بينها فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد، إما معجلاً معافى، وإما مؤخراً بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود فيها أهـ. انظر شرح النووى لصحيح مسلم ١/٢١٧ - ٢٢٠.

قلت: وهكذا تأول معظم أهل السنة هذه الأحاديث وما فى معناها من الآيات القرآنية للقاعدة المقررة عند الفقهاء وهى: وجوب الجمع إذا أمكن بين النصوص عند تعارض ظواهرها، ذلك لأن نصوص الوحى كلها حق والحق لا يختلف ولا يتضارب، وإنما يفسر بعضه البعض الآخر. قال النووى: وهنا وجب الجمع فجمعنا وتأولنا أهـ.

ومن أحسن من وقفت على بحثه لهذا الموضوع إمام أهل السنة أبو عبيد القاسم بن سلام ولفائدته وحسنه نقلت منه ما يلى:

قال الإمام أبو عبيد «فى كتاب الإيمان» لما ذكر هذه الأحاديث: قد كان الناس فيها على أربعة أصناف من التأويل: فطائفة: تذهب إلى كفر النعمة، وثانية تحملها على التغليظ والترهيب، وثالثة تجعلها كفر أهل الردة، ورابعة تذهبها كلها وتردها. قال: فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة.

والذى يرد المذهب الأول: أن العرب لا يعرفون من لغتهم كفران النعم إلا بالجحد لإنعام الله وآلائه، وهو كالمخبر عن نفسه بالعدم وقد وهب الله له الثروة، أو بالسقم، وقد من الله عليه بالسلامة، فهذا ونحوه هو الذى تسميه العرب كفراناً.

وأما القول الثانى المحمول على التغليظ فمن أفظع ما تأول به على رسول الله ﷺ، وأصحابه، أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه لاحقيقة له، وهذا يؤول إلى إبطال العقاب، لأنه إن أمكن ذلك فى واحد منها كان ممكناً فى العقوبات كلها.

وأما الثالث الذى بلغ كفر الردة نفسها فهو شر من الذى قبله، لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل، فكفروا الناس بصغار الذنوب وكبارها. ثم قد وجدنا الله تعالى يكذب مقالتهم، وذلك أنه حكم فى السارق بقطع اليد، وفى الزانى والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا القتل، لأن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1] وكذلك قول الله تعالى: ﴿. . .وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا. . .﴾ [٣٣: سورة الإسراء]. فلو كان القتل كفراً ما كان للولى عفو ولا أخذ دية ولزمه القتل.

---

(١) حديث ثابت، وسيأتى ذكر من رواه فى مبحث النفاق.

وأما القول الرابع الذى فيه تضعيف هذه الآثار فليس مذهب من يعتد بقوله، فلا يلتفت إليه، إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم، وعييت أذهانهم عن وجوهها، فلم يجدوا شيئاً أهون عليهم من أن يقولوا: متناقضة فأبطلوها كلها. قال:

وإن الذى عندنا فى هذا الباب كله: أن المعاصى والذنوب لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً، ولكنها إنما تنفى من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذى نعت الله به أهله واشترطه عليهم فى مواضع من كتابه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿. . . وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١١١ ـ ١١٢: سورة التوبة]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [١ ـ ١١: سورة المؤمنون]. وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا . . .﴾ [٢ ـ ٤: سورة الأنفال].

قال أبو عبيد: فهذه الآيات التى شرحت وأبانت شرائع الإيمان المفروضة على أهله، ونفت عنه المعاصى كلها، ثم فسرته السنة بالأحاديث التى فيها خلال الإيمان، فلما خالطت هذه المعاصى هذا الإيمان المنعوت بغيرها، قيل: ليس هذا من الشرائط التى أخذها الله على المؤمنين، ولا الأمانات[١] التى يعرف بها أنه الإيمان، فنفت عنهم حينئذ

(١) هكذا هذه الكلمة فى الأصل، ولعلها: الأمارات. كما قال محقق الكتاب وكما هو دلالة السياق.

حقيقته ولم يزل عنهم اسمه، قال: فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟

قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر فى إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً، وإنما وقع معناهم ها هنا على نفى التجويد، لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم، وغير عامل فى الاتقان، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا، وذلك كرجل يعق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال: ما هو بولد، وهم يعلمون أنه ابن صلبه، ثم يقال: مثله فى الأخ والزوجة والمملوك، وإنما مذهبهم فى هذا: المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر.

وأما النكاح والرق والأنساب، فعلى ما كانت عليه أماكنها وأسماؤها، فكذلك هذه الذنوب التى ينفى بها الإيمان، إنما أحبطت الحقائق منه الشرائع التى هى من صفاته، فأما الأسماء فعلى ما كانت قبل ذلك ولا يقال لهم: إلا مؤمنون، وبه الحكم عليهم.

قال: وأما السنة فحديث النبى ﷺ فى الأعرابى الذى صلى صلاة فخففها فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع فصل فإنك لم تصل» وهو قد رآه يصليها، أفلست ترى أنه مصل بالاسم، وغير مصل بالحقيقة. إلى أن قال: وكذلك الأحاديث التى فيها البراءة مثل قوله: من فعل كذا وكذا فليس منا، لا نرى شيئاً منها يكون معناه التبرؤ من رسول الله ﷺ، ولا من ملته، إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا، ولا من المحافظين على شرائعنا، وما أشبه ذلك.

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصى، فإن

معناها عندنا: ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التى عليها الكفار والمشركون، وقد وجدنا على ذلك الدلائل من الكتاب والسنة نحواً مما وجدنا فى النوعين الأولين وذكر آيات وأحاديث كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [٤٤: سورة المائدة]. قال ابن عباس ليس كفراً ينقل عن الملة. أهـ ملخصاً كتاب الإيمان ٣٨ ـ ٤٥.

وقال الإمام تقى الدين: التحقيق أن يقال: إن الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهى، والعبد عليه أن يصدق بهذا وبهذا، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط، لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة، لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب. وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك فى موارد النزاع.

فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وأنه يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبى ﷺ فى أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل، وأنه إنما يتقبل من المتقين. أى فى ذلك العمل.

فجعل ـ سبحانه ـ للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شىء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شىء يبطل جميع الحسنات إلا الردة أهـ. انظر

مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣.

والحاصل: أنه اختلفت أنظار العلماء فى تلك النصوص فمنهم من لا يرى تأويلها البته، ومنهم من تأول نفى الإيمان بأن المراد به نفى كماله، وصححه النووى فى شرح مسلم ونسبه للمحققين.

ومنهم من قال: ينزع منه اسم المدح الذى سمى الله به أولياءه، فلا يقال فى حقه مؤمن، ويستحق اسم الذم فيقال: زان سارق فاسق فاجر. قاله الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى.

ومنهم من قال: ينزع منه الإيمان حال المعصية ثم يعود إليه إذا تاب أو أقلع، رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس موقوفاً ورواه أبو داود والطبرى مرفوعاً فى الزنا خاصة ويقاس عليه باقى الكبائر.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا زَنَى الرَّجلُ خَرَجَ مِنهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيهِ كَالظُّلَّةِ فَإِذَا انْقَطَعَ رَجعَ إِلَيهِ الْإِيمَانُ**» رواه أبو داود، ورواه الترمذى[1] مرفوعاً معلقاً.

ومنهم من قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، فيصير مسلماً لا مؤمناً وذلك هو معنى نفى الإيمان، روى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر.

وقيل فى تأويل الكفر: إنه كفر دون كفر، أو أن الموصوف بالكفر شابه الكفار فى استحلالهم القتل والمعصية.

---

(١) سنن أبى داود رقم (٤٦٩٠) كتاب السنة. وجامع الترمذى رقم (٢٦٢٥) كتاب الإيمان. قوله: «كالظلة» الظلة هى كل ما أظلك من فوقك وتجمع على ظلل. وقوله: مرفوعاً معلقاً: أى رواه عن النبى ﷺ بدون سند.

وقد قدمنا التأويلات التى ذكرها أبو عبيد وبين بطلانها.

وتأولوا قوله: «ليس منا» ونحوها: أنه ليس متبعاً لطريقة النبى ﷺ ومنهجه، أوليس على سيرته وسنته كما ذكره أبو عبيد.

ثم إن الوعيد فى قتل المسلم لا يتناول قتال الفئة الباغية، ولا يتناول ما كان بتأويل كما وقع فى قتال الصحابة فهذا لا يتناوله الذم ولا الوعيد، ولهذا فلم يكفر أحد منهم الآخر ولم ترد رواية أحد منهم رضى الله عنهم أجمعين.

وقد كان بعض السلف يرى إطلاق لفظ نصوص الوعيد من غير تعرض لتأويلها، لأن ذلك أبلغ فى الزجر وأوقع فى النفوس، فكان سفيان ابن عيينة ينكر تأويلها ويرى أن الإمساك عن تأويلها أولى، وكان محمد ابن شهاب الزهرى، يذهب إلى الإيمان بها وعدم الخوض فى معناها، وكان يقول: أَمِرُّوها كما أمرَّها من قبلكم، نحن لا نعلم معناها أهـ. بنقل النووى والحافظ.

قال الإمام تقى الدين: قد نقل كراهة تأويل أحاديث الوعيد: عن سفيان، وأحمد بن حنبل، وجماعة كثيرة من العلماء، وقد تأول الخطابى وغيره حديث «لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» تأويلات مستكرهة كقولهم: لفظه لفظ الخبر ومعناه النهى: أى ينبغى للمؤمن أن لا يفعل ذلك، وقولهم: المقصود به الوعيد والزجر دون حقيقة النفى أهـ.

قلت: هذا التأويل يقوى باطل غلاة المرجئة فى قولهم: المقصود بالنهى عن المعصية الزجر لا الحظر.

مبحث: الكفر لغة وشرعاً ومتى يحكم به

الكفر فى اللغة الستر والتغطية، وسمت العرب الليل بالكافر لتغطية ظلامه ضوء النهار، وجحد النعمة كفرها، ومنه قوله تعالى: ﴿ . . . وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٢: سورة النحل]. وسمى الزارع كافراً لأنه يدفن الحب فى الأرض ويغطيه، ومنه قوله تعالى - فى مثل الحياة الدنيا - ﴿ . . . كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا . . . ﴾ [٢٠: سورة الحديد].

والكفر شرعاً: جحود الحق وستره والإباء عن اتباع منهج رُسُلِ الله بعد بلوغ دعوتهم عناداً، وهذا الجاحد كافر بلا شك.

قال تعالى - عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [١٣ ـ ١٤: سورة النمل]. أى تيقنوا أن الآيات التى جاء بها موسى حق، وأنها من عند الله تعالى، ولكنهم جحدوا ذلك وأصروا على الكفر والعناد عن علم وبصيرة.

وقال تعالىٰ - عن كفار قريش مع محمد ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [٣٣: سورة الأنعام]. أخبر سبحانه أن قريشاً كانوا على يقين من صدق محمد ﷺ ولكنهم أنكروا ما جاء به مع العلم فكفروا، لأن الكفر عدم الإيمان بما أمر الله بالإيمان به: كالإيمان به تعالى وملائكته وكتبه ورسله.

قال الشيخ تقى الدين: الكفر هو عدم الإيمان باتفاق المسلمين،

سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم، ولا فرق فى ذلك بين مذهب أهل السنة والجماعة الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً بالباطن والظاهر، وقول من يجعله نفس اعتقاد القلب، فأهل السنة وجميع الطوائف متفقون على أن من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة فهو كافر، سواء كان مكذباً أو مرتاباً، أو معرضاً، أو مستكبراً، أو متردداً، أو غير ذلك والكفر بعضه أغلظ من بعض، فالكافر المكّذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب، ومن كفر وكذب وحارب المؤمنين بيده أو لسانه أعظم جرماً ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب. مجموع الفتاوى ٢٠/٨٦ ـ ٨٧.

والشك فى أصول الدين كفر، والشك هو التردد بين شيئين، فالذى لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه، ولا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الخمر والزنا ولا عدم تحريمهما: كافر بنص القرآن وإجماع الأمة، وكذلك من يعتقد صدق الرسول، ووجوب الصلاة وتحريم الزنا ونحوه ولكنه يمتنع من الإلتزام بما اعتقده استكباراً أو حسداً للرسول، أو بغضاً لله ورسوله، أو عصبية لدينه، فيقول: أنا اعتقد أن الرسول صادق، وأن الله أوجب هذا وحرم هذا، فهذا كافر بإجماع المسلمين. فقد صرح القرآن بكفر الشاك فى سورة الكهف فى قصة صاحب الجنتين، وإبليس اللعين لم يكن جاحداً لإيجاب السجود عليه، وإنما أبى واستكبر وكان من الكافرين، وأبو طالب عم الرسول ﷺ كان مصدقاً للنبى فيما جاء به، ولكنه لم يتبعه حمية لدينه وخوفاً من عار الانقياد واستكباراً أن تعلوَ اسْتُه رأسَه.

وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس، ويوضحه أن كثيراً من الفقهاء

يقولون فى تارك الصلاة: إن تركها جاحداً وجوبها كفر، وإن تركها مقراً بوجوبها فمحل خلاف، كفَّره البعض وفسقه الباقون. والصحيح أن القسمة ثلاثية: أحدها: إن جحد وجوبها فهو كافر بالإتفاق، ثانيها: أن يكون مقراً بوجوبها ملتزماً، لكنه تركها كسلاً أو تهاوناً أو اشتغالاً بأغراض له عنها، فهذا هو محل الخلاف بين الأئمة. ثالثها: أن لا يجحد وجوبها بل يقربه، لكنه يمتنع من التزام فعلها استكباراً أو بغضاً للشرع، أو حسداً للرسول فهذا كافر بإجماع المسلمين.

قال الشيخ تقى الدين: إن هنا أصلين عظيمين: «أحدهما» أن الإيمان والهدى فيما جاء به الرسول ﷺ، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق، فنفى صفات الله كفر، والتكذيب بأن الله يرى فى الآخرة أو أنه على العرش، أو أن القرآن كلامه، أو أنه كلم موسى ونحو ذلك، وهذا معنى كلام أئمة السنة. «الأصل الثانى»: أن التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار فهذا لا بد له من دليل معين، فالحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه أهـ.

واقتضت حكمة الله تعالى أنه لا يؤاخذ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وقطع عذره بإنذار رسله وإنزال كتبه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ . . .﴾ [١١٥: سورة التوبة].

ودل النقل والعقل على أن هناك فرقاً بين الكفر والكافر، فالكفر: أعمال وأقوال مناقضة للإيمان منافية له، والكافر هو الشخص الذى بلغته الدعوة وظهرت له أدلة الإيمان وبراهين التوحيد فزاغ عنه ورده.

وقد تصدر من المسلم أمور هى مما ينافى الإيمان، أو يرد الحق

جاهلاً أو يرتكب لجهله من الأمور ما هو كفر، فهذا لا يحكم بكفره حتى يبين له أن هذا الأمر كفر أو شرك فإن تاب وأذعن للحق فهو متمسك بدينه، وإن تمسك بما يقتضى الكفر فقد كفر، والمتأول يدرؤ عنه تأويله الكفر فى حدود موازين الشرع الحكيم.

وشأن المسلم إذا وقع فى مثل هذه الأمور: أن يبين له الشرع بهدوء ولا يعنف، هكذا فعل النبى ﷺ مع من صدر منه ما ينافى الإيمان فى وقائع متعددة وكان يعلِّمُ أصحابها ويعظم الله وينزهه.

فمن المشهور عنه أن رجلاً قال له: ما شاء الله وشئتَ، فقال النبى ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِى لِلَّهِ نِدّاً؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**». ومسلمة الفتح لما خرجوا معه إلى حنين طلبوا منه ما هو شرك فعلمهم ولم يعنف:

عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه، قال: خرجنا مع النبى ﷺ إلى غزوة حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، فمر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كمالهم ذات أنواط، فقال النبى ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ** ﴿. . . ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ . . .﴾ [١٣٨ : سورة الأعراف] «**والذى نفسى بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**». رواه الترمذي[(١)] وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائى فى تفسيره[(١)]. وابن حبان فى صحيحه، والإمام أحمد فى مسنده. وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات.

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢١٨٠) كتاب الفتن. النسائى رقم (٢٠٥) تفسير سورة الأعراف. وقوله فى الحديث «ذات أنواط» أى شجرة ذات تعاليق، كانوا فى الجاهلية يعلقون عليها أسلحتهم ليلة المعركة، ويعكفون عليها زاعمين أن ذلك يجلب النصر فى القتال. وأبو واقد الليثى: صحابى مشهور بكنيته، قيل: اسمه الحارث بن مالك، وقيل عوف بن الحارث.

والخطأ الاجتهادى فى مسائل الفروع لا يقتضى كفراً ولا إثماً، لأن الخطأ مرفوع عن هذه الأمة وأحرى أن يكون بعد الاجتهاد.

قال الشيخ تقى الدين: قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ فى الدين ما لا يكفر صاحبه، بل ولا يفسق، بل ولا يأثم، مثل الخطأ فى الفروع العلمية، وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن المخطىء فيها آثم فهذا قول شاذ أهـ.

والحكم على المسلم بالكفر أمر خطير، ويتسرع فيه بعض الناس، قال العلامة ابن دقيق العيد: تكفير المسلم ورطة عظيمة وقع فيها خلق من العلماء اختلفوا فى العقائد وحكموا بكفر بعضهم بعضاً أهـ.

وقال الشيخ تقى الدين: يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت فى الإسلام، فالخوارج أول من ابتدع تكفير المصلين، وبدعة الخوارج إنما هى من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته أهـ.

قلت: قد شاع فى كثير من ديار الإسلام فى زماننا هذا تكفير المسلمين بدون رجوع إلى الكتاب والسنة بل ولا إلى أقوال الأئمة، وغالباً ما يقع ذلك من أحد رجلين: «الأول» جاهل بأصول الدين، تعلم نصوصاً فقهية من بعض فروع أحد المذاهب المدونة، أو تربى على عادات جاهلية أو بدع مضلة، يكفر كل من خالف ما سمعه من مشائخه، فقهاء أو صوفيين، متبعين أو مبتدعين، أو خالف ما تعوده من بدع فى الدين أو عادات. ولو كان معنى آية محكمة أو حديثاً صحيحاً صريحاً عن صاحب الشرع ﷺ. «الثانى» من ينتمى إلى طائفة تنطعت فى الدين، واتبعت غير سبيل المؤمنين، وسلكت منهج الخوارج فى تكفير المسلمين، واقتنعت بفهم خاطىء لنصوص من الوحى تضرب بعضها ببعض، وجهلوا ما فى

تكفير المسلم من الوعيد الشديد، وجهلوا أو تجاهلوا متى يحكم على المسلم بالردة، ولم يفرقوا بين الكفر والكافر.

ولنستمع إلى بعض ما ورد من الوعيد فى تكفير المسلمين.

عن أبى ذر، رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لاَ يَرْمِى رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِن لَّمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»** رواه البخارى[١] وروى مسلم نحوه.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَيُّمَا امْرِىءٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا: إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ»** متفق عليه[٢].

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلاً مُسْلِماً: فَإِنْ كَانَ كَافِراً، وَإِلاَّ كَانَ هُوَ الْكَافِرُ»** رواه أبو داود[٣].

والأحاديث كثيرة فى هذا المعنى والواجب أن يحتاط فى تكفير المسلم. ولدينا مثال يوضح ذلك: أجمعت الأمة المحمدية على أن السجود لغير الله كفر مخرج من الملة، ومثله إلقاء المصحف فى النجاسة، كلاهما من أغلظ الكفر المخرج من الملة، فإذا صدر من شخص مسلم نحو هذا ـ وهو غير متهم بالزندقة ـ فيجب أن لا يحكم عليه بالكفر حتى يعلم قصده، نعم هذا العمل كفر بلا شك، لكن الحكم على صاحبه بذلك يحتاج إلى العلم بأنه عالم متعمد، فقد يكون سجد لغير لله تعالى وهو مكره، وقد يكون جاهلاً بأن ما ألقاه قرآنٌ أو يكون الذى ألقاه فيه معتقداً

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٦٩٨) كتاب الأدب.

(٢) صحيح مسلم رقم (٦٠) كتاب الإيمان. صحيح البخارى رقم (٥٧٥٣) كتاب الأدب.

(٣) سنن أبى داود رقم (٤٦٨٧) كتاب السنة. قوله: «أكفر مسلماً» أى نسبه إلى الكفر ورماه به.

أنه طاهر غير قذر. وليس معنى ذلك أنه لا يكفر ولا يقتل بالكفر إلا العالم والجاهل معذور، كلا، إن العلم فى هذا الباب المراد به بلوغ الحجة، لا فهمها وقيام الحجة حاصل لكل من بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن، فلا عذر لأحد بعد ذلك بالجهل، لأن الله ذكر فى مواضع من القرآن جهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم، ووصف النصارى بالجهل ولا يشك مسلم فى كفرهم، وأكثر اليهود والنصارى جهال مقلدون، ولا شك فى كفرهم، ومن شك فى كفرهم فهو كافر.

ودين الله الإسلام مندرج تحت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن نطق بهما بلسانه وأقربهما بجنانه ولم يأت بما ينقض ذلك من قول أو عمل أو اعتقاد، فقد ولج باب الإسلام وفارق الكفر، هى شهادة الحق تجُبُّ ما قبلها، فتجتث الكفر من أصله، وتخلع الأنداد، وتنقض جميع التصورات الباطلة فى المعتقدات.

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن كلما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام - وهو بالغ صحيح العقل - أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتداً، ويجب عليه ما يجب على المرتد أهـ.

ومن أكبر أسباب الكفر الإتيان بما يناقض هاتين الشهادتين: فشهادة أن لا إله إلا الله يناقضها نفى استحقاق الله للألوهية، وهى: العبادة بجميع أنواعها، وكذلك إثبات ما يستحقه الله من العبادات لأى مخلوق من المخلوقات. وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ يناقضها أمران: الطعن فى شخصية الرسول ﷺ وإنكار ما أخبر به. فيكفر كل من طعن فى صدق الرسول أو أمانته أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك.

ويكفر من سبه، أو استهزأ به. ويكفر من أنكر ما أخبر به الرسول ﷺ وثبت عنه من العقائد والتشريعات أو المغيبات أو غير ذلك، ويكفر من أنكر شيئاً من القرآن أو كذب بشيء مما ورد فيه كإرسال الرسل وما جرى بينهم وبين أممهم.

ومن أغلظ الكفر الاستهزاء بالله سبحانه أو بشرعه، والاعتراض على أحكامه، كمن يقول: إن القرآن بخس حقوق المرأة فى الميراث أو غيره. وكذلك من رفع رأسه يطالب بتحليل ما حرم الله من الضروريات كالخمر والزنا ونحوهما، أو قال لِمَ تفرض الصلاة والزكاة علينا الأولى نوع رياضة والثانية جزية أو أخت الجزية. وكذلك من يقول: إن الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار لا معنى لها ولا داعى إليها وأنها نوع رياضة فحسب، وكذلك من يعترض على شرعية الحجاب الذى أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يأمر به نساء المؤمنين، قائلاً: إنه تزمت وتأخر ورجعية.

ويكفر من نفى الكفر عن الكفار المعروف كفرهم كاليهود والنصارى والمجوس والمشركين من عبدة الأوثان، والشيوعيين وغيرهم، ممن عرف كفره، يكفر من اعتقد عدم كفرهم، أو صحح مذاهبهم، أو اعتقد أنهم لا يخلدون فى النار، أو زعم أن الله يغفر لهم فيدخلهم الجنة، أو شك فى ذلك لأنه كذب الله ورسله.

ومن الكفر موالاة الكفار والرضا بما هم عليه، فقد صرح الله فى القرآن بأن الإيمان به وبرسوله لا يجتمع مع موالاة الكفار. قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

[٨٠ ـ ٨١: سورة المائدة]. والآيات فى هذا كثيرة.

فيتخلص مما ذكر ههنا وفى مواضع أخرى أن الكفر أنواع متعددة نذكر معظمها للتنبيه عليه.

١ ـ أولها: كفر الجحود والتكذيب، وهو الغالب، ويكون مع معرفة المبلِّغ وهو الرسول، ومعرفة المبلَّغ وهو القرآن ويكون مع جهلهما: الأول ككفر أهل الكتاب وكثير من كفار قريش، والثانى: ككفر أكثر المشركين الأميين.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٤٦: سورة البقرة].

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٣٣: سورة الأنعام].

٢ ـ كفر من لم يؤمن بما أمر الله بالإيمان به، سواء اعتقد ضده أو لم يعتقد شيئاً، تكلم بالكفر أو لم يتكلم به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [١٧٩: سورة الأعراف].

٣ ـ كفر شك وتردد، فلا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه، ولا بوقوع البعث ولا بعدم وقوعه، ولا يجزم بوجوب الواجبات ولا عدم وجوبها، ولا يجزم بتحريم المحرمات ولا عدم تحريمها مثل كفر صاحب الجنتين الذى ﴿...قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۞ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [٣٥ ـ ٣٧: سورة الكهف].

٤ ـ كفر الإعراض عن الرسول ﷺ، فلا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى إلى ما جاء به، ويرى أنه لا يلزم الخلق متابعة الرسول ﷺ وتصديقه، وإن اعتقد عظمة الرسول علماً وعملاً وأنه يجوز تصديقه وطاعته، ولكنه يعتقد أنه لا حرج فى اختلاف الملل إذا كان المعبود واحداً، وأن ذلك مثل التمسك بمذهب إمام أو طريقة شيخ. وهذا كفر الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [٣: سورة الأحقاف].

٥ ـ كفر الاستكبار والعناد، ككفر إبليس فإنه لم يستطع أن يجحد أمر الله تعالى لأنه باشره به، وإنما قابله بالإباء والاستكبار. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [٣٤: سورة البقرة].

٦ ـ كفر الحمية والأنفة لدين الآباء، ولو صدق الرسول ﷺ ووالاه: ككفر أبى طالب وأمثاله، فمن لم يتبع النبى ﷺ فيما جاء به، حمية لما وجد عليه ءاباءه أو خوفاً من تعيير الكفار بمتابعة الرسول ولو صدقه وأحبه ونصحه فهو كافر، وكفره من هذا الباب.

٧ ـ كفر ردة، وهو الرجوع عن الإسلام. قال تعالى: ﴿... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [٢١٧: سورة البقرة]. وهو أغلظ من كفر الكافر الأصلى، أى الذى لم يسلم قط، فإذا تاب المرتد كغيره من جميع الكفار وحسن إسلامه تاب الله عليه، فإنه هو التواب الرحيم وقال النبى ﷺ «والتوبة معروضة بعد» أما كفر النفاق والشرك فقد خصصت لكل منهما مبحثاً كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى.

مبحث: النفاق خصاله وأنواعه وأحكامه

* التوابع

النفاق فى الأصل إظهار الخير وإسرار الشر، ثم غلب على إظهار الإسلام مع إبْطَانِ الكفر، وهو صنفان:

١ ـ نفاق اعتقاد. ٢ ـ نفاق عمل.

والمنافقون أيضاً صنفان: منافق خالص النفاق، ومنافق فيه شعبة من النفاق، وذلك النفاق إما اعتقادى كما دلت عليه آيات وأحاديث، أو عملى بدلالة أحاديث ثابتة، وقد يجتمع فى قلب الإنسان شعبة من إيمان، وشعبة من نفاق. وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وأدلته كثيرة.

وللنفاق خصال وعلامات، أمهاتها: الكذب، الخيانة للأمانة أياً كانت، إخلاف الوعد، الفجور فى الخصومة، الحلف على الكذب، الغدر بعد العهد، مودة الكافرين وموالاتهم، وله شعب كثيرة وصور شتى ويدخل فيه الفعل والترك.

والنفاق الاعتقادى الكفرى: هو عقد القلب على التكذيب، والجحود بما جاءت به رسل الله، وإظهار التصديق والاتباع لرسل الله وشرعه، وهذا النوع هو شر أنواع النفاق، ولذا خص أصحابه بالدرك الأسفل من النار، وقد أكثر القرآن من ذكره وفضح أسرار أهله فى عدة سور منها: سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة النساء، سورة التوبة ـ وتسمى الفاضحة ـ سورة الأحزاب، سورة المنافقون.

ومن لطائف القرآن الكريم أن عشرين آية من أول سورة البقرة قسمت الناس أقساماً:

١ ـ مؤمنون خلص، هم الموصوفون بالآيات الأربع فى أولها.

٢ ـ كفار خلص، هم الموصوفون بالآيتين بعدها.

٣ ـ منافقون، هم الموصوفون بالآيات الثلاث عشرة بعدها.

وهم منافقون خلص، وهم المضروب لهم المثل النارى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا . . .﴾ [١٧ : سورة البقرة]. منافقون يترددون يظهر لهم لمع الإيمان تارة ويخبو تارة فيشكون، وهم أصحاب المثل المائى والرعد والبرق ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ . . .﴾ [١٩ : سورة البقرة].

ولما كانت القلوب أوعية كل خير وشر والسلوك أثر لذلك قُسِّمَتْ فى حديث هو كالتفسير للآيات السابقة.

عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْقُلوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فيه مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ، وَقلب أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقلب مَنكُوسٌ، وقَلب مُصَفَّحٌ، فَأَمَّا الْقلبُ الأَجْرَدُ فقلبُ الْمؤمِن سِراجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا القلب الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا القلب الْمَنكُوسُ فقلبُ الْمنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أَنكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصَفَّحُ فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ: كَمَثَلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَىُّ الْمدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الأُخْرَىٰ غَلَبَتْ عَلَيْهِ»**. رواه الإمام أحمد فى مسنده(١) قال الحافظ ابن كثير: وإسناده جيد حسن.

---

(١) المسند/ ٣/ ١٧ وقوله فى الحديث: «قلب أجرد» أى سليم من شبهات الباطل وشهوات الغى «والسراج» نور الإيمان و«الأغلف» الداخل فى غلاف فلا يصل إليه نور العلم والإيمان و«المنكوس» المقلوب رأسه أسفل «والمصفح» لم يتمكن فيه الإيمان تارة يكون للكفر أقرب، وتارة يكون للإيمان أقرب، والحكم للغالب.

وهذا الحديث صح عن حذيفة بن اليمان موقوفاً ولكن رواية من رفعه كأبى سعيد مقدمة كما هو مقرر فى فن المصطلح.

ونفاق العمل من أكبر الذنوب الموبقات، وله شعب وصور شتى، منها الرياء والسمعة، والتصنع للمخلوق ومن أخبث صور النفاق فى عصرنا الحاضر، موالاة الكفار من غير عذر مبرر مع إخلاص المودة لهم، ومن ذلك الانتماء طواعية لحزب لا يعترف بشرع الله تطبيقاً، وقد يتسمى باسم الإسلام نفاقاً وخداعاً لعوام المسلمين، وهو فى الحقيقة حرب لله ورسوله. والحكم بالردة أو الكفر على من ذكر مرهون بتحقيق شرعى.

■ **خصال النفاق:**

عن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَرْبَعُ خِلاَلٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا»** متفق عليه[1] وفى لفظ للبخارى **«إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»** مكان **«إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»**[1].

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»** متفق عليه[2].

وفيه زيادة فى رواية انفرد بها مسلم عن البخارى **«آيَةُ الْمنَافِقِ ثَلاَثٌ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»**[2].

قال الحافظ: وجه الاقتصار على هذه الثلاث، أنها منبهة على ما عداها، إذ أصل الدين منحصر فى ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف أهـ.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٠٠٧) كتاب الجزية، ورقم (٣٤) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٣) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (٥٩) كتاب الإيمان.

وهذا الحديث مما تأوله أهل السنة لإجماعهم على أن المسلم لا يكفر بارتكاب الذنوب الكبائر ما لم يستحلها.

قال النووى: - فى شرحه لمسلم - هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث أن هذه الخصال توجد فى المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ولا هو منافق مخلد فى النار، فإن إخوة يوسف جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، والحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال. والذى قاله المحققون: أن معناه أن هذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين ومتخلق بأخلاقهم، ويكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه من الناس.

وقيل: المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير وعطاء، والحسن، ومروى عن ابن عباس وابن عمر، قال القاضى عياض: وإليه مال كثير من أئمتنا أهـ.

وقال الحافظ: المراد بالنفاق هنا نفاق العمل، وهو الذى ارتضاه القرطبى، واستدل له بقول عمر بن الخطاب لحذيفة: هل تعلم فىّ شيئاً من النفاق؟ فإن عمر لم يرد بذلك نفاق الكفر، وإنما أراد نفاق العمل.

وكان أول ظهور أمر المنافقين بعد غزوة بدر الكبرى، قال رأسهم عبد الله بن أبى: هذا أمر توجه، فبايعوا رسول الله ﷺ، وكانوا زمرة من الأوس والخزرج وما انضم إليهم من الأعراب. ويرد فى بعض الأحاديث وصفهم بالصحبة كما فى أحاديث الورود على حوض النبى ﷺ وقوله: «... **فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك...**». وليس المنافقون معدودين فى الصحابة إلا نسبة لما يظهر منهم، كيف وهم

كفار مخلدون فى النار والصحابة رضى الله عنهم ورضوا عنه ـ إن شاء الله ـ ومن الأحاديث فى وصف المنافقين ما ورد:

عن عمار بن ياسر، رضى الله عنه، قال: أخبرنى حذيفة عن النبى ﷺ أنه قال: «**فِى أُمَّتِى اثْنَا عَشَرَ مُنافِقاً لا يَدْخُلونَ الجنة ولاَ يَجِدُونَ رِيحَهَا، حتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ منهم تَكْفِيكَهُم الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ من النارِ يَظْهَرُ فِى أَكْتَافِهِم، حتى يَنْجَمَ مِن صُدُورِهِم**» رواه مسلم[(١)].

ومن أكثر الأحاديث نعتاً لصفات المنافقين الخلص ما خرجه الإمام أحمد والبزار.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «**إن للمُنَافِقِينَ علاماتٍ يُعرَفُون بها: تَحِيَّتُهم لَعْنَةٌ، وطعامُهم نُهْبَةٌ، وغَنِيمَتُهم غُلُولٌ، وَلاَ يَقْرَبُون المساجدَ إلا هَجْراً، وَلاَ يَأْتون الصلاة إلا دُبُراً، مستَكبِرين لا يَأْلَفُون ولا يُؤْلَفُون، خشُبٌ باللَّيلِ صُخُبٌ بِالنَّهارِ**» وقال الراوى مرة «**سُخُبٌ بِالنَّهَارِ**».

وعن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المنافق كَمَثَل الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً، وإلَىٰ هذه مرة**» رواه مسلم، والنسائى وزاد «. . . **لاَ تَدْرِى أَيَّهُمَا تَتْبَعُ**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٧٧٩) كتاب صفات المنافقين فى رواية له «فى أصحابى» ومعناه الذين ينسبون إلى صحبتى كما قال فى هذه «فى أمتى» و«سم الخياط» ثقب الإبرة، ومعناه لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل فى سم الإبرة أبداً و«الدبيلة» بدال مهملة ثم باء موحدة وقد فسرت فى الحديث «ينجم» يظهر ويعلو.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٧٨٤) كتاب صفات المنافقين. سنن النسائى رقم (٥٠٣٧) كتاب الإيمان وشرائعه. وقوله فى الحديث «كالشاة العائرة» أى المترددة الحائرة لا تدرى أى الغنمين تتبع.

عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ: الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»** متفق عليه[1].

وللبخارى عنه **«تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ: الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»**[1].

قال القرطبى: إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل والكذب.

قال النووى: فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود.

قال الحافظ: ويؤيد هذه التفرقة رواية الإسماعيلى لهذا الحديث بلفظ «... الذّى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِحَدِيثِ هَؤُلاَءِ، وهؤلاء بِحديث هؤلاء» قال ابن عبد البر: حمل هذا الحديث على ظاهره جماعة، وهو أولى، وتأوله قوم على معنى الرياء أهـ.

■ أحكام المنافقين:

للمنافقين ـ الكافرين ـ أحكام جهلها كثير من الناس، الأمر الذى سبب للجهال شبهات وتساؤلات حتى صدر من بعض طلبة العلم فى زماننا من يقول: لِمَ ترك النبى ﷺ المنافقين بدون قتل ولا قتال والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ...﴾. ولو كان هذا القائل على دراية بحكم الله ورسوله فى المنافقين ما صدر منه هذا القول المشبوه. لو علم أن الله تعالى حكم فى المنافقين ـ مع علمه المحيط بهم وبكل شىء ومع علم الرسول بما أطلعه عليه من حال كثير

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٧٥٧) كتاب الأحكام، ورقم (٥٧١١) كتاب الأدب. صحيح مسلم رقم (٢٥٢٦) كتاب البر والصلة.

منهم ـ حكم فيهم بما أظهروه من الإسلام إلى يوم تبلى السرائر، ويمتاز المؤمن من الكافر.

قال الشيخ تقى الدين: ـ فى كتاب الإيمان ـ إن كثيراً من المتأخرين ما بقى فى المظهر للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة أهـ.

قلت: وكانت أحكامهم محل اهتمام العلماء الأقدمين.

قال الإمام ابن عبد البر: قد أفردت لحكم المنافقين ـ فى عهد رسول الله ﷺ، وأحكامهم فى مناكحتهم لبنات المسلمين الصالحين المؤمنين ـ كتاباً أتيت فيه على معانى المنافقين وكيف أقرهم رسول الله ﷺ على مناكحة بنات المؤمنين، وكيف الحكم فيهم عند السلف والخلف بما فيه الشفاء من هذا المعنى. أهـ الاستذكار ٦/٣٣٨.

وأحكام المنافقين متفرعة عن أصل ذكره الله تعالى فى القرآن فى أكثر من آية، وهو: أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بما يظهرونه من الإيمان بألسنتهم، وما يعملونه من بعض وظائف العبادات تقية[1] مع

---

(١) التقية: بفتح التاء وكسر القاف، والياء المشددة، والتقاة: بضم التاء وفتح القاف بعدها ألف مادة. الأولى للرافضة، والثانية لأهل السنة وبها قرأ القراء السبعة فى قوله تعالى: ﴿... إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ...﴾ [٢٨: آل عمران]. واشتهرت عند أهل السنة بأنها حالة عارضة وضرورة قاهرة، تعرض للمسلم مع الكافرين أو الظلمة فيتقى عند شدة الإكراه شرهم، كما حصل لعمار بن ياسر وغيره، والتقية عند الرافضة واجب أساسى دينى، بل يزعمون أنها هى الدين كله، ولا سيما فى معاملتهم مع أهل السنة الذين يسمون بلادهم «دار التقية» وقد اشتهر من قول الرافضة: لا دين لمن لا تقية له. حتى نقلوا عن جعفر الصادق: لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً. هذا وأكثر منه مشهور ومنثور فى كتبهم وأنت خبير بمنهجهم ومذهبهم، وجعفر الصادق برىء مما نسبوه إليه وقد تبرأ هو وغيره من أئمة أهل البيت مما يفتريه هؤلاء عليهم.

إصرارهم على عكس ظاهرهم من الكفر والتكذيب، ولظنهم - الذى أزداهم - أن الذى أبطنوه يخفى على علام الغيوب، وأن الذى روجوه من ذلك على الناس يروج على الذى يعلم السر وأخفى، فخادعهم الله جل وعلا، فأجرى عليهم حكم ما يظهرونه فى الدنيا.

قال تعالى - فى شأنهم - ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [٩: سورة البقرة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ . . .﴾ [١٤٢: سورة النساء].

قال ابن جرير: - عند تفسير هذه الآية - وتأويل ذلك: أن المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر استدراجاً منه لهم فى الدنيا حتى يلقوه فى الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم أهـ.

وهكذا كان النبى ﷺ يعاملهم بالظاهر، ولم يحكم فيهم قط بحكم الكفار المظهرين للكفر، كانوا يتزوجون بنات المسلمين المخلصين ويتزوج المسلمون نساءهم، وكانوا يرثون ويورثون. فقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبى بن سلول، وقد ورثه ابنه عبد الله، وكان من خيار المؤمنين، وكانوا يعطون من المغانم كما يعطى غيرهم من المسلمين، كانوا فى الحقوق والحدود كسائر المسلمين، وكان النبى ﷺ يصلى عليهم إذا ماتوا حتى نهاه الله عن ذلك، وكان بعده يصلى المسلمون على كل من لم يظهر النفاق منهم إذا مات، ولم يدفنوا قط إلا فى مقابر المسلمين، وهكذا الحكم فى كل من أظهر الإسلام يعامل بالظاهر والله يتولى السرائر.

ومن المنافقين من يعرف بالزنديق: وهو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهو الذى كان يسمى على عهد النبى ﷺ بالمنافق، وبعد ذلك العهد الكريم سمى زنديقاً. سئل مالك بن أنس عن الزندقة؟ فقال: ما كان عليه المنافقون على عهد رسول الله ﷺ من إظهار الإيمان وكتمان الكفر: هو الزندقة عندنا اليوم. وهكذا قال غيره من العلماء.

والذى توصلت إليه: أن الزنديق فارسى معرب، وأصل الزنادقة من الثنوية المزدكية، الذين يعتقدون إلهية النور والظلمة، وقام الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر الإسلام بعض من هؤلاء خشية القتل. ومن ثم أطلق الزنديق على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام. ولا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق، بل كل زنديق منافق من غير عكس.

وحكم الزنديق عند كافة العلماء القتل، واختلفوا فى استتابته، أى هل يترك إذا ادعى التوبة وهل يمهل لأجلها أو لا؟

قال ابن عبد البر: اختلف العلماء فى استتابة الزنديق المشهود عليه بالكفر والتعطيل وهو مقر بالإيمان مظهر له، جاحد لما شهد به عليه منكر له، فقال مالك وأصحابه: يقتل الزنادقة ولا يستتابون، قيل لمالك: فَلِمَ يقتل الزنديق ورسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين وقد عرفهم؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لو قتلهم لعلمه فيهم وهم يظهرون الإيمان لكان ذلك ذريعة إلى أن يقول الناس: قتلهم للضغائن والعداوة، أو لما شاء الله غير ذلك، فيمتنع الناس من الدخول فى الإسلام. قال: هذا معنى قول مالك.

وقد احتج عبد الملك بن الماجشون فى قتل الزنديق بقول الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [٦٠ ـ ٦١: سورة الأحزاب].

يقول: إن الشأن فيهم أن يقتلوا حيث وجدوا، ولم يذكر استتابة، فمن لم ينته عما كان عليه المنافقون فى زمن النبى ﷺ قتل حيث وجد أهـ.

قال ابن عبد البر: مالك وأصحابه كلهم ـ إلا ابن نافع ـ يجعلون مال الزنديق إذا قتلوه لورثته المسلمين، وهم إنما يقتلونه على الكفر، فكيف يرثه المسلمون، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ**. . .»[١] وأما ابن نافع فيروى عن مالك أن ميراثه فىءُ لجماعة المسلمين. قال: فهذا أبين، لأن الدم أعظم حرمة من المال، والمال تبع له.

واختلف قول أبى حنيفة، وأبى يوسف فى الزنديق، فقالا مرة يستتاب، ومرة: فلا يستتاب ويقتل دون استتابة. وقد روى أبو يوسف عن أبى حنيفة: اقتلوا الزنديق فإن توبته لا تعرف، وقاله أبو يوسف.

وقال الشافعى: يستتاب الزنديق كما يستتاب المرتد ظاهراً فإن لم يتب قتل. قال الشافعى: ولو شهد شاهدان على رجل بالردة فأنكر قتل، فإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتبرأ من كل دين خالف الإسلام لم يكشف عن غيره.

ومن حجة الشافعى فى الزنديق أنه يستتاب، أن رسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين لإظهارهم الإسلام، ولو شاء لقتلهم بالشهادة.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٣٨٣) كتاب الفرائض. صحيح مسلم رقم (١٦١٤) كتاب الفرائض. كلاهما رواه عن أسامة بن زيد، رضى الله عنهما. وتمامه: «. . . ولا الكافِرُ المسلمَ».

قال: وقد أجمعوا على أن الزنديق إذا أظهر الزندقة يستاب كغير الزنديق. وقال الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: يستتاب الزنديق؟ قال: ما أدرى، قلت: إن أهل المدينة يقولون: يقتل ولا يستتاب. فقال: نعم يقولون ذلك، ثم قال: من أى شىء يستتاب وهو لا يظهر الكفر، هو يظهر الإيمان. أهـ. التمهيد ١٠/ ١٥٤ ـ ١٥٧. والاستذكار ٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٨.

وقال الشيخ تقى الدين: كان الحلاَّج يظهر الإسلام ويبطن الإلحاد إلى أصحابه فصار بذلك زنديقاً، فلما أخذ وحبس أظهر التوبة. والفقهاء متنازعون فى قبول توبة الزنديق، فأكثرهم لا يقبلها، وهو مذهب مالك وأهل المدينة، ومذهب أحمد فى أشهر الروايتين عنه، وهو أحد القولين فى مذهب أبى حنيفة، ووجه فى مذهب الشافعى، والقول الآخر تقبل توبته. مجموع الفتاوى ٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

وعن السؤال الوارد لمَ لمْ يقتل النبى ﷺ من علم نفاقه من المنافقين وهو ﷺ القائل: «... **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1] وواضح أن بعضهم بدل دينه، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [٣: سورة المنافقون].

وقد أكثر العلماء من عرض الأجوبة عن هذا السؤال وغالبها فيه تعسف وبعد. ولا ريب أن النبى ﷺ قد أجاب عنه بما يكفى ويشفى، وذلك أنه تركهم لمصلحة تأليف القلوب وللإبقاء على سمعة الدين الإسلامى خشية النفرة عنه.

ففى الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، حين قال

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٨٥٤) كتاب الجهاد. من حديث عبد الله بن عباس.

رأس المنافقين ـ عبد الله بن أبى بن سلول ـ قولته التى نزل بها القرآن، تكذيباً له وتصديقاً لناقلها عنه: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال عمر بن الخطاب: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ: **«دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»**(١).

وعن جابر أيضاً قال: أتى رجُلٌ رسُولَ الله ﷺ **بِالْجِعِرَّانَةِ وَفِى ثَوْبِ بِلاَلٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ يَقْبِضُ مِنْهَا وَيُعْطِى النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ. قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟»... فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّى أَقْتُلُ أَصْحَابِى...»** رواه مسلم(٢).

وروى بلفظ «لاَ أُرِيدُ أن يَسْمَعَ المشرِكُونَ أنى أَقْتُلُ أَصْحَابِى» رواه الإمام أحمد وابن جرير الطبرى.

وحديث **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»** عام مخصوص، خصص الشرع منه: من بدل دينه فى الباطن، فلا يقتل. ومن بدل دينه فى الظاهر لكن مع الإكراه حيث كان قلبه مطمئناً بالإيمان فلا يقتل، ولا يكفر والحالة هذه. وعند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾ [٧٣: سورة التوبة].

قال ابن جرير: فإن قال قائل: فكيف ترك النبى ﷺ المنافقين

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٦٢٢) كتاب التفسير، صحيح مسلم رقم (٢٥٨٤) كتاب البر والصلة.

(٢) صحيح مسلم رقم (١٠٦٣) كتاب الزكاة. وقوله: «معاذ الله» أى أعوذ به عوذاً من أن يتحدث الناس الخ وقوله: «أصحابه، وأصحابى» هو على حسب ما يقال ويظن، لا أنهم صحابة نالوا فضل الصحبة، بل ليس لهم حظ فى الإسلام عياذاً بالله تعالى.

مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم؟

قيل: إن الله تعالى إنما أمره بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك، وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأُخذ بها، أنكرها ورجع عنها وقال: إنى مسلم، فإن حكم الله فى كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله وإن كان معتقداً غير ذلك أهـ.

■ الخوف من النفاق وحبوط العمل:

كان النبى ﷺ مع عصمته من النفاق والكفر يتضرع إلى الله ويستعيذ به منه، ومن الكفر، خوفاً من ربه وتعليماً لأمته، وكان صحابته أشد الناس بعده خوفاً من النفاق، وكذا التابعون ثم المؤمنون العارفون.

قال البخارى فى صحيحه: «باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ولا يشعر». وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[1]. وكان الحسن البصرى يَحْلفُ بالله الذى لا إله إلا هو، ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. رواه عنه الإمام أحمد، والفريابى بسند صحيح.

قيل: المراد بالنفاق هنا نفاق العمل، واستدل له بسؤال عمر لحذيفة.

عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنتُ وعلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْك أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللهم**

---

(١) صحيح البخارى باب (٣٥) كتاب الإيمان. وهو صحيح لجزم البخارى به معلقاً وقد وصله غيره إلى ابن أبى مليكة.

إنى أعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إلاَّ أنتَ أن تُضِلَّنِى، أنتَ الْحَىُّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ، والْجِنُّ والإِنسُ يَمُوتُونَ» رواه مسلم. والبخارى مختصراً(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن قُلُوبَ بَنِى آدمَ كُلَّها بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحْمَنِ، كَقَلْبٍ واحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»** رواه مسلم(٢).

وعن أم سلمة، رضى الله عنها، قالت: كان أكثر دعاء النبى ﷺ: **«يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلبِى عَلَى دِينِكَ»**. رواه الترمذى(٣) وورواه ابن ماجه عن النواس بن سمعان رضى الله عنه بلفظ: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك». قال: ـ فى الزوائد ـ إسناده صحيح(٣).

عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم إِنِّى أَعُوذُ بِكَ من الشِّقَاقِ والنفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاَقِ»** رواه النسائى وأبو داود(٤).

عن أم سلمة، قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: **«اللهم إنى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»** رواه أصحاب السنن الأربعة(٥).

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء. صحيح البخارى رقم (٦٩٤٨) كتاب التوحيد.

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٦٥٤) كتاب القدر.

(٣) جامع الترمذى رقم (٣٥٢٢) كتاب الدعوات. سنن ابن ماجه رقم (١٨٧) المقدمة.

(٤) سنن النسائى رقم (٥٤٧١) كتاب الاستعاذة. سنن أبى داود رقم (١٥٤٦) كتاب الصلاة.

(٥) سنن أبى داود رقم (٥٠٩٤) كتاب الأدب. جامع الترمذى رقم (٣٤٢٧) كتاب الدعوات. سنن النسائى رقم (٥٤٨٦) كتاب الاستعاذة. سنن ابن ماجه رقم (٣٩٣٠) أبواب الدعاء.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

عن أم معبد، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم طَهِّرْ قَلْبِى من النفاق، وعَمَلِى من الرِّيَاء، وَلِسَانِى من الكَذِبِ، وعَيْنِى من الْخِيَانَةِ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**» رواه البيهقى.

عن أنس بن مالك، قال: كان ثابت بن قيس خطيب الأنصار فلما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ . . .﴾ [٢: سورة الحجرات] جلس ثابت فى بيته، فافتقده النبى ﷺ، فأتاه رجل فوجده جالساً فى بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان (ثابت) يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال ﷺ: «**اذْهَبْ إليه فَقُل لَهُ: لَسْتَ مِن أَهْلِ النَّارِ وَلكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» متفق عليه[١].

عن حنظلة ـ الأُسَيِّدِى، قال: لقينى أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة، قال قلت: نافق حنظلة. فقال أبو بكر: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأىُ عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ. قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ**»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأىُ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا**

(١) صحيح البخارى رقم (٤٥٦٥) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (١١٩) كتاب الإيمان. ولفظة «ثابت» زدتها للإيضاح.

تَكُونُونَ عِنْدِى، وَفِى الذكرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُم، وَفى طُرُقِكُم، ولكن يَا حَنظَلَةُ سَاعةً وساعَةً» ثلاث مرات. رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم رقم (٢٧٥٠) كتاب التوبة. وقوله: فى الحديث - «عافسنا» أى حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، و«الضيعات» جمع ضيعة، وهى معاش الرجل من مال أو حرفة، أى عالجنا معايشنا وحظوظنا.

مبحث: الشرك بالله أقسامه وأنواعه

الشرك بالله تعالى هو أعظم ذنب عُصى الله تعالى به، وقد حذر الله ورسوله منه أشد التحذير، وقطع الله ورسوله طمع من يموت مشركاً بالله من المغفرة، وحرم الله ورسوله على المشرك دخول الجنة، وصرح الله ورسوله بحبوط عمل المشرك، وقد وسم الله تعالى الشرك بالنجاسة - فى كتابه - دون سائر الذنوب، وتلك النجاسة لا يغسلها الماء بل لا يطهرها إلا خالص التوحيد، بل صرح القرآن بأن المشرك نجس نفسه، ولذلك منع الله ورسوله قربان المشرك المسجد الحرام الذى بوأه الله إبراهيم أن لا يشرك به شيئاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [٤٨: سورة النساء].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [٧٢: سورة المائدة].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [٦٥: سورة الزمر].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ...﴾ [٢٨: سورة التوبة].

عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، قال: سألت النبى ﷺ أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**...».

متفق عليه[١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢: سورة البقرة]. فمن جعل لله نداً فيما يستحقه من الإلهية والربوبية فقد كفر.

وعن ابن مسعود، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ**» رواه البخارى[٢].

عن جابر رضى الله عنه، قال: أتى النبى ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فقال: **مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَن مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**» رواه مسلم[٣].

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم[٤]. ورواه ابن ماجه بلفظ «... **فَأَنا مِنْهُ بَرِيءٌ وهُوَ لِلَّذِى أَشْرَكَ**»[٤].

وينقسم الشرك بالله إلى قسمين: «**أحدهما**» الشرك المخرج لصاحبه

---

(١) صحيح البخارى رقم (٤٢٠٧) كتاب التفسير. صحيح مسلم رقم (٨٦) كتاب الإيمان. وقوله: «نداً» الند: المثل والعدل، وكل شىء كان نظيراً لشىء وله شبيهاً فهو له ند، ومنه قول حسان بن ثابت: ـ منافحاً عن النبى ﷺ ومخاطباً أبا سفيان بن الحارث:

أتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٢٢٧) كتاب التفسير.

(٣) صحيح مسلم رقم (٩٣) كتاب الإيمان. «الموجبتان» معناه: الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

(٤) صحيح مسلم رقم (٢٩٨٥) كتاب الزهد. سنن ابن ماجه رقم (٤٢٥٥) أبواب الزهد. وقوله: «تركته وشركه» هكذا وقع فى بعض نسخ مسلم وفى بعضها: «وشريكه» وفى بعضها: «وشركته»، والمراد أن عمل المراءى باطل لا ثواب فيه، ويأثم بشركه.

من ملة الإسلام، وصاحبه مخلد فى النار كباقى الكفار إلا أن يراجع الإسلام بالتوبة قبل موته. «**الثانى**»: شرك لا يخرج صاحبه من الملة بشروط معروفة، ولكنه محبط للعمل فلا ثواب لصاحبه بل عليه الإثم، ويسمى شرك السرائر والشرك الأصغر وستأتى أمثلة له إن شاء الله.

والشرك الذى يكفر به صاحبه نوعان: شرك فى الإلهية، وشرك فى الربوبية.

النوع الأول الشرك فى الإلهية وهو أن يجعل لله نداً، أى شريكاً فى عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائه، أو إنابته. وبعبارة أخرى أن يشرك العبد مع ربه غيره بأى شركة فى أى نوع من أنواع العبادة كالسجود، والدعاء، والاستغاثة، والذبح والنذر وغير ذلك.

فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ . . .﴾ [٣٨: سورة الأنفال]. وهذا هو الشرك الذى قاتل عليه النبى ﷺ مشركى العرب فقد كان شركهم فى الإلهية ولذا قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [٥: سورة ص]. وقالوا عن معبوداتهم: ﴿. . .مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ. . .﴾ [٣: سورة الزمر].

وقال النبى ﷺ لحصين: «**كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهاً؟**» قال: سَبْعَةً، سِتةً فِى الأَرْضِ وَوَاحِداً فِى السَّمَاءِ، قال: «**فَأَيُّهُمْ تُعِدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» قال الَّذِى فِى السَّمَاءِ، قال: «**يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ**» فأسلم فقال له النبى ﷺ: «**قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِى رُشْدِى وَأَعِذْنِى مِنْ شَرِّ نَفْسِى**» رواه الترمذي[١].

---

(١) جامع الترمذى رقم (٣٤٨٣) كتاب الدعوات من حديث عمران بن حصين، وحصين هذا هو والد عمران رضى الله عنهما.

وأما الربوبية فكانوا مقرين بها، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. [٦١: سورة العنكبوت] وهؤلاء المشركون ما كانوا يعتقدون أن العالَم خلقه اثنان، ولا أن مع الله رباً ينفرد دونه بخلق شيء، وكانوا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى يجعلونهم شفعاء لهم. اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله.

وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله تعالى فقد أشرك، وكذا من خاف أحداً كما يخاف الله، أو رجاه كما يرجو الله، وما أشبه ذلك، فالأول شرك فى المحبة والثانى شرك فى الخوف، والثالث شرك فى الرجاء، وهكذا.

والنوع الثانى: الشرك فى الربوبية، فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطى المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل، فمن شهد أن المعطى أو المانع، أو الضار أو النافع، أو المعز أو المذل، غيره، فقد أشرك بربوبيته.

قال الشيخ تقى الدين: من أراد التخلص من هذا الشرك فلينظر إلى المعطى الأول مثلاً، وهو الله فيشكره على ما أولاه من النعم، وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافئه عليه لقوله ﷺ: «**مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِؤُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِؤُوهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(١) لأن النعم كلها لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...﴾ [٥٣: سورة النحل].

---

(١) سنن أبى داود رقم (١٦٧٢) كتاب الزكاة. سنن النسائى رقم (٢٥٦٧) كتاب الزكاة من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ . . .﴾ [٢٠: سورة الإسراء] فالله سبحانه هو المعطى على الحقيقة، فإنه هو الذى خلق الأرزاق وقدرها، وساقها إلى من يشاء من عباده، فالمعطى هو الذى أعطاه، وحرك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخر.

ومما يقوى هذا المعنى قوله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامَ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» رواه الترمذي[١].

فهذا يدل على أنه لا ينفع فى الحقيقة إلا الله، ولا يضر غيره.

فمن سلك هذا المسلك استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم وتجرد التوحيد فى قلبه، فقوى إيمانه وانشرح صدره، وتنور قلبه. مجموع الفتاوى ١/ ٩٢ ـ ٩٣.

«**القسم الثانى**» هو الشرك الأصغر، وتسميته بالأصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وقد يتحول الأصغر أكبر بنية صاحبه فيكفر به، ويسمى الشرك الخفى. وشرك السرائر، وورد فى الحديث أنه فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل. رواه ابن حبان مرفوعاً.

ومن أمثلته: يسير الرياء والتصنع للمخلوق، كأن يعمل العبد عبادة لله، ويقصد مع ذلك المنزلة عند الناس لينال من دنياهم، أو من ثنائهم، أو ليتقى شرهم، أو يعمل العبد لله خالياً عن الناس ثم يذهب يحدث

---

(١) جامع الترمذى رقم (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأوله كما فى الترمذى وغيره «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم..».

الناس بعمله لغرض غير شرعى، الأول الرياء، والثانى السمعة، وهو أنواع وألوان، لأنه من مكر الشيطان، وفيه من الوعيد والجزاء ما فى الحديث:

عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه، قال: رسول الله ﷺ

«مَنْ سَمَّعَ سَمَّع اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِى يُرَائِى اللَّهُ بِهِ» متفق عليه[1].

وهو الشرك الخفى الذى كان النبى ﷺ شديد الخوف على أمته منه.

عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: خرج علينا النبى ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عِنْدِى مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: فَقُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِىُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» رواه ابن ماجه[2] قال البوصيرى: ـ فى الزوائد ـ إسناده حسن. ورواه الإمام أحمد فى المسند.

وعن شداد بن أوس، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِى الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، أَمَا إِنِّى لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ وَثَناً، وَلٰكِن أَعْمَالاً لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً**» رواه ابن ماجه[3].

قال: ـ فى الزوائد ـ فى إسناده مقال.

ومنه شرك الألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وما لى إلا الله وأنت، وأنا فى حسب الله وحسبك، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ونيته، وورد فى أحاديث مشهورة عن النبى ﷺ: النهى عن هذا، وأنه من الشرك، ورخص فيه بالعطف بثم دون الواو، لأن العطف بثم للتراخى فينتفى الشرك والعطف بالواو للجمع فيحتمل الشرك.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦١٣٤) كتاب الرقاق. صحيح مسلم رقم (٢٩٨٧) كتاب الزهد.

(٢) سنن ابن ماجه رقم (٤٢٥٧) أبواب الزهد.

(٣) سنن ابن ماجه رقم (٤٢٥٨) أبواب الزهد.

عن قُتيلة ـ امرأة من جهينة ـ أن يهودياً أتى النبى ﷺ فقال: إنكم تُنَدِّدُونَ، وإنكم تُشْرِكون: تَقُولونَ: مَا شَاءَ الله وشِئْتَ، وتقولون وَالْكَعْبَةِ، **«فَأَمَرَهُمُ النَّبِى ﷺ إِذَا أرادوا أَن يَحْلِفُوا أن يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ويَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»** رواه النسائي[1] والطبرانى.

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ أن رجلاً من المسلمين رأى فى النوم أنه لقى رجلاً من أهل الكتاب فقال: نِعْمَ القومُ أنتم لولا أنكم تُشرِكون، قال: تقولون: ما شَاءَ الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فقال لهم: **«وَاللَّهِ إِن كُنتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُم قُولُوا: ما شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»** رواه ابن ماجه[2]. قال البوصيرى: ـ فى الزوائد ـ رجال إسناده ثقات على شرط البخارى. ورواه أبو داود بلفظ: **«لاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلانٌ، ولكن قولوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ»**[2].

هذا وليعلم أن أصل الشرك فى العالم كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم، وهم المقصودون. ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب، إما الشمس، وإما القمر، وإما غيرهما، وصورت الأصنام طلاسم لتلك الكواكب. ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة والجن، وضعت الأصنام لأجلهم، وإلا فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها، بل لأسباب اقتضت ذلك، ومن الشرك المتأصل فى نفوس الناس عبادة القبور والمشاهد، وهو امتداد لشرك قوم نوح الذين هم أول من أشرك من أهل الأرض. انظر مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٦٠.

---

(١) سنن النسائى رقم (٣٧٧٣) كتاب الأيمان والنذور، ومعنى «تنددون» تتخذون أنداداً لله بسبب هذا القول. وقتيلة بالمثناة والتصغير هى بنت صيفى، الأنصارية «صحابية»، لها حديث عند النسائي. «تقريب التهذيب».

(٢) سنن ابن ماجه رقم (٢١٣١) أبواب الكفارات. سنن أبى داود رقم (٤٩٨٠) كتاب الأدب.

روى ابن جرير ـ فى تفسيره ـ بسنده عن عكرمة قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام أهـ.

وكان شرك قوم نوح بتصوير صور قوم صالحين ماتوا ثم عبدوهم بعد ذلك، فلما بعث إليهم نوح عليه السلام كذبوه، وتواصوا بذلك ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [٢٣ : سورة نوح].

وقد قال غير واحد من السلف: إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم بعد ذلك عبدوهم، وذلك أول ما عبدت الأصنام، وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى العرب وقد روى ذلك البخارى فى الصحيح.

عن عبد الله بن عباس قال: «**صَارَتِ الأَوْثَانُ التِى كانت فى قوم نوح فى العرَب بَعْدُ، أما وُدٌّ: فكانت لكَلْبٍ بدَومَة الجندل، وأما سُوَاعٌ: فكانت لهُذَيل، وأما يَغُوثُ: فكانت لمُرادٍ، ثم لبنى غُطيفٍ بالْجُرُف**[1] **عند سبأٍ، وأما يَعُوقُ: فكانت لهمْدان، وأما نسْرٌ: فَكَانَتْ لحمْيَرَ، لآل ذى الكِلاَع، أَسْمَاءُ رجَالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هَلَكُوا أوْحَى الشَّيطانُ إلى قومهم: أن انصِبُوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصَاباً وسَمُّوهَا بأَسمائِهم فَفَعَلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدَتْ**[2]». وانظر تفسير ابن جرير م/ ١٢/ ٢٥٤.

قال شيخ الإسلام: ونوح عليه السلام أول رسول بعثه الله إلى أهل

---

(١) «بالجرف» بضم الجيم والراء، وفى بعض نسخ البخارى، «بالحوف» بفتح الحاء المهملة وسكون الواو، ورواه بعضهم «بالجون» بجيم ثم واو ثم نون.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤٦٣٦) كتاب التفسير. وقوله: «وتَنَسَّخَ العلم» كذا هو لأكثر رواة البخارى ورواية أبى ذَرٍّ، والكُشْمَيْهَنِى «ونُسِخَ العلمُ» أى علم تلك الصور بخصوصها، قاله الحافظ.

الأرض ـ بعد أن فسدت بهذا الشرك ـ كما ثبت ذلك فى الصحيح، ومحمد ﷺ هو خاتم الرسل، وكلاهما بعث إلى مشركين يعبدون هذه الأصنام التى صورت على صور الصالحين من البشر، والمقصود بعبادتها عبادة أولئك الصالحين، وكذلك المشركون من أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الأمة وضلالها، هذا غاية شركهم، فإن النصارى يصورون فى كنائسهم صور من يعظمونه من الإنس غير عيسى وأمه: مثل مارجرجس وغيره من القدادِيس، ويعبدون تلك الصور، ويسألونها ويدعونها ويقربون لها القرابين، وينذرون لها النذور، ويقولون: هذه تذكرنا بأولئك الصالحين. والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين: تارة بأن يتمثل الشيطان فى صورة ذلك الشخص الذى يدعى ويعبد فيظن داعيه أنه قد أتى، أو يظن أن الله صور ملكاً على صورته.

وهكذا كثير من أهل البدع والضلال فإذا أشرك أحدهم بالاستغاثة بشيخه الذى يعظمه حياً أو ميتاً عند قبره أو فى غيبته. وقد ينذر له نذراً ونحو ذلك، فقد يرى ذلك الشخص أتاه فى الهواء ودفع عنه بعض ما يكره أو كلمه ببعض ما سأله عنه وليس هو الذى أتاه وإنما هو شيطان تمثل فى صورة ليضله أهـ. انظر مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

قلت: ولما كان مبدأ الشرك من تعظيم البشر الصالحين والتعلق بقبورهم والعكوف عليها وتصوير صورهم، لذلك سد النبى ﷺ هذا الباب، بل سد كل السبل إليه وحذر منه وشدد فى ذلك، ونص على قبور الأنبياء والصالحين ناهياً عن اتخاذها محلاً لعبادة الله تعالى.

فعن جندب، رضى الله عنه، قال: سمعت النبى ﷺ قبل أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ـ وهو يقول: **«أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنبيائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبورَ مَسَاجِدَ، إِنِّى أَنْهَاكُمْ عن ذلك»**

رواه مسلم[1].

وعن عائشة: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبى ﷺ فقال: **«إنّ أُولَئِكِ إذَا كَان فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولئِكِ شِرَارُ الْخَلقِ عِندَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** متفق عليه[2].

ولهما: عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه: **«لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ»**. لَوْلاَ ذلك أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيرَ أَنه خَشِى، أوْ خُشِيَ، أن يُتَّخَذَ مَسْجِداً[3].

وعن أبى الهَياج، قال: قال لى على بن أبى طالب: **«ألاَ أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَنِى عليه رسول الله ﷺ ألاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إلا طَمَسْتَهُ، ولا قَبْراً مُشْرِفاً إلا سوَّيْتَهُ»** وفى رواية زيادة **«ولا صورةً إلا طَمَسْتَها»** رواه مسلم[4].

فأمره ﷺ بمحو التمثالين: الصورة الممثلة على صورة الميت، والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره، فإن الشرك يحصل بهما.

وكان النبى ﷺ سد هذا الباب فى أول الأمر، فقد دلت النصوص على أنه منع زيارة القبور مطلقاً، ثم لما تمكن الإسلام من قلوب المؤمنين نسخ ذلك النهى على اتفاق فى الرجال، وخلاف فى النساء بين العلماء.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٥٣٢) كتاب المساجد، وفائدة التنصيص على زمن النهى هنا وفى حديث عائشة المبالغة فى عدم نسخ هذا النهى.

(٢) صحيح البخارى رقم (٤١٧) كتاب الصلاة. صحيح مسلم رقم (٥٢٨) كتاب المساجد. و«أولئك» إشارة إلى الحبشة والخطاب للمؤنث.

(٣) صحيح البخارى رقم (١٣٢٤) كتاب الجنائز. صحيح مسلم رقم (٥٢٩) كتاب المساجد.

(٤) صحيح مسلم رقم (٩٦٩) كتاب الجنائز. ودل هذا الحديث وغيره من الأحاديث على تحريم الصور واتخاذها.

روى مسلم وأصحاب السنن.

عن بُرَيْدَةَ - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَهيتُكُم عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا...**»[1] ولفظه عند الترمذى وابن ماجه: «**كُنتُ نَهيتُكُمْ عن زِيَارَةِ القبُورِ فَزُورُوهَا فإنّها تُزهِّدُ فِى الدُّنيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَة**» وللنسائى «... **فَمَن أَرَادَ أن يَزُورَ فَلْيَزُرْ، ولا تَقُولُوا هُجْراً**»[1].

وقد قسم الشيخ تقى الدين الشرك وأحوال الناس فيه مشيراً إلى خفائه على الناس وغفلتهم عنه فقال:

١ - دع جليله، وهو الشرك فى العبادة والتَّأَلُّه. ٢ - وشرك فى الطاعة، والانقياد. ٣ - وشرك فى الإيمان والقبول.

فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والعامة: يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعاً تارة، ومن أشرك هذا الشرك أشرك فى الطاعة.

وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك، وأتباع القضاة، والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة، وقد قال النبى ﷺ لعدى بن حاتم لما قرأ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ...﴾ [٣١: سورة التوبة] فقال: يا رسول الله لم يكونوا يصلون لهم، قال: «**صَدَقْتَ، وَلَكِنْ كَانُوا يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ فَيُحَرِّمُونَهُ**» فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه

---

(١) صحيح مسلم رقم (٩٧٧) كتاب الجنائز. سنن أبى داود رقم (٣٢٣٥) كتاب الجنائز. سنن النسائى رقم (٢٠٣٣) كتاب الجنائز. جامع الترمذى رقم (١٠٥٤) كتاب الجنائز. سنن ابن ماجه رقم (١٥٧٠) أبواب الجنائز. و«بريدة» مصغر، ابن الحُصيب بالمهملتين الأسلمى صحابى، قيل: اسمه عامر، وبريدة لقبه. «تقريب التهذيب».

متبوعه، والحرام ما حرمه، والحلال ما حلله، والدين ما شرعه إما ديناً، وإما دنيا، وإما دنيا وديناً، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك، وهو لا يخاف أنه أشرك بالله فى طاعته بغير سلطان منه.

ولا يدخل فِي هذا من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد وشيخ وغير ذلك.

وأما الشركَ الثالث: فكثير من أتباع المتكلمة، والمتفلسفة، بل وبعض المتفقهة والمتصوفة بل وبعض أتباع الملوك والقضاة، يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الاعتقادات الخبرية، ومن تصحيح بعض المقالات وإفساد بعضها، ومدح بعضها، وبعض القائلين وذم بعض، بلا سلطان من الله، ويخاف ما أشركه فى الإيمان والقبول، ولا يخاف إشراكه بالله شخصاً فى الإيمان به، وقبول قول بغير سلطان من الله، قال: وبهذا يخرج من شرع الله تصديقه من المرسلين، والعلماء المبلغين، والشهداء الصادقين وغير ذلك. فباب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع فى حق البشر وغير مشروع.

وأما العبادة والاستعانة والتأله: فلا حق فيها للبشر بحال أهـ مجموع الفتاوى ١/ ٩٧ ـ ٩٨.

ومن الشرك الذى عم وطَمَّ دعاء غير الله تعالى بدعوى طلب شفاعته كمن يستغيث فى المخاوف والأمراض والفاقات بالأموات والغائبين، وقد أبطل الله سبحانه شبهة كل من يدعو غيره وقطع طمعه وجمع فى ذلك بين الشرك والشفاعة قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ . . .﴾ [٢٢ ـ ٢٣ : سورة سبأ].

فهذه الأربعة هى التى يمكن أن يكون لداعى غير الله بها تعلق، الأول: ملك شيء ولو قل. الثانى: شركهم فى شيء من الملك. الثالث: المعين المظاهر. وقد نفى الله تعالى فى هاتين الآيتين الثلاثة، فلا ملك، ولا شركة، ولا معاونة يصير بها نداً، بقيت الشفاعة عنده، فعلقها بإذنه ومشيئته.

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [٢٦: سورة النجم].

قال الشيخ تقى الدين: وطريق التخلص من هذه الآفات كلها الإخلاص لله عزَّ وجلّ، قال تعالى: ﴿... فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [١١٠: سورة الكهف].

ودل القرآن على أنه كلما حقق العبد الإخلاص فى قول «لا إله إلا الله» خرج من قلبه تأله ما يهواه، وتصرف عنه المعاصى والذنوب، كما قال تعالى: ﴿... كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [٢٤: سورة يوسف]. فعلل سبحانه صرف السوء والفحشاء عن يوسف بأنه من عباده المخلصين، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللّهُ عَلَى النّارِ»**.

فالإخلاص ينفى أسباب دخول النار، فمن دخل النار من القائلين «لا إله إلا الله» لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار، بل كان فى قلبه نوع من الشرك الذى أوقعه فيما أدخله النار، والشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، ولهذا كان العبد مأموراً فى كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه فى ذلك، فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله، إما خوفاً منه، وإما رجاء له، فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك.

قال: وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر، فالمراءى لا يحقق قوله: (إياك نعبد) والمعجب لا يحقق قوله: (إياك نستعين) فمن حقق قوله: (إياك نعبد) خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: (إياك نستعين) خرج عن الإعجاب، وفى الحديث: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» أهـ.

والشرك أظلم الظلم وأقبح القبائح لأنه هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، لما فيه من صرف حق الخالق للمخلوق، فالرجاء ينبغى أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق، وكذلك التوكل وغيره، قال تعالى: ﴿. . .وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٢٣: سورة المائدة] فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه، أو ملكه، أو قرابته أو ماله، أو غير ذلك، وهو غير ناظر إلى الله تعالى، كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وتعليق الرجاء بغير الله والتوكل على غيره شرك. وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك ﴿. . .وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [٣١: سورة الحج].

وكذلك المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم، فيحصل له رعب كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا . . .﴾ [١٥١: سورة آل عمران]. والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [٨٢: سورة الأنعام]. انظر مجموع الفتاوى. ١٠/ ٢٥٧ ـ ٢٧٧.

قلت: قد ثبت تفسير النبى ﷺ للظلم فى هذه الآية بالشرك:

عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قال: «**لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ** ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ ﴿. . . يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [١٣: سورة لقمان]. متفق عليه[(١)].

بقى أن ننبه على أمر عظيم ينبغى التفطن له، وهو أن رُسُل الله عليهم السلام كانوا يخافون الشرك ويتبرءون منه ومن أهله، مع أنهم معصومون منه إجماعاً، فهذا خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ يقول للمشركين ممتثلاً أمر ربه ﴿. . . قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [١٩: سورة الأنعام].

وعن أبى موسى الأشعرى، رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ. . . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَن نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُهُ**» رواه الإمام أحمد فى المسند.

وخليل الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذى آتاه الله رشده من قبل و﴿. . . كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢٠: سورة النحل]. ومع هذا فقد كان يتضرع إلى الله تعالى أن يجنبه الشرك، منابذاً له ولأهله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [٣٥: سورة إبراهيم].

و﴿. . . قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [٧٨ ـ ٧٩: سورة

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣١٨١) كتاب الأنبياء. صحيح مسلم رقم (١٢٤) كتاب الإيمان. ولفظ الحديث للبخارى وانفرد عن مسلم بلفظ «بشرك» واتفقا على قول ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا. . .

الأنعام]. ورسول الله هود ـ عليه السلام قال لقومه المشركين ﴿. . . إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [٥٤ ـ ٥٥: سورة هود].

وفوق هذا براءة الله ورسوله من المشركين فى إعلام نزل من السماء وطبق الأرض يوم الحج الأكبر، قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ . . .﴾ [٣: سورة التوبة].

قال ابن جرير: ومعنى ذلك: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس فى يوم الحج الأكبر: أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان. أهـ.

خاتمة فى حقيقة الإيمان والإسلام

حقيقة «الإيمان» أن يعقد العبد قلبه على الإيمان بالله تعالى على ما رسمته الآيات القرآنية وفصلته الأحاديث النبوية، والإيمان الحق هو الثابت الراسخ، أمام الشبهات كالجبل الشامخ، الإيمان بذات الله تعالى المقدسة وصفاته المنزهة، وأسمائه الحسنى، الإيمان بالإله الواحد الأحد الرب الخالق، . الرحمن الرحيم، الحى القيوم، المنفرد بالإلهية والربوبية على خلقه، المتصف بكل كمال وجلال، المنزه عن كل نقص، الإله الذى ﴿ . . . لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١١ : سورة الشورى]. ﴿ . . . لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٥٤ : سورة الأعراف]. والإيمان بمحمد ﷺ عبد الله ورسوله، الذى أرسله بالهدى ودين الحق، الإقرار والتصديق برسالته وأمانته، واتباع سنته والتفانى فى طاعته، فهو الذى ﴿ . . . مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [٣ ـ ٤ : سورة النجم].

وما الإيمان بالملائكة إلا فرع عن الإيمان بالله تعالى. إذ هم جنده الموكلون بتدبير كونه وملكوته. وكذا الإيمان بالكتب فرع عن الإيمان بالله تعالى، لأنها كلامه وشرعه وأمره ونهيه. والإيمان بالرسل فرع عن الإيمان بالله تعالى، لأنهم سفراؤه إلى خلقه وأمناؤه على وحيه. والإيمان باليوم الآخر فرع عن الإيمان بالله تعالى، لأنه الموعد الذى ضربه لفصل القضاء بين خلقه، واقتضى عدله وحكمته وجود هذا اليوم لجزاء أوليائه والتنكيل بأعدائه. والإيمان بالقضاء والقدر فرع عن الإيمان بالله عزَّ وجلّ، لأنهما فعله وتصريفه فى كونه ومخلوقاته، ومن الأدلة الدالة على إحاطة علمه وكمال قدرته ونفوذ مشيئته وإرادته.

والإيمان أمر وجودى، فلا يكون العبد مؤمناً ظاهراً حتى يظهر أصل الإيمان: وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ. ولا يكون مؤمناً باطناً حتى يقر بقلبه بذلك، فينتفى عنه الشك ظاهراً وباطناً مع وجود العمل الصالح.

وحقيقة «**الإسلام**»: أنه دين اللّه الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين، فيستسلم لله وحده لا شريك له، ويكون سالماً له، بحيث يكون مُتَألِّهاً له غير مُتألِّه لما سواه، وأفضل الكلام ورأس الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله، وله ضدان: الكبر، والشرك، فإن المستكبر عن عبادة الله لا يعبده فلا يكون مستسلماً له، والذى يعبده ويعبد غيره يكون مشركاً به، فلا يكون سالماً له، بل يكون له فيه شرك.

ولفظ «الإسلام» يتضمن الاستسلام والسلامة التى هى الإخلاص، وقد علم أن الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك، كما قال إمام الحنفاء إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وغير هذه الآية مما دل على أن دين الرسل الإسلام فابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذى أمروا به وهو الإسلام، وغلب على كل من هاتين الطائفتين أحد ضديه، فاليهود يغلب عليهم الكبر، ويقل فيهم الشرك، والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر، وقد بين الله ذلك فى القرآن، ولهذا أمرنا الله أن نسأله أن يجنبنا طريقيهما فى صلواتنا وفى أول سورة من كتاب ربنا.

ولفظ **الإسلام** يستعمل على وجهين: **متعدياً كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ . . .﴾** [١٢٥: سورة النساء].

وقوله تعالى: ﴿. . . فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ . . .﴾ [٢٠:

سورة آل عمران]. وقوله ﷺ في دعاء المنام «**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ...**».

ويستعمل لازماً كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾]١٣١: سورة البقرة[. وقوله تعالى: ﴿... وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [٨٣: سورة آل عمران]. وقوله عن ملكة سبأ: ﴿... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٤٤: سورة النمل]. وهو يجمع معنيين:

أحدهما الانقياد والاستسلام، **والثاني** إخلاص ذلك وإفراده. كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ...﴾ [٢٩: سورة الزمر]. وعنوانه قول: «**لا إله إلا الله**» وله معنيان.

أحدهما: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذى بعث به جميع الأنبياء، كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج - وهو الشريعة المحمدية الكاملة الباقية - وله مرتبتان:

أحدهما: الظاهر من القول والعمل، وهى المبانى الخمس **أركانه**.

والثانى: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن.

وقد يراد به معنى **ثالث** هو كماله، كما فى قوله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُون مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(١) فيكون أسلم غيره، أى جعله سالماً منه.

ولفظ **الإيمان**: قيل أصله التصديق، وليس مطابقاً له، بل لا بد أن

---

(١) صحيح مسلم رقم (٤١) كتاب الإيمان. من حديث جابر بن عبد الله. ومعناه: من لم يؤذ مسلماً بقول ولا فعل. وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها.

يكون تصديقاً عن غيب، وإلا فالخبر عن مشهود ليس تصديقه إيماناً، لأنه من الأمن الذى هو الطمأنينة، وهذا إنما يكون فى المخبر الذى قد يقع فيه ريب، والمشهودات لا ريب فيها. وهو التصديق بالقلب والقول والعمل، فإن الجميع يدخل فى مسمى التصديق على مذهب أهل الحق.

وقيل: **الإيمان** هو الإقرار، لأن التصديق إنما يطابق الخبر فقط، وأما الإقرار فيطابق الخبر والأمر كقوله تعالى: ﴿... ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا...﴾ [٨١: سورة آل عمران]. ولأن أقر، وآمن: متقاربان. فالإيمان دخول فى الأمن، والإقرار دخول فى الإقرار، وعلى هذا فالكلمة (**لا إله إلا الله**...) إقرار والعمل بها إقرار أيضاً.

ثم هو ـ أعنى الإيمان ـ فى الكتاب بمعنيين: أصل، وفرع واجب، فالأصل الذى فى القلب وراء العمل، فلهذا يفرق بينهما، بقوله تعالى: ﴿... ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ والذى يجمعهما كما فى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ...﴾ [٢: الأنفال] و﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [٤٤: التوبة] وهو مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، فمن أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما إذا ذهب نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما ينقص ركنه وهو ترك الاعتقاد وأصله القلب وكَمالُهُ العمل الظاهر، بخلاف الإسلام، فإن أصله الظاهر، وكَمالُهُ القلب.

ومن المعلوم أن أصل «الإيمان» هو الإيمان بالله ورسوله، شطران متلازمان، لكن يجب أن يعلم أن «الإيمان بالله» فى الجملة قد أقر به جمهور الخلائق، إلا شواذ من الفرق، من الفلاسفة الدهرية والإسماعيلية ونحوهم، أو من نافق فيه من المظهرين للتمسك بالملل، وإنما يقع

اختلاف أهل الملل فى أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وعباداته. ونحو ذلك.

وأما **«الإيمان بالرسول»** فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»**.

ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذى هو التصديق، وعمل القلب الذى هو الانقياد ـ تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر ـ كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، فالنفاق يقع كثيراً فى حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله فى القرآن من نفاق المنافقين فى حياته. والنفاق المحض الذى لا ريب فى كفر صاحبه: أن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به.

وقد بين الله سبحانه فى غير موضع من القرآن أن تحقيق الإيمان وتصديقه بما هو من الأعمال الظاهرة والباطنة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا . . .﴾ [٢ ـ ٤: سورة الأنفال]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [١٥: سورة الحجرات].

فالأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهى تصديق لما فى القلب ودليل عليه، وما كان فى القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل عى عدمه أو ضعفه،

والأعمال الظاهرة شعبة من الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما فى القلب هو الأصل لما على الجوارح، كما قال أبو هريرة رضى الله عنه: إن القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده.

والظاهر أن هذا من أبى هريرة رضى الله عنه تفسير لما ثبت فى الصحيحين من حديث النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال: «. . . **أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1].

وذلك يوضح بيقين أن القلوب هى الأساس الأول فى الإيمان والصلاح وعكس ذلك، وبه يتجلى تفاوت الناس وتفاضلهم فى الإيمان، لا كما يقوله بعض الطوائف من أن الإيمان لا يتفاوت ولا يزيد ولا ينقص: بمعنى أن إيمان الأنبياء والملائكة والعصاة سواء. ولا ريب أن النصوص دلت على بطلان هذا القول، والعقل والواقع يبطلانه.

بل إن النقل والعقل دلاّ على أنه ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلاً وتفاوتاً من الإيمان، وأنه ليس فى أجناس المخلوقات ما يتفاضل بعضه على بعض كبنى آدم.

عن سهل بن سعد الساعدى، رضى الله عنه، قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رسول الله ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**».

فقال: رَجُلٌ مِن أَشْرَافِ النَّاسِ، هذا والله حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وإِنْ شَفَعَ أَن يُشَفَّعَ، قال: فَسَكَتَ رسول الله ﷺ، ثم مَرَّ رَجُل، فَقَالَ لَهُ

---

(١) صحيح البخارى رقم (٥٢) كتاب الإيمان. صحيح مسلم رقم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِى هَذَا؟**» فقال: يا رسول الله، هَذَا رجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إن خَطَبَ أن لاَ يُنْكَحَ، وإن شَفَعَ أن لاَ يُشَفَّعَ، وإن قَالَ أن لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلِ هَذَا**» رواه البخارى[1]. فدل على أن واحداً من بنى آدم يفضل قدر ملء الأرض منهم، وما ذلك إلا بالإيمان بالله وكماله وتحقيقه.

وقد ثبت لفظ زيادة الإيمان ونقصانه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف منهم، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن عمير بن حبيب الخطمى، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه.

وروى الإمام أحمد عن أبى الدرداء قال: إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه. وروى الإمام أحمد أيضاً عن أبى ذر، قال: كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله عزَّ وجلّ ورُوِيَ مثله عن معاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عكيم، قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً.

وثبت عن عَمَّار بن ياسر، أنه قال: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسه، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

---

(١) صحيح البخارى رقم (٦٠٨٢) كتاب الرقاق. وقوله: «حرى» بفتح الحاء، وكسر الراء، وتشديد الياء، أى جدير وحقيق، وزنا ومعنى، «ملء» بكسر الميم وسكون اللام مهموز. «مثل» بكسر اللام ويجوز فتحها.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. رواهما البخارى فى الصحيح تعليقاً مجزوماً به، والآثار فى هذا كثيرة مشهورة.

وقال خَيثمة بن عبد الرحمن: الإيمان يسمُن فى الخصب، ويهزل فى الجدب، فخصبه العمل الصالح، وجدبه الذنوب والمعاصى. وقيل لبعض السلف: يزداد الإيمان وينقص؟ قال: نعم يزداد حتى يصير أمثال الجبال، وينقص حتى يصير أمثال الهباء أهـ. زد على ذلك صريح الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد بامتثال شعبه وهى الطاعات، وينقص بارتكاب شعب الكفر وهى المعاصى، فتبين بذلك أنه يجتمع فى قلب الشخص الواحد مع الإيمان شعب نفاق، وهو قول أهل الحق، ولذا كان من أصول أهل السنة أن الإيمان يتبعض فيذهب بعضه ويبقى بعضه ويتفاضل، كما فى قوله ﷺ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ. . .»**. وأما الذين أنكروا تبعضه وتفاضله فهم الخوارج والمعتزلة والجهمية ومن وافقهم على ذلك من المرجئة.

ولفظ **«الإيمان»** تختلف دلالته بالإطلاق والاقتران: فإذا ذكر مع العمل أريد به أصل الإيمان المقتضى للعمل، وإذا ذكر وحده دخل فيه لوازم ذلك الأصل، وذلك لأن الإيمان قد يذكر مجرداً، وقد يذكر مقروناً بالعمل والإسلام، فإذا ذكر مجرداً تناول الأعمال كما دل على ذلك حديث شعب الإيمان وحديث وفد عبد القيس، وإذا قرن بالإسلام كما فى حديث جبريل فالإيمان فى القلب والإسلام ما يظهر من الأعمال.

وإذا أفرد الإيمان دخلت فيه الأعمال الظاهرة لأنها لوازم ما فى القلب، لأنه متى ثبت الإيمان فى القلب والتصديق بما أخبر به

الرسول ﷺ، وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، فإذا ثبت التصديق فى القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة، ومن هنا يتضح ويتجه قول من قال بكفر تارك الصلاة تهاوناً، لأنه من المستحيل أن يكون مؤمناً بقلبه حقاً، ثم هو لا يصلى، ولا يستجيب لنداء الصلاة حى على الصلاة. . .

والذى عليه جماهير علماء السلف ومن بعدهم أن نفى الإيمان فى مثل قوله ﷺ «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن. . .» هو لانتفاء بعض الواجبات فيه، والشارع دائماً لا ينفى المسمى الشرعى إلا لانتفاء واجب فيه، كترك واجب أو ارتكاب محرم، وقد اتفقت الأمة على أن من ترك واجباً فى الحج ليس بركن ولم يجبره بالدم الذى عليه لم يبطل حجه ولا تجب إعادته فهكذا يقول جمهور السلف وأهل الحديث: إن من ترك واجباً من واجبات الإيمان الذى لا يناقض أصوله فعليه أن يجبر إيمانه إما بالتوبة، وإما بالحسنات المكفرة، فالكبائر يتوب منها والصغائر تكفرها الصلاة والصيام. . . فإن لم يفعل لم يحبط إيمانه كله.

و«الإيمان» له مبدأ، وكمال، وظاهر وباطن، فإذا علقت به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدم والمال والمواريث، والعقوبات الدنيوية، علقت بظاهره، لا يمكن غير ذلك، إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر، ولهذا كان النبى ﷺ يمتنع من عقوبة المنافقين، فإن فيهم من لم يعرفهم كما أخبر الله بذلك، والذين كان يعرفهم لو عاقبهم لقال الناس إن محمداً يقتل أصحابه لما يظهرونه.

وأما مبدؤه: فيتعلق به خطاب الأمر والنهى، فإذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ. . .﴾ [٦: سورة المائدة] ونحو ذلك فهو أمر فى الظاهر لكل من

أظهر الإيمان، وهو خطاب فى الباطن لكل من عرف من نفسه أنه مصدق للرسول ﷺ وإن كان عاصياً، وإن كان لم يقم بالواجبات الظاهرة والباطنة.

وأما كماله: فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والسلامة من النار، فإن هذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور، ومن فعل بعضاً وترك بعضاً فيثاب على ما فعله، ويعاقب على ما تركه، فلا يدخل هذا فى اسم المؤمن المستحق للمدح والثناء، دون الذم والعقاب، وكل ما فى الكتاب والسنة من نفى الإيمان عن أصحاب الذنوب فإنما هو فى خطاب الوعيد والذم، لا فى خطاب الأمر والنهى.

ومعلوم أن الإيمان الموصوف فى حديث جبريل، والإسلام، لم يكونا واجبين فى أول الإسلام، بل إنه قد تتنوع أوامر الله تعالى، فالصلاة إلى صخرة بيت المقدس كان من الإسلام حين كان الله أمر به، ثم خرج من الإسلام لما أمر الله باستقبال الكعبة، وأركان الإسلام المذكورة فى حديث جبريل لم تجب أول الأمر، بل الصيام والحج وفرائض الزكاة إنما وجبت بالمدينة بعد الهجرة، والصلوات الخمس إنما وجبت ليلة المعراج والإيمان أيضاً المفصل الذى ذكره الرسول فى حديث جبريل لم يكن مأموراً به فى أول الأمر لما أنزل الله سورة العلق وسورة المدثر، بل إنما جاء هذا فى السور المدنية كسورة البقرة وسورة النساء.

ولما بعث الله محمداً ﷺ كان من اتبعه وآمن بما جاء به مؤمناً مسلماً وإذا مات كان من أهل الجنة، ثم إنه بعد ذلك زاد الإيمان والإسلام وفرض الإيمان بكل ما زاده من الشرائع التى أكمل بها الدين حتى قال تعالى: ﴿. . . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ . . .﴾ [٣: سورة المائدة].

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين، وإمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهنا نختم الكلام فى هذه الخاتمة التى تفاءلت بتوفيق الله إياى لها، أن يرزقنى الإيمان التام ويثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حتى ألقاه مؤمناً، وأن يهدينى صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، رب اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين والمؤمنات.

وكان الفراغ من تبيض هذا الكتاب المبارك خاتمة المحرم - عاشوراء - فاتح سنة ألف وأربعمائة وست عشرة ١٤١٦ للهجرة النبوية والحمد لله أولاً وآخراً على نعمه التى لا تحصى، وآلائه التى لا تستقصى وله المنة أن هدانى ووفقنى لجمعه ويسره علىّ وأعاننى عليه ومنّ على بإتمامه.

وأستودع الله تعالى دينى وأمانتى وخواتيم عملى، وكذلك والدى وسائر المسلمين، كما نسأله سبحانه الهدى والسداد، والعصمة من سلوك سبُل أهل الزيغ والإلحاد.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية
٢ - فهرس الأحاديث النبوية
٣ - فهرس بأهم المصادر والمراجع
٤ - فهرس الموضوعات

• «تنبيه» اخترت لأجل الاختصار فى فهرس الآيات القرآنية أن أثبت رقم الآية واسم سورتها حسب ترتيب الآيات فى المصحف الكريم، وهو المصحف الذى برواية حفص بن سليمان عن عاصم بن أبى النجود القارىء الكُوفى.

وحيث أنه يختلف عدد الآيات فى هذا المصحف عن المصحف الذى هو بقراءة نافع بن أبى نعيم القارىء المدَنىّ بروايتىْ قَالُونَ وَوَرْشٍ، فقد نبهت على ذلك. فالأول يُعرَف عند علماء القراءات والرسم بالمذهب الكوفى فى عدد آى القرآن، والثانى يُعرَف عندهم بالمذهب المدنىّ الأوَّل فى عدد آى القرآن الكريم.

• أما بالنسبة لفهرس أطراف الحديث: فطرف الحديث فيه نِسْبِىٌّ، أى بالنسبة لأوَّل مذكور من الحديث فى الكتاب، فقد يكون طرف الحديث - وهو الغالب - وقد يكون وسط الحديث وقد يكون آخره، إلا أنى فى الأخيرين أبدأ السطر بثلاث نقط تنبيهاً على أن المذكور ليس طرفَ الحديث. لأن المقصود ذكر محل الاستدلال.

• أما فهرس المراجع فإنى أبدأ بذكر اسم الكتاب، وأُثنِّى باسم المؤلف، ثم وفاته بالتاريخ الهجري، وأُشير بتاء مفردة لوفاة المؤلف، وهاء كذلك للهجرة النبوية، وكذلك أشير بدال قبل اسم محقق الكتاب إذا كان من حملة شهادة الدكتوراه، وبطاء إلى طبعة الكتاب دون ذكر تاريخها.

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الرقم المسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
٩٥	٥٩	سورة الأنعام	٢١٣
٩٦	٦١	سورة الأنعام	١١١
٩٧	٧٨	سورة الأنعام	٣٧٤
٩٨	٧٩	سورة الأنعام	٣٧٤
٩٩	٨٢	سورة الأنعام	٣٧٣
١٠٠	٩٣	سورة الأنعام	٢٢٥
١٠١	١١٦	سورة الأنعام	٤٩
١٠٢	١٢١	سورة الأنعام	٢١٦
١٠٣	١٢٤	سورة الأنعام	١٧٨
١٠٤	١٢٥	سورة الأنعام	٢٩٦
١٠٥	١٤٨	سورة الأنعام	٢٩٨
١٠٦	١٦٢_١٦٣	سورة الأنعام	١٠٣
١٠٧	٨ _ ٩	سورة الأعراف	٢٦١
١٠٨	١١	سورة الأعراف	١٠٨
١٠٩	١٦	سورة الأعراف	٢٩١
١١٠	٢٧	سورة الأعراف	٢١٦
١١١	٥٣	سورة الأعراف	١٢٩
١١٢	٥٤	سورة الأعراف	١١١
١١٣	٥٩ _ ٦٠	سورة الأعراف	٥٠
١١٤	٦٥	سورة الأعراف	٢٩
١١٥	٦٦	سورة الأعراف	٥٠
١١٦	٧٣	سورة الأعراف	٢٩
١١٧	٨٥	سورة الأعراف	٢٩
١١٨	١٣٨	سورة الأعراف	٣٣٧
١١٩	١٤٢	سورة الأعراف	١٣٢
١٢٠	١٥٨	سورة الأعراف	١٨٥
١٢١	١٧٢	سورة الأعراف	٣٨
١٢٢	١٧٣	سورة الأعراف	٣٨
١٢٣	١٧٥	سورة الأعراف	٢٠٣
١٢٤	١٧٩	سورة الأعراف	٣٤٢
١٢٥	١٨٠	سورة الأعراف	١٠٥
١٢٦	١٨٨	سورة الأعراف	١٧٨
١٢٧	٢	سورة الأنفال	٣٢٩
١٢٨	٣	سورة الأنفال	٣٢٩
١٢٩	٤	سورة الأنفال	٣٢٩
١٣٠	٣٨	سورة الأنفال	٣٦٢
١٣١	٣	سورة التوبة	٣٧٥
١٣٢	٥	سورة التوبة	٢٦
١٣٣	٢٤	سورة التوبة	٣١١
١٣٤	٢٨	سورة التوبة	٣٦٠
١٣٥	٣١	سورة التوبة	١٩٨
١٣٦	٧٣	سورة التوبة	٣٥٥
١٣٧	١٠٠	سورة التوبة	٧
١٣٨	١١١	سورة التوبة	٣٢٩
١٣٩	١١٢	سورة التوبة	٣٢٩
١٤٠	١١٣	سورة التوبة	٤٠
١٤١	١١٥	سورة التوبة	٣٣٦
١٤٢	١٢٨	سورة التوبة	١٢١
١٤٣	٣	سورة يونس	١١١
١٤٤	٢٦	سورة يونس	٢٧٢
١٤٥	٣١	سورة يونس	١٠٢
١٤٦	٥٣	سورة يونس	٢٢٢

الرقم المسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
١٤٧	٦١	سورة يونس	٩٨
١٤٨	٦٢	سورة يونس	٢١٥
١٤٩	٦٣	سورة يونس	٢١٥
١٥٠	٩٤	سورة يونس	١٤٥
١٥١	٣٤	سورة هود	٢٩٦
١٥٢	٥٢	سورة هود	١٢١
١٥٣	٥٤	سورة هود	٣٧٥
١٥٤	٥٥	سورة هود	٣٧٥
١٥٥	٩٧	سورة هود	٧
١٥٦	٩٨	سورة هود	٧
١٥٧	٢٤	سورة يوسف	٣٧٢
١٥٨	٣٧	سورة يوسف	٢١٤
١٥٩	٥٤	سورة يوسف	١٢١
١٦٠	١٠٠	سورة يوسف	١٣٠
١٦١	١٠٥	سورة يوسف	١٤٠
١٦٢	١٠٦	سورة يوسف	١٠٢
١٦٣	١٠٩	سورة يوسف	١٧٩
١٦٤	٢	سورة الرعد	١١١
١٦٥	١٠	سورة إبراهيم	٢١
١٦٦	٢٧	سورة إبراهيم	٢٢٣
١٦٧	٣٥	سورة إبراهيم	٣٧٤
١٦٨	٦	سورة الحجر	٥٠
١٦٩	٢١	سورة الحجر	٢٨٧
١٧٠	٣٩	سورة الحجر	٢٩٢
١٧١	٤٢	سورة الحجر	٢٦٩
١٧٢	٤٣	سورة الحجر	٢٦٩
١٧٣	٤٤	سورة الحجر	٢٦٩
١٧٤	٨٥	سورة الحجر	٣٠٢
١٧٥	٣٢	سورة النحل	٣٠٦
١٧٦	٣٥	سورة النحل	٢٩١
١٧٧	٣٦	سورة النحل	١٨٣
١٧٨	٥٠	سورة النحل	١١١
١٧٩	٥٣	سورة النحل	٣٦٣
١٨٠	٧٢	سورة النحل	٣٣٤
١٨١	٧٤	سورة النحل	٩٩
١٨٢	٧٨	سورة النحل	٢٠
١٨٣	٩٠	سورة النحل	٢٩٩
١٨٤	١٢٠	سورة النحل	٣٧٤
١٨٥	٤ ـ ٥	سورة الإسراء	٢٩٩
١٨٦	٩	سورة الإسراء	٢٩
١٨٧	١٣ ـ ١٤	سورة الإسراء	٢٥٨
١٨٨	٢٠	سورة الإسراء	٣٦٤
١٨٩	٢٣	سورة الإسراء	٢٨٥
١٩٠	٣٢	سورة الإسراء	٣٠٢
١٩١	٣٣	سورة الإسراء	٣٢٨
١٩٢	٣٨	سورة الإسراء	٣٠٩
١٩٣	٤٤	سورة الإسراء	٤٦
١٩٤	٥٥	سورة الإسراء	١٧٣
١٩٥	٦٧	سورة الإسراء	٢١
١٩٦	٧٩	سورة الإسراء	٢٧٦
١٩٧	٨٢	سورة الإسراء	٢٩
١٩٨	٨٥	سورة الإسراء	١٢١

الرقم المسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
٣٠٣	٤٣ ـ ٤٤	سورة الزمر	٢٨١
٣٠٤	٦٢	سورة الزمر	٣٠٥
٣٠٥	٦٥	سورة الزمر	٣٦٠
٣٠٦	٦٨	سورة الزمر	٢٤٩
٣٠٧	٧ ـ ٩	سورة غافر	٤٠
٣٠٨	١٨	سورة غافر	٢٧٩
٣٠٩	٤٥ ـ ٤٦	سورة غافر	٢٢٥
٣١٠	٥٥	سورة غافر	٢٩٣
٣١١	٥٧ـ٥٩ـ٦١	سورة غافر	٤٩
٣١٢	١١	سورة فُصلت	٤٦
٣١٣	١٢	سورة فُصلت	٢٨٥
٣١٤	٢٠ ـ ٢١	سورة فُصلت	٢٥٩
٣١٥	٤٤	سورة فُصلت	٢٩
٣١٦	١١	سورة الشورى	١٠٥
٣١٧	١٥	سورة الشورى	١٧٣
٣١٨	٩	سورة الزخرف	٢٥
٣١٩	٢٤	سورة الزخرف	٥٥
٣٢٠	٣٦	سورة الزخرف	١٤١
٣٢١	٥٩	سورة الزخرف	١٨٢
٣٢٢	٦١	سورة الزخرف	٢٤٠
٣٢٣	٨٦	سورة الزخرف	٢٨١
٣٢٤	٨٧	سورة الزخرف	٢٥
٣٢٥	٦	سورة الجاثية	١١٢
٣٢٦	٣	سورة الأحقاف	٣٤٣
٣٢٧	٢٩	سورة الأحقاف	١٦٥
٣٢٨	٣١	سورة الأحقاف	١٦٩
٣٢٩	١٩	سورة محمد	٢٧
٣٣٠	٢٧	سورة محمد	٢٢٥
٣٣١	٢٨	سورة محمد	٢٩٠
٣٣٢	٢٦	سورة الفتح	٣٦
٣٣٣	٢٨	سورة الفتح	٢٩٩
٣٣٤	١	سورة الحجرات	١٩٠
٣٣٥	٢	سورة الحجرات	٣٥٨
٣٣٦	٧	سورة الحجرات	٢٩٠
٣٣٧	١٠	سورة الحجرات	٤١
٣٣٨	١٤	سورة الحجرات	٨١
٣٣٩	١٥	سورة الحجرات	٣٨٠
٣٤٠	٩	سورة ق	٣٠٧
٣٤١	١٦	سورة ق	٩٨
٣٤٢	٣٨	سورة ق	١٢٤
٣٤٣	٢٠ ـ ٢١	سورة الذاريات	١٣٩
٣٤٤	٢٨	سورة الذاريات	١٢٠
٣٤٥	٥٦	سورة الذاريات	٣٣
٣٤٦	٥٨	سورة الذاريات	١٢١
٣٤٧	٢١	سورة الطور	٧
٣٤٨	٣ ـ ٤	سورة النجم	١٨٧
٣٤٩	١٣	سورة النجم	١٥٠
٣٥٠	٢٦	سورة النجم	٢٨٠
٣٥١	٤٨ ـ ٤٩	سورة القمر	٢٩٣
٣٥٢	٤٦ ـ ٤٧	سورة الرحمٰن	١٧٠
٣٥٣	٥٦	سورة الرحمٰن	١٦٨
٣٥٤	٣	سورة الحديد	١٤٥

الرقم المسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
٣٥٥	٤	سورة الحديد	٩٨
٣٥٦	٢٠	سورة الحديد	٣٣٤
٣٥٧	٢١	سورة الحديد	٢٦٥
٣٥٨	٢٢	سورة الحديد	٢٨٦
٣٥٩	٤	سورة المجادلة	١٣٤
٣٦٠	١٩	سورة المجادلة	٢١٧
٣٦١	٧	سورة الحشر	١٩٤
٣٦٢	٢١	سورة الحشر	٤٦
٣٦٣	١	سورة الجمعة	١٢١
٣٦٤	٣	سورة المنافقون	٣٥٤
٣٦٥	٧	سورة التغابن	٢٢٢
٣٦٦	١٦	سورة التغابن	٢٧
٣٦٧	٦	سورة التحريم	١٥٤
٣٦٨	١٠	سورة التحريم	١٣٥
٣٦٩	١٢	سورة التحريم	٢٩٩
٣٧٠	١٤	سورة الملك	٩٦
٣٧١	١٦ ـ ١٧	سورة الملك	١١١
٣٧٢	٤٣	سورة المعارج	٢٥٠
٣٧٣	٢٣	سورة نوح	٣٦٧
٣٧٤	١ ـ ٢	سورة الجن	١٦٥
٣٧٥	١٠	سورة الجن	٣٠٥
٣٧٦	١١	سورة الجن	١٦٦
٣٧٧	٢٦ ـ ٢٧	سورة الجن	٢١٣
٣٧٨	٤٢ ـ ٤٦ ـ ٤٧	سورة المدثر	٢٨٠
٣٧٩	٤٨	سورة المدثر	٢٧٩
٣٨٠	٢٢ ـ ٢٣	سورة القيامة	٢٧٢
٣٨١	٢	سورة الإنسان	١٢٠
٣٨٢	٢٩ ـ ٣٠	سورة الإنسان	٣٠٨
٣٨٣	١ ـ ٧	سورة المرسلات	١٥٣
٣٨٤	١ ـ ٥	سورة النازعات	١٥٣
٣٨٥	٢٣	سورة التكوير	١٥٠
٣٨٦	٢٧ ـ ٢٩	سورة التكوير	٣٠٨
٣٨٧	١٠ ـ ١٢	سورة الإنفطار	١٢
٣٨٨	١٥	سورة المطففين	٢٧٤
٣٨٩	٢٦	سورة المطففين	١٨٨
٣٩٠	٧ ـ ١٢	سورة الإنشقاق	٢٥٧
٣٩١	١٦ ـ ١٩	سورة الأعلى	١٧٣
٣٩٢	٧ ـ ٨	سورة الشمس	٢٨٨
٣٩٣	٣ ـ ٥	سورة العلق	٢٦
٣٩٤	٨	سورة البينة	١٢١
٣٩٥	١ ـ ٤	سورة الزلزلة	٢٥٨
٣٩٦	١ ـ ٣	سورة الكوثر	٢٨٢
٣٩٧	١	سورة الكافرون	٤٤
٣٩٨	١	سورة الإخلاص	٤٢
٣٩٩	٤	سورة الإخلاص	١٣٨
٤٠٠	٢	سورة الفلق	٣٠٥
٤٠١	١	سورة الناس	١٠١

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر	البخارى ومسلم	١٩
٢	. . . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم	عياض بن حمار	مسلم	٢٠
٣	كان الله ولم يكن شىء غيره	عمران بن حصين	البخارى	٢٤
٤	بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ	أبو هريرة	مسلم	٢٥
٥	يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم	معاوية	البخارى تعليقاً وابن أبى عاصم، والطبرانى	٢٦
٦	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	٣٤
٧	من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله	طارق بن أشيم	مسلم	٣٦
٨	بنى الإسلام على خمس	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٣٦
٩	أمرت أن أقاتل الناس	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٣٧
١٠	هل تدرى ما حق الله على عباده؟ . . .	معاذ بن جبل	البخارى ومسلم	٣٨
١١	يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣٨
١٢	لن يوافى عبد يوم القيامة يقول . . .	عتبان بن مالك	البخارى ومسلم	٣٩
١٣	لقد ظننت يا أبا هريرة . . .	أبو هريرة	البخارى	٣٩
١٤	الملائكة تصلى على أحدكم	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٤١
١٥	إذا أمن القارىء فأمنوا . . .	أبو هريرة	البخارى	٤١
١٦	المسلم أخو المسلم . . .	عبد الله بن عمر	مسلم	٤١

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٧	لا يرث المسلم الكافر	أسامة بن زيد	البخارى ومسلم	٤١
١٨	. . . ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن. . .	أبو سعيد بن المعلى	البخارى	٤٢
١٩	والذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة	أبو هريرة	الترمذى	٤٢
٢٠	والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن. . .	أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك	البخارى	٤٢
٢١	أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة. . .	أبو الدرداء عويمر ابن زيد	البخارى ومسلم	٤٢
٢٢	سلوه لأى شىء يصنع ذلك. . .	عائشة أم المؤمنين	البخارى ومسلم	٤٣
٢٣	يا فلان. . . وما يحملك على لزوم هذه السورة؟	أنس بن مالك	البخارى تعليقاً والترمذى موصولا	٤٣
٢٤	أن رسول الله قرأ فى ركعتى الفجر. . .	أبو هريرة	مسلم	٤٤
٢٥	ما أحصى ما سمعت النبي ﷺ يقرأ فى الركعتين بعد المغرب	عبد الله بن مسعود	الترمذى وابن ماجه	٤٤
٢٦	رمقت النبي ﷺ عشرين مرة ـ شهراً ـ يقرأ فى الركعتين	عبد الله بن عمر	النسائى والترمذى وابن ماجه	٤٤
٢٧	يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك. . .	أبى بن كعب	مسلم	٤٤
٢٨	إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على. . .	جابر بن سمرة	مسلم	٤٧
٢٩	. . . ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام. . .	عبد الله بن مسعود	البخارى	٤٧
٣٠	تدرى أين تذهب؟. . .	أبو ذر: جندب بن جنادة	البخارى ومسلم	٤٨
٣١	قرصت نملة نبياً من الأنبياء. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٤٨
٣٢	خرج سليمان ـ عليه السلام ـ يستسقى. . .	أبو هريرة	الإمام أحمد والحاكم	٤٨

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٣٣	ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش. . .	أبو هريرة	البخارى	٥٤
٣٤	لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضىء ربك	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٧٦
٣٥	إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس	أبو سعيد الخدري	مسلم	٨٥
٣٦	أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا. . .	البراء بن عازب	البخارى ومسلم	٨٦
٣٧	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٨٦
٣٨	خمس صلوات فى اليوم والليلة. . .	طلحة بن عبيد الله	البخارى ومسلم	٨٨
٣٩	بنى الإسلام على خمس. . .	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٨٩
٤٠	أرأيت إذا صليت الصلوات	جابر بن عبد الله	مسلم	٩١
٤١	الإيمان بضع وستون شعبة. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٩٢
٤٢	. . . إن أحدكم إذا قام فى صلاته. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٩٨
٤٣	إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق. . .	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٩٩
٤٤	يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم. . .	أبو موسى الأشعرى	البخارى ومسلم	٩٩
٤٥	كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك. . .	عبد الله بن عباس	مسلم	١٠٢
٤٦	إن لله تسعة وتسعين اسماً. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٠٥
٤٧	. . . فأوحى الله إلى ما أوحى. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	١١٢
٤٨	. . . وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟. . .	جابر بن عبد الله	مسلم	١١٢
٤٩	الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١١٣
٥٠	«ائتنى بها» فقال لها: «أين الله؟. . .	معاوية بن الحكم	مسلم	١١٣

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٥١	إن الله عزّ وجلّ لا ينام ولا ينبغى له أن ينام . . .	أبو موسى الأشعرى: عبد الله بن قيس	مسلم	١١٤
٥٢	لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١١٤
٥٣	والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو . . .	أبو هريرة	مسلم	١١٤
٥٤	ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء . . .	أبو سعيد الخدري	البخارى ومسلم	١١٤
٥٥	اللهم فقهه فى الدين . . .	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	١٢٩
٥٦	سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى	عائشة أم المؤمنين	البخارى ومسلم	١٣٠
٥٧	الجار أحق بسقبه	أبو رافع مولى النبى ﷺ	البخارى	١٣٥
٥٨	قضى رسول الله ﷺ بالشفعة . . .	جابر بن عبد الله	البخارى ومسلم	١٣٥
٥٩	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٣٧
٦٠	قام رسول الله فنظر إلى السماء فقرأ (إن فى خلق السمٰوات . . .)	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	١٤٠
٦١	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه . . .	عبد الله بن مسعود	مسلم	١٤٢
٦٢	ما لَكِ يا عائشة أغِرْتِ؟ . . .	أم المؤمنين عائشة	مسلم	١٤٢
٦٣	إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٤٣
٦٤	وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم . . .	أبو هريرة	مسلم	١٤٣
٦٥	سئل النبى ﷺ عن الوسوسة قال: تلك محض الإيمان	عبد الله بن مسعود	مسلم	١٤٣
٦٦	الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده . . .	عبد الله بن عباس	أبو داود والإمام أحمد	١٤٤

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٦٧	يأتى الشيطان أحدكم فيقول. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٤٥
٦٨	لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٤٥
٦٩	من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٤٦
٧٠	يا أُبَىُّ أرسلَ إلى: أن أقرأ القرآن على حرف. . .	أبى بن كعب	مسلم	١٤٦
٧١	جددوا إيمانكم «قيل: كيف نجدد إيماننا؟. . .	أبو هريرة	الإمام أحمد	١٤٧
٧٢	والذى نفسى بيده إن لو تدومون. . .	حنظلة الأُسَيِّدِى	مسلم	١٤٧
٧٣	خُلِقت الملائكة من نور. . .	عائشة	مسلم	١٥٠
٧٤	أُذن لى أن أحدث عن ملك. . .	جابر بن عبد الله	أبو داود	١٥٠
٧٥	إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين	عائشة	مسلم والبخارى	١٥٠
٧٦	أنَّ محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	١٥١
٧٧	. . . فرفع لى البيت المعمور فسألت جبريل	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	١٥١
٧٨	. . . أطت السماء وحق لها أن تئط. . .	أبو ذر: جندب بن جنادة	الترمذى وابن ماجه	١٥١
٧٩	اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل. . .	عائشة	مسلم	١٥٢
٨٠	إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة. . .	أبو هريرة	البخارى	١٥٤
٨١	ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رُمِى. . .	عبد الله بن عباس	مسلم	١٥٥
٨٢	إذا تكلم الله بالوحى أخذت السماءَ رجفةٌ. . .	النواس بن سمعان	الطبرانى وابن أبى حاتم	١٥٥

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٨٣	أحياناً يأتينى مثلَ صلصلة الجرس. . .	عائشة	البخارى ومسلم	١٥٦
٨٤	الجن على ثلاثة أصناف. . .	أبو ثعلبة الخشنى	ابن حبان	١٦٥
٨٥	إن إبليس يضع عرشه على الماء. . .	جابر بن عبد الله	مسلم	١٦٦
٨٦	إن عفريتاً من الجن تفلت علىّ البارحة. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٦٦
٨٧	أتانى داعى الجن فذهبتُ معه. . .	عبد الله بن مسعود	مسلم	١٦٧
٨٨	أبغنى أحجاراً أَسْتَنفِضْ بها. . .	أبو هريرة	البخارى	١٦٧
٨٩	لا يأكلن أحدكم بشماله. . .	عبد الله بن عمر	مسلم	١٦٧
٩٠	ما زال الشيطان يأكل معه. . .	أمية بن مخشى	أبو داود والنسائى	١٦٨
٩١	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. . .	أبو هريرة	البخارى	١٧٤
٩٢	. . . وليس أحد أحب إليه العذر من الله. . .	عبد الله بن مسعود	مسلم	١٧٩
٩٣	إذا أتيت مضجعك فتوضأ. . .	البراء بن عازب	البخارى ومسلم	١٨١
٩٤	يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف. . .	أبو ذر	ابن حبان والإمام أحمد	١٨١
٩٥	من شهد أن لا إله إلا الله وحده. . .	عبادة بن الصامت	البخارى ومسلم	١٨٢
٩٦	أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٨٣
٩٧	ذاك إبراهيم عليه السلام. . .	أنس بن مالك	مسلم	١٨٤
٩٨	لى خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد. . .	جبير بن مطعم	البخارى ومسلم	١٨٥
٩٩	والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد. . .	أبو هريرة	مسلم	١٨٦
١٠٠	لقد جئتكم بها بيضاء نقية. . .	جابر بن عبد الله	الإمام أحمد والبزّار	١٨٦
١٠١	ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٨٧
١٠٢	اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق	عبد الله بن عمرو	أبو داود والإمام أحمد	١٨٧

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٠٣	إن مَثلي ومثلَ الأنبياء من قبلي . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٨٨
١٠٤	اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك	عبد الله بن الزبير	البخارى ومسلم	١٩٢
١٠٥	كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . . .	أبو هريرة	البخارى	١٩٢
١٠٦	من أطاعنى فقد أطاع الله . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	١٩٣
١٠٧	لعن الله الواشمات والمستوشمات . . .	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	١٩٤
١٠٨	بلى إنهم حرموا عليهم الحلال . . .	عدى بن حاتم	الترمذى والإمام أحمد	١٩٨
١٠٩	ألا تصلون؟ قال على: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله . . .	على بن أبى طالب	البخارى ومسلم	١٩٨
١١٠	كان جذع يقوم إليه النبى ﷺ فلماوضع له المنبر	جابر بن عبد الله	البخارى	٢٠٥
١١١	انشق القمر، فقال لنا رسول الله ﷺ «اشهدوا اشهدوا» . . .	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	٢٠٥
١١٢	ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء . . .	جابر بن عبد الله	البخارى ومسلم	٢٠٦
١١٣	«ومن معى» فدخل، وقال: «أدخل علىَّ عشرة . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٠٦
١١٤	كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ . . .	أنس بن مالك	البخارى	٢٠٧
١١٥	كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له . . .	أنس بن مالك	الترمذى والحاكم	٢٠٨
١١٦	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله . . .	عبد الله بن عمر	البخارى	٢١٣
١١٧	إن الله قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . . .	أبو هريرة	البخارى	٢١٦
١١٨	إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن فى ثقيف كذَّاباً ومُبيراً . . .	أسماء بنت أبى بكر	مسلم	٢١٧

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١١٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٢١
١٢٠	. . . ولقد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور . . .	أسماء بنت أبى بكر	البخارى ومسلم	٢٢٣
١٢١	إذا أقعد المؤمن فى قبره أُتِىَ . . .	البراء بن عازب	البخارى ومسلم	٢٢٣
١٢٢	إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٢٤
١٢٣	يعذبان وما يعذبان فى كبير، وإنه لكبير . . .	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	٢٢٥
١٢٤	صَدَقَتَا، إنهم يعذبون عذابا . . .	عائشة أم المؤمنين	البخارى ومسلم	٢٢٦
١٢٥	من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ . . .	زيد بن ثابت	مسلم	٢٢٦
١٢٦	يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة . . .	جابر بن عبد الله	أبو داود والنسائى	٢٢٧
١٢٧	إن يعش هذا لم يدركه الهرم . . .	عائشة أم المؤمنين	البخارى ومسلم	٢٢٧
١٢٨	بعثت أنا والساعة كهاتين . . .	أنس وسهل بن سعد	البخارى ومسلم	٢٢٨
١٢٩	إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٢٨
١٣٠	اعْدُد ستاً بين يدى الساعة . . .	عوف بن مالك	البخارى	٢٢٨
١٣١	«ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال . . .	حذيفة بن أسيد	مسلم	٢٢٩
١٣٢	إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها	عبد الله بن عمرو بن العاص	مسلم	٢٢٩
١٣٣	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٢٩
١٣٤	بادروا بالأعمال ستاً: الدجال والدخان . . .	أبو هريرة	مسلم	٢٣١
١٣٥	تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى	أبو هريرة	الترمذى وابن ماجه	٢٣١
١٣٦	لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج فى أقصى البادية	حذيفة بن أسيد	أبو داود الطيالسى	٢٣٢

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٣٧	تخرج الدابة من هذا الموضع	بريدة بن الحصيب .	ابن ماجه	٢٣٣
١٣٨	. . . إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله . . .	أبو أمامة: صُدَى بن عجلان الباهلى	ابن ماجه	٢٣٤
١٣٩	ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال	هشام بن عامر	مسلم	٢٣٤
١٤٠	يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا	أنس بن مالك	مسلم	٢٣٤
١٤١	الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان	أبو بكر الصديق	الترمذى وابن ماجه	٢٣٥
١٤٢	إنى أنذركُموه، وما من نبى إلا قد أنذر قومه . . .	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٢٣٥
١٤٣	ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٣٥
١٤٤	ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٣٥
١٤٥	إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً . . .	حذيفة بن اليمان	البخارى ومسلم	٢٣٦
١٤٦	يأتى الدجال، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب	أبو سعيد الخدرى	البخارى ومسلم	٢٣٦
١٤٧	. . . إنه شاب قطط، عينه طافئة . . .	النواس بن سمعان	مسلم	٢٣٦
١٤٨	والذى نفسى بيده ليوشِكن أن ينزل فيكم ابن مريم	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٤٠
١٤٩	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٤١
١٥٠	والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء . . .	أبو هريرة	مسلم	٢٤١
١٥١	ليس بينى وبينه - يعنى عيسى - نبي . . .	أبو هريرة	أبو داود والإمام أحمد	٢٤١
١٥٢	يمكث عيسى فى الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة . . .	أبو هريرة	أبو داود الطيالسى	٢٤١

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٥٣	يقول الله عزّ وجلّ يا آدم أخرج بعث النار . . .	أبو سعيد الخدري	البخارى ومسلم	٢٤٣
١٥٤	إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه	عبد الله بن مسعود	ابن حبان	٢٤٤
١٥٥	لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب . . .	زينب بنت جحش	البخارى ومسلم	٢٤٦
١٥٦	إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى . . .	أبو هريرة	الترمذى وابن ماجه والحاكم	٢٤٦
١٥٧	من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين	عبد الله بن عمر	الترمذى والإمام أحمد	٢٤٧
١٥٨	يا رسول الله ما الصور؟ قال «قرن ينفخ فيه»	عبد الله بن عمرو بن العاص	أبو داود والترمذى والنسائى	٢٤٨
١٥٩	كيف أنعَمُ وقد الْتَقَم صاحِبُ القرنِ القَرْنَ . . .	أبو سعيد الخدرى	الترمذى والإمام أحمد	٢٤٨
١٦٠	. . . ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى	عبد الله بن عمرو	مسلم	٢٤٩
١٦١	«بين النفختين أربعون» قالوا . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٤٩
١٦٢	أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس . . .	أنس بن مالك	البخارى	٢٥١
١٦٣	إنكم محشورون ـ ونحا بيده نحو الشام ـ رجالا . . .	معاوية بن حيدة	الترمذى والنسائي	٢٥١
١٦٤	ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة . . .	عبد الله بن عمر	الترمذى والإمام أحمد	٢٥١
١٦٥	يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٥٢
١٦٦	إنكم ملاقوا الله حفاة عراة . . .	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	٢٥٣
١٦٧	أليس الذى أمشاه على الرجلين . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٥٣
١٦٨	إن الله يجمع يوم القيامة الأولين . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٥٤

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٦٩	يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٥٤
١٧٠	تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق	المقداد بن عمرو	مسلم	٢٥٥
١٧١	يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات. . .	أبو هريرة وأبو موسى	الترمذى وابن ماجه وأحمد	٢٥٥
١٧٢	ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه. . .	عدى بن حاتم	البخارى ومسلم	٢٥٦
١٧٣	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك. . .	أم المؤمنين عائشة	البخارى ومسلم	٢٥٧
١٧٤	إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره. . .	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٢٥٧
١٧٥	أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: . . .	أبو هريرة	الترمذى والنسائى	٢٥٨
١٧٦	هل تدرون ممّ أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم. . .	أنس بن مالك	مسلم	٢٥٩
١٧٧	عرضت علىَ الأمم. . . فإذا سواد كثير. . .	عبد الله بن عباس	البخارى ومسلم	٢٥٩
١٧٨	وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى. . .	أبو أمامة	الترمذى وابن حبّان	٢٦٠
١٧٩	كلمتان خفيفتان على اللسان. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٦١
١٨٠	. . . اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران	أبو أمامة الباهلى	مسلم	٢٦٢
١٨١	ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن. . .	أبو الدرداء	الترمذى وأبو داود	٢٦٣
١٨٢	إن الله سيخلّص رجلاً من أمتى. . .	عبد الله بن عمرو	الترمذى وابن ماجه	٢٦٣
١٨٣	إنه ليأتى الرجل العظيم السمين. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٦٣
١٨٤	ما يضحككم؟ لَرِجْلا عبد الله أو لَرَجُلاً عند الله	على بن أبى طالب	الإمام أحمد وابن عبد البر	٢٦٤
١٨٥	لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب. . .	أبو هريرة	أبو داود والترمذى والنسائى	٢٦٥

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
١٨٦	تحاجت الجنة والنار، فقالت النار. . .	أبو هريرة	البخاري ومسلم	٢٦٦
١٨٧	لا يزال يلقى فى النار وتقول: هل من مزيد. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٦٦
١٨٨	إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٦٧
١٨٩	إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون. . .	جابر بن عبد الله	مسلم	٢٦٧
١٩٠	يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح. . .	أبو سعيد الخدرى	البخارى ومسلم	٢٦٨
١٩١	. . . إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله. . .	أبو هريرة	البخارى	٢٦٨
١٩٢	فى الجنة ثمانية أبواب، فيها باب. . .	سهل بن سعد	البخارى	٢٦٩
١٩٣	لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد. . .	أم مبشر: جهمة بنت صيفى	مسلم	٢٧٠
١٩٤	. . . ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٧٠
١٩٥	. . . ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم. . .	أبو سعيد الخدرى	البخارى ومسلم	٢٧٠
١٩٦	إنكم سترون ربكم عيانا	جرير بن عبد الله	البخارى	٢٧٢
١٩٧	إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله. . .	صهيب بن سنان	مسلم والترمذى وابن ماجه	٢٧٢
١٩٨	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر. . .	جرير بن عبد الله	البخارى ومسلم	٢٧٣
١٩٩	. . . تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت	عبد الله بن عمر	مسلم	٢٧٤
٢٠٠	نور أنى أراه. . .	أبو ذر: جندب بن جنادة	مسلم	٢٧٥

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢٠١	إذا كان يوم القيامة ماج الناس. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٢٧٦
٢٠٢	نعم هو فى ضحضاح من نار. . .	العباس بن عبد المطلب	البخارى ومسلم	٢٧٧
٢٠٣	لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة. . .	أبو سعيد الخدرى	البخارى ومسلم	٢٧٧
٢٠٤	أهون أهل النار عذاباً أبو طالب	عبد الله بن عباس	مسلم	٢٧٧
٢٠٥	لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها. . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٢٧٨
٢٠٦	شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى	أنس بن مالك	أبو داود والترمذى	٢٧٨
٢٠٧	من قال حين يسمع النداء: اللهم رب. . .	جابر بن عبد الله	البخارى ومسلم	٢٧٩
٢٠٨	أنزلت على آنفاً سورة «فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم. . .	أنس بن مالك	مسلم	٢٨٢
٢٠٩	إن لكل نبى حوضاً، وإنهم يتباهون. . .	سمرة بن جندب	الترمذى	٢٨٣
٢١٠	حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن. . .	عبد الله بن عمرو	البخارى ومسلم	٢٨٣
٢١١	إنى فرطكم على الحوض من مر على شرب. . .	سهل بن سعد	البخارى ومسلم	٢٨٣
٢١٢	إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم. . .	عقبة بن عامر	البخارى ومسلم	٢٨٤
٢١٣	كتب الله مقادير الخلائق. . .	عبد الله بن عمرو	مسلم	٢٨٧
٢١٤	ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة. . .	على بن أبى طالب	البخارى ومسلم	٢٨٨
٢١٥	لا، بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم. . .	عمران بن حصين	مسلم	٢٨٨
٢١٦	. . . إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو. . .	سهل بن سعد	البخارى ومسلم	٢٨٨
٢١٧	لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه. . .	زيد بن ثابت وأُبَىّ	أبو داود وابن ماجه	٢٨٩

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢١٨	أبهذا أمرتم أو لهذا خُلقتم. . .	عبد الله بن عمرو	الترمذى وابن ماجه	٢٩٠
٢١٩	إذا ذكر القدر فأمسكوا	عبد الله بن مسعود	الطبرانى	٢٩٠
٢٢٠	قد سألتِ الله لآجال مضروبة. . .	عبد الله بن مسعود	مسلم	٢٩١
٢٢١	المؤمن القوى خير وأحب إلى الله. . .	أبو هريرة	مسلم	٢٩٣
٢٢٢	جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله فى القدر	أبو هريرة	مسلم	٢٩٣
٢٢٣	يكون فى هذه الأمة أو فى أمتى خسف. . .	عبد الله بن عمر	الترمذى وابن ماجه وأحمد	٢٩٣
٢٢٤	صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب. . .	عبد الله بن عباس	الترمذى وابن ماجه	٢٩٤
٢٢٥	القدرية مجوس هذه الأمة	جابر وابن عمر	أبو داود وابن ماجه	٢٩٤
٢٢٦	لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله. . .	سَلَمَة بن الأكوع	البخارى ومسلم	٣٠٠
٢٢٧	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣١١
٢٢٨	فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى. . .	أبو هريرة	البخارى	٣١٦
٢٢٩	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣١٧
٢٣٠	لا، والذى نفسى بيده حتى أكون أحب. . .	عبد الله بن هشام	البخارى	٣١٧
٢٣١	من أحب لله وأبغض لله ومنع لله. . .	أبو أمامة، ومعاذ بن أنس	أبو داود والترمذى	٣١٩
٢٣٢	آية الإيمان حب الأنصار. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣١٩
٢٣٣	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه. . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣٢٠
٢٣٤	من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده. . .	عبادة بن الصامت	البخارى ومسلم	٣٢٢

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢٣٥	أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . . .	أبو هريرة	مسلم	٣٢٢
٢٣٦	«يا معاذ» قال لبيك وسعديك، قال: «ما من أحد . . .	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣٢٣
٢٣٧	إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله . . .	عِتبان بن مالك	البخارى ومسلم	٣٢٣
٢٣٨	أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات من أمتى . . .	أبو ذر	البخارى ومسلم	٣٢٣
٢٣٩	لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٣٢٣
٢٤٠	والله لا يؤمن والله لا يؤمن . . .	أبو شريح: خويلد بن عمرو	البخارى	٣٢٤
٢٤١	لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه	أبو هريرة	مسلم	٣٢٤
٢٤٢	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر . . .	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	٣٢٤
٢٤٣	اثنتان فى الناس هما بهم كفر . . .	أبو هريرة	مسلم	٣٢٤
٢٤٤	ليس منا من ضرب الخدود . . .	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	٣٢٤
٢٤٥	من حمل علينا السلاح فليس منا	عبدالله بن عمر، وأبو موسى الأشعرى	البخارى ومسلم	٣٢٤
٢٤٦	بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا . . .	عبادة بن الصامت	البخارى ومسلم	٣٢٦
٢٤٧	ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال . . .	أنس بن مالك	أبو داود	٣٢٦
٢٤٨	إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه . . .	أبو هريرة	أبو داود والترمذى	٣٣٢
٢٤٩	سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى	أبو واقد الليثى: الحارث بن مالك	الترمذى والنسائى	٣٣٧
٢٥٠	لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق . . .	أبو ذر: جندب بن جنادة	البخارى ومسلم	٣٣٩

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢٥١	أيما امرىء قال لأخيه يا كافر . . .	عبد الله بن عمر	البخارى ومسلم	٣٣٩
٢٥٢	أيمارجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً . . .	عبد الله بن عمر	أبو داود	٣٣٩
٢٥٣	القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج . . .	أبو سعيد الخدرى	الإمام أحمد	٣٤٥
٢٥٤	أربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً . . .	عبد الله بن عمرو	البخارى ومسلم	٣٤٦
٢٥٥	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٣٤٦
٢٥٦	فى أُمتى اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة . . .	عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان	مسلم	٣٤٨
٢٥٧	إن للمنافقين علامات يعرفون بها . . .	أبو هريرة	الإمام أحمد والبزار	٣٤٨
٢٥٨	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة . . .	عبد الله بن عمر	مسلم والنسائى	٣٤٨
٢٥٩	إن شر الناس ذو الوجهين . . .	أبو هريرة	البخارى ومسلم	٣٤٩
٢٦٠	دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل . . .	جابر بن عبد الله	البخارى ومسلم	٣٥٥
٢٦١	ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ . . .	جابر بن عبد الله	مسلم	٣٥٥
٢٦٢	اللهم لك أسلمت وبك آمنت . . .	عبد الله بن العباس	البخارى ومسلم	٣٥٦
٢٦٣	إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين . . .	عبد الله بن عمرو	مسلم	٣٥٧
٢٦٤	يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك	أم سلمة: هند بنت أبى أمية	الترمذى وابن ماجه	٣٥٧
٢٦٥	اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق . . .	أبو هريرة	أبو داود والنسائى	٣٥٧
٢٦٦	اللهم إنى أعوذ بك أن أضِل أو أُضل . . .	أم سلمة أم المؤمنين	أصحاب السنن الأربعة	٣٥٧
٢٦٧	اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء . . .	أم معبد	البيهقى	٣٥٨

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢٦٨	اذهب إليه فقل له: لست من أهل النار...	أنس بن مالك	البخارى ومسلم	٣٥٨
٢٦٩	والذى نفسى بيده إن لو تدومون على ما تكونون...	حنظلة الأسيدى	مسلم	٣٥٨
٢٧٠	أن تجعل لله نداً وهو خلقك...	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	٣٦٠
٢٧١	من مات وهو يدعو من دون الله نداً...	عبد الله بن مسعود	البخارى	٣٦١
٢٧٢	من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة...	جابر بن عبد الله	مسلم	٣٦١
٢٧٣	قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك...	أبو هريرة	مسلم وابن ماجه	٣٦١
٢٧٤	كم تعبد اليوم إلهاً؟...	عمران بن حصين	الترمذى	٣٦٢
٢٧٥	من سمع سمع الله به...	جندب بن عبد الله البجلى	البخارى ومسلم	٣٦٥
٢٧٦	ألا أخبركم بما هو أخوف عندى من الدجال...	أبو سعيد الخدرى	ابن ماجه والإمام أحمد	٣٦٥
٢٧٧	إن أخوف ما أتخوف على أمتى الإشراك بالله...	شداد بن أوس	ابن ماجه	٣٦٥
٢٧٨	قال يهودى إنكم تنددون... «فأمرهم النبى إذا أرادوا...»	قتيلة بنت صيفى	النسائى والطبرانى	٣٦٦
٢٧٩	والله إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم	حذيفة بن اليمان	أبو داود وابن ماجة	٣٦٦
٢٨٠	صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب	عبد الله بن عباس	البخارى	٣٦٧
٢٨١	... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قُبور...	جندب بن عبد الله	مسلم	٣٦٨
٢٨٢	إن أولئكِ إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات	عائشة بنت أبى بكر	البخارى ومسلم	٣٦٩
٢٨٣	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور...	عائشة بنت أبى بكر	البخارى ومسلم	٣٦٩

الرقم المسلسل	طرف الحديث	راوى الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
٢٨٤	ألا أبعثُك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ . . .	على بن أبى طالب	مسلم	٣٦٩
٢٨٥	نهيتكم عن زيارة القبور . . ./ كنت نهيتكم عن . . .	بريدة بن الحُصَيب	مسلم وأصحاب السنن الأربعة	٣٧٠
٢٨٦	ليس كما تقولون: لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك . . .	عبد الله بن مسعود	البخارى ومسلم	٣٧٤
٢٨٧	يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك . . .	أبو موسى الأشعرى	الإمام أحمد بن حنبل	٣٧٤
٢٨٨	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	جابر بن عبد الله	مسلم	٣٧٨
٢٨٩	. . . ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت . . .	النعمان بن بشير	البخارى ومسلم	٣٨١
٢٩٠	ما رأيك فى هذا؟ . . .	سهل بن سعد	البخارى	٣٨٢

ـ قائمة بأهم المصادر والمراجع

❊ كتب العقائد وأولها:

- «القرآن العظيم» كتاب الله عزَّ وجلّ المصدر الأول لكل عقيدة وإيمان وهدى.
- «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى. (ت: سنة ٤١٨هـ) تحقيق: د/ أحمد بن سعد الغامدى، ط. دار طيبة للنشر.
- «إثبات صفة العلو» موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى. (ت: سنة ٦٢٠هـ) تحقيق: د/ أحمد بن عطية الغامدى، ط: مؤسسة علوم القرآن بيروت.
- «أصول السنة» محمد بن عبد الله الأندلسيُّ، الشهير بابن أبى زَمَنِين (ت: سنة ٣٩٩هـ) تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخارى، ط: مكتبة الغرباء.
- «الإبانة عن أصول الديانة» أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، (ت: سنة ٣٣٠هـ) تقديم الشيخ حماد الأنصارى، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- «الاقتصاد فى الاعتقاد» الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى، (ت: سنة ٦٠٠هـ) تحقيق د/ أحمد بن عطية الغامدى، ط: مكتبة العلوم والحكم.
- «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» الشيخ سليمان بن عبد الله النجدى (ت: سنة ١٢٣٣هـ) ط: المكتب الإسلامى بيروت.
- «العقيدة الطحاوية» أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى (ت: سنة ٣٢١هـ) ط: المكتب الإسلامى. بيروت.
- «العُلُوُّ للعلى الغفار» محمد بن أحمد بن عثمان، المعروف بالذهبى (ت: سنة ٧٤٨هـ) اختصار وتعليق؟ محمد ناصر الدين الألبانى، ط: المكتب الإسلامى.
- «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلّ» أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: سنة ٣١١هـ) ط: دار الشرق للطباعة.
- «كتاب السنة» عمرو بن الضحاك بن مَخْلد، المشهور بابن أبى عاصم (ت: سنة ٢٤٢هـ) تحقيق وتخريج: الشيخ ناصر الدين الألبانى ط: المكتب الإسلامى بيروت ـ لبنان.

- «مجموع الفتاوى» أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: سنة ٧٢٨هـ) جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. ط: على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز.
- «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» أبو الحسن الأشعرى، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد ط: المطبعة العصرية بيروت.

* **كتب التفسير:**

- «أحكام القرآن» أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربى، (ت: سنة ٥٤٣هـ) تحقيق: على محمد البجاوى، ط: دار الفكر العربى.
- «أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن» الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى. (ت: سنة ١٣٩٣هـ) ط: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
- «تفسير القرآن» عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت: سنة ٢١١هـ) تحقيق د/ مصطفى مسلم محمد. ط: مكتبة الرشد - الرياض.
- «تفسير القرآن العظيم» أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (ت: سنة ٧٧٤هـ) ط: دار المعرفة بيروت - لبنان.
- «تفسير القرآن العظيم» أحمد بن شعيب النسائى (ت: سنة ٣٠٣هـ) تحقيق: سيد الجليمى وصبرى الشافعى. ط: مكتبة السنة.
- «جامع البيان فى تأويل القرآن» أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت: سنة ٣١٠هـ) ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- «الجامع لأحكام القرآن» أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت: ٦٧١هـ) ط: دار الكتب العلمية.
- «المفردات فى غريب القرآن» أبو القاسم حسين بن محمد. المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ط: دار المعرفة، بيروت.

* **كتب السنة:**

- «الاستذكار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار» أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى (ت: سنة ٤٦٣هـ) تحقيق د/ عبد المعطى قلعجى. ط: دار قتيبة للطباعة والنشر - دمشق - بيروت.
- «البحر الزخار المعروف بمسند البزار» أحمد بن عمرو البزار، (ت: سنة ٢٩٢هـ)

تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله، ط: مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

- «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد» أبو عمر يوسف بن عبد البر تحقيق: جمع من الأساتذة ط: المملكة المغربية.
- «شرح صحيح مسلم» يحيى بن شرف النووى، (ت: سنة ٦٧٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ لبنان.
- «صحيح ابن خزيمة» أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمى، ط: المكتب الإسلامى بيروت.
- «عون المعبود شرح سنن أبى داود» محمد شمس الحق العظيم آبادى (ت: سنة ١٣٢٠هـ) ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
- «فتح البارى بشرح صحيح البخارى» أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانى (ت: سنة ٨٥٢هـ) ط: المكتبة السلفية ـ القاهرة.
- «مسند» الإمام أحمد بن حنبل (ت: سنة ٢٤١هـ) ط: دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان.
- «منحة المعبود مسند الطيالسى أبى داود» سليمان بن داود بن الجارود (ت: سنة ٢٠٤هـ) ترتيب: أحمد عبد الرحمن الشهير بالساعاتى. ط: المكتبة الإسلامية. بيروت.
- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى (ت: ٦٥٦هـ) تحقيق جماعة من العلماء ط: دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت.
- «النهاية، فى غريب الحديث والأثر». أبو البركات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (ت: سنة ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى ط: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

❊ كتب الرجال والتاريخ واللغة:

- «تقريب التهذيب» أحمد بن حجر العسقلانى تحقيق: صغير أحمد شاغف ـ ط: دار العاصمة للنشر ـ الرياض.
- «تهذيب التهذيب» أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ط: حيدر آباد ـ الهند.

- «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت: سنة ٧٤٨هـ) تحقيق: على محمد البجاوى، ط: دار المعرفة بيروت ـ لبنان.
- «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» الحافظ يوسف بن عبد البر.
- «الإصابة فى تمييز الصحابة» الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى. كلاهما معاً ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ لبنان.
- «البداية والنهاية» أبو الفداء إسماعيل بن كثير. ط: دار الفكر بيروت ـ لبنان.
- «القاموس المحيط» محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: سنة ٨١٧هـ) ط: مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان.
- «مجمع الأمثال» أحمد بن محمد المعروف بالميدانى (ت: سنة ٥١٨هـ) تحقيق: محمد محى الدين بن عبد الحميد، ط: دار الفكر بيروت ـ لبنان.

٤ ـ فهرس الموضوعات

❀ ❀ ❀